جامعة معسكر

الأمير عبد القادر:
عبقرية في الزمان والمكان

تنسيق وتقديم الدكتور ودان بوغفالة
مخبر البحوث الاجتماعية
كلية العلوم الاجتماعية والتاريخية

طباعة
مكتبة الرشاد للطباعة والنشر - الجزائر

العنوان: **الأمير عبد القادر: عبقرية في الزمان والمكان**

السلسلة: منشورات الذكرى الخمسين لاسترجاع السيادة الوطنية **(1912-1962)**

الناشر: منشورات مخبر البحوث الاجتماعية والتاريخية، جامعة معسكر

التنسيق والتقديم: د.ودان بوغفالة

الطبع: مكتبة الرشاد للطباعة والنشر - الجزائر

ردمك ISBN **978-9947-650-15-8**

رقم الإيداع القانوني: **014-29052**

صورة الغلاف: صورة الأمير عبد القادر

العنوان: مخبر البحوث الاجتماعية والتاريخية، جامعة معسكر، ص.ب. **053**، طريق المامونية، معسكر. الجمهورية الجزائرية.

الهاتف/فاكس: **+213 (0)45 80 13 15**

البريد الالكتروني: lrsh_um@yahoo.fr

الدراسات المنشورة في الكتاب تعبر عن آراء أصحابها وحدهم ولا تلزم مخبر البحوث الاجتماعية والتاريخية بأية حال

بسم الله الرحمن الرحيم

تقديم أ.د. ودان بوغفالة، جامعة معسكر

ارتبط تاريخ الجزائر الحديث ما بين عامي **1832**- **1847** بشخصية الأمير عبد القادر وجهوده من أجل بناء الدولة الجزائرية الحديثة، ذلك لأن هذه الفترة مثلت أهم مرحلة من مراحل المقاومة المسلحة ضد الاحتلال الفرنسي الغاشم؛ الذي تصدت له خلال القرن التاسع عشر ميلادي العديد من المقاومات الشعبية بقيادة رجال الزوايا والطرق الصوفية.

وينفرد الأمير عبد القادر عن غيره بأنه أرسى قواعد الدولة الجزائرية الحديثة واهتم بمؤسساتها الحيوية على جميع المستويات. وعليه، فإن تجربة الأمير عبد القادر التاريخية تعتبر تجربة رائدة في العالم الإسلامي وجديرة بالدراسة والاهتمام، ولا تزال بحاجة إلى المزيد من البحوث المعمقة التي تميط اللثام عنها.

والأمير عبد القادر هو الابن الثاني لسيدي الحاج محي الدين شيخ الطريقة القادرية بالجزائر؛ وهو سليل الولي الصالح سيدي عبد القادر المشهور بسيدي قادة بن المختار، ولد بقرية القيطنة عام **1808**م على وادي الحمام قرب معسكر، وقضى الفترة الأولى من طفولته تحت إشراف والده الذي أدرك منذ وقت مبكر كل المؤهلات التي سَتُميز ابنه يوما ما؛ شاب في مقتبل العمر يجيد القراءة والكتابة ويؤدي الصلاة، تولى مهمة تعليمه من كان يُشهد له بالكفاءة من فُقهاء الغرب الجزائري؛ وهو أحمد بن طاهر قاضي أرزيو، الذي علّمه علاوة على الفقه الإسلامي والشريعة، علوم الجغرافيا والحساب والفلك، وفي وقت قصير تفوق عبد القادر في ذلك.

علاوة على ما سلف، كان الأمير يتلقى في تعليمه التدريبات، إذ سرعان ما برع فيها هي الأخرى أيضا، فلا أحد كان أكثر منه مهارة في الرماية ولا أحسن منه في ركوب الخيل. وفي سن الخامسة عشر من عمره، بعثه أبوه إلى وهران عند سيدي أحمد بن خوجة لاستكمال تربيته، وقضى

هناك ما يقارب السنة مع أبناء الوجهاء وسادة القوم من العائلات التركية والعربية. وبعد عودته إلى بيت أبيه بفترة قصيرة، تزوج من لالّة خِيرة، إحدى بنات عمه سيدي علي بوطالب.

رافق الأمير والده الشيخ محي الدين إلى الحج لزيارة البقاع المقدسة عام **1825**م، وقادتهما رحلة الحج إلى التوجه إلى بغداد لزيارة ضريح الشيخ عبد القادر الجيلاني، كما ساهمت إقامة الأمير عبد القادر بتونس ومصر في تنمية شخصيته وصقلها، ويكون قد تأمل جليا في نموذج دولة محمد علي.

خاض الأمير كفاحا مريرا أجبر به فرنسا على حشد جيوشها للاحتفاظ بالجزائر، وعلى الجلوس معه على التفاوض والاعتراف به، بعد أن انتخب أميرا شرعيا على البلاد عام **1832**م، وهو الذي قال عند توليه الإمارة:

"... إن أهل معسكر وغريس الشرقي والغربي ومن جاورهم واتحد معهم قد اجتمعوا على مبايعتي، وبايعوني على أن أكون أميراً عليهم، وعاهدوني على السمع والطاعة في العسر واليسر، وعلى بذل أنفسهم وأولادهم وأموالهم في إعلاء كلمة الله. وقد قبلت بيعتهم وطاعتهم، كما أني قبلت هذا المنصب مع عدم ميلي إليه، مؤملاً أن يكون واسطةً لجمع كلمة المسلمين، ورفع النزاع والخصام من بينهم، وتأمين السبل ومنع الأعمال المنافية للشريعة المطهرة وحماية البلاد من العدو، وإجراء الحق والعدل نحو القوي والضعيف. فلذلك ندعوكم لتتحدوا وتتفقوا جميعًا، واعلموا أن غايتي القصوى: اتحاد الملّة المحمدية والقيام بالشعائر الأحمدية، وعلى الله الاتكال في ذلك كله. فاحضروا لدينا لتظهروا خضوعكم وتؤدوا بيعتكم، وفقكم الله وأرشدكم."

وتعتبر الفترة التي تلت قرار الأمير بتوقيف الكفاح المسلح عام **1847**م إلى غاية وفاته عام **1883**م من الفترات التاريخية الهامة هي الأخرى في حياته؛ سبقته شهرته في الخارج، وسجل موقفا إنسانيا رائعا عام **1860**م

بحمايته للمسيحيين في الشام من العنف الطائفي الدامي، وخلف آثارا ومؤلفات خالدة في الشعر والتصوف وحقوق الإنسان.

واحتفاء بالذكرى الخمسين لاسترجاع السيادة الوطنية، أخذنا على عاتقنا في مخبر البحوث الاجتماعية والتاريخية بجامعة معسكر، إصدار كتاب يُخلد الذكرى بعنوان:"**الأمير عبد القادر: عبقرية في الزمان والمكان**"، واستقبلنا من الأساتذة والباحثين الراغبين المساهمة في هذا التأليف من داخل الوطن وخارجه ما بعثوه لنا من أبحاث قيمة، نشكرهم جميعا على ثقتهم فينا وعلى تجاوبهم معنا.

عرضنا البحوث على التحكيم العلمي لتصويبها وتصحيحها وتنقيحها وسد ما بها من ثغرات تحت إشراف اللجنة العلمية الموقرة المؤلفة من السادة الأستاذ الدكتور ناصر الدين سعيدوني والدكتور عابد سلطانة والدكتور عدة بن داهة والدكتور براهمة بلوزاع، فتأخرنا بعض الوقت مُرغمين، ونستسمح كل من كان ينتظر صدور الكتاب في الآجال القريبة.

تتمحور الأبحاث والدراسات التي يتصمنها هذا الكتاب حول كل ما يتعلق بالأمير عبد القادر (1808- 1883)، وأعطينا الأولوية منذ الإعلان عن المنافسة للمحاور التالية:

- الأمير عبد القادر الإنسان: دوائر المصاهرة والنسب
- الأمير عبد القادر والمنشآت العمرانية: الآثار ذات الصلة بالأمير داخل الجزائر وخارجها
- رجال حول الأمير القادر: الوزراء والخلفاء والقضاة ورفقاء المهجر
- الأمير من خلال الوثائق الأرشيفية العامة والخاصة ومذكرات الأسرى
- حوصلة لخمسين سنة (1962- 2012) من الكتابات عن الأمير عبد القادر

- ملخصات عن رسائل وأطاريح جامعية تمت مناقشتها عن الأمير عبد القادر داخل الجزائر وخارجها
- الأمير والقبائل: جدلية الولاء والتمرد
- الأمير والجماعات الحضرية: العلاقات والمواقف
- المكتبة الخاصة للأمير: اهتمام الأمير بجمع الكتب ونسخها
- مدن في حياة الأمير: بغداد، بورصة، باريس، القاهرة (تحديدا)
- الاقتصاد في دولة الأمير: الأسواق والمبادلات التجارية
- ثقافة الطب والصيدلة زمن الأمير عبد القادر.

لقد جاد الزمن على الجزائر في القرن التاسع عشر ببطل خالد ملأ الدنيا جهادا وأمجادا، علما وعملا، دافع عن بلاده الجزائر، وعن حقوق الإنسان وحريته في شتى الأمصار والأوطان؛ حتى صار في الوقت الحاضر رمزا للبشرية في كل شبر من الأرض ومكان.

إن الأمير عبد القادر بجهاده للعدو في القرن التاسع عشر؛ أسس للعمل المسلح الذي اختاره أحرار العالم وسيلة للإنعتاق والتحرر في القرن العشرين، وما ثورة أول نوفمبر **1954** في الجزائر إلا تتويجا لمسيرة عظيمة وكفاح مرير يشهد بهما التاريخ للأمة الجزائرية.

ففيما تتجلى عبقرية الأمير عبد القادر من خلال شروط المكان وظروف الزمان؟ وبماذا يشهد التاريخ على عالمية حركته وإنسانية مواقفه؟ ما هي الدروس والعبر التي نستخلصها من مسيرة الرجل، وكيف نجح في جمع شتات القبائل وتأسيس الدولة؟ يجيب محتوى هذا الكتاب عن بعض الأسئلة ويطرح أخرى.



"هذه الصورة الخاصة بالأمير عبد القادر هي نسخة استوحاها السيد لوردون (M. Lordon) من لوحة زيتية تعود للسيد الكونت دوكلاري (M. le comte de Clary) ؛ والتي تم انجازها بمدينة الجزائر من طرف السيد رابيي (M. Rabier) كاتب النائب العام بعد عودته من سفر إلى معسكر الأمير في ديسمبر **1837** وجانفي **1838**.

ويؤكد السيد بربروجر (M. Berbrugger) أمين مكتبة مدينة الجزائر ورفيق السيد رابيي في السفر في رحلته التي نشرها عن هذه الجولة بأن الرسام استنسخ ملامح الأمير وقسمات وجهه بسعادة نادرة

الأمير عبد القادر
عبقرية في الزمان
والمكان

"عبد القادر:
عائلته، طفولته، مبايعته سلطانا على العرب

تعريب د. ودان بوغفالة، جامعة معسكر [1]

- عائلة عبد القادر:

إن عبارة سيدي الحاج معناها حرفيا "سيدي الذي حج البيت" وكلمة عبد القادر تفيد مدلول "خادم الأقوى". عمره اليوم أربعة وثلاثون سنة [2]، وقد أخذ لقب أمير المؤمنين وسلطان العرب؛ وهو الابن الثاني لسيدي الحاج محي الدين (اسم متكون من إحياء الدين: دعم الإيمان)؛ وَلِي يُبَجِّله كثيرا أهل هاشم الشراقة من قبيلة أولاد عيسى بن عباس. والشيخ محي الدين هو نفسه سليل سيدي مصطفى بن مختار، وحفيد سيدي قادة بن مختار؛ وهما مُرابِطان شهيران بالبلد، تعود أصول أجدادهم إلى التاريخ البعيد. تزوج محي الدين بأربع نساء: الزوجة الأولى هي لالّة "سيدتي" زُهرة؛ والدة عبد القادر

---

[1] ورد هذا المقال من دون إمضاء في دورية "المخزن الطريف" (Le Magasin Pittoresque) من صفحة 209 إلى صفحة 212، وهي دورية أسبوعية ونصف شهرية وشهرية، كانت تصدر بباريس، وكان السيد ادوارد شارتون (1807- 1890) هو مدير النشر بها من أول سنة للصدور عام 1833 إلى غاية عام 1888 لمدة 56 سنة، وتولى إدارة النشر بها السيد أوجان باست (Eugène BEST) ابتداء من تاريخ 1889، واستمرت في الصدور إلى غاية 1938.

وتأتي أهمية هذا المقال من كونه نُشر عن الأمير وهو لا يزال على قيد الحياة بالجزائر، ويقود معركة مظفرة ضد الاستعمار الفرنسي، وقد استقى الكاتب معلوماته من مصادر مقربة واعتمد على شهادات حية جمعها، وفضلنا عدم إثقال النص بهوامش المعلومات التي تداولتها الكتب والدراسات المنشورة عن الأمير.

[2] تاريخ صدور العدد التاسع من دورية (Magasin pittoresque) هو شهر جويلية 1841.

ولالّة خديجة، والزوجة الثانية هي لالّة وُرِيدة والدة سيدي محمد سعيد وسيدي مصطفى؛ والثالثة هي لالة فاطمة والدة سيدي الحسين؛ وأخيرا الرابعة وهي زنجية؛ لالّة مباركة والدة سيدي المرتضى. وهؤلاء النساء الأربع هن بنات شيوخ مرابطين كانوا محل احترام العرب وتقديرهم، والسيدة الوحيدة منهن التي توفيت هي زوجته الثانية لالّة وُرِيدة.

حج محي الدين مرتين إلى بيت الله الحرام بمكة، رافقه في المرة الثانية ابنه عبد القادر، وتوفي بعدها عام **1833** قبيل احتلال الفرنسيين لمدينة مستغانم، ودُفِن بكاشرو (Cachrou) الواقعة على بعد أربعة فراسخ جنوب شرق مدينة معسكر على مقربة من ضريح جده [1].

ولد عبد القادر بقيطنة أبيه (تجمع للمساكن أو الخِيم) على وادي الحمام، له أربعة إخوة وأخت واحدة كما سنأتي على ذكره لاحقا. وأكبر إخوته سيدي محمد السعيد؛ الذي يبلغ من العمر حوالي ثمانية وثلاثين سنة، يسكن بقيطنة والده ويخلفه في وظائفه كشيخ.

يأتي الناس لزيارة محمد السعيد في محل إقامته المقدسة في مستهل العام، فيتوجه إليه الزائر بأمنياته ويجلب له فيما بعد ثروته من النقود والصوف والثيران والغنم والقمح. وكان هذا النوع من الحج إلى قيطنة محي الدين معمولا به من قبل وقت جده، ويتداول العرب فيما بينهم وباعتقاد

[1] الفرسخ مقياس قديم من مقاييس الطول يقدر بثلاثة أميال، وتعادل أربعة فراسخ مسافة تسعة عشر كيلومترا، وتقدر المسافة حاليا على الطريق الوطني رقم 14 بين معسكر والمقبرة التي بها ضريح الشيخ سيدي محي الدين بحوالي 27 كلم مرورا بمدينة سيدي قادة المسماة بكاشرو (Cachrou) أثناء الفترة الاستعمارية.

كلي أن كل من يمنح ما مقداره بوجه مثلا (Boudjou: **1** فرنك و**80** سنتيما) [1] إلى الوَلِي سيدي قادة بن مختار سيجده مضاعفا في موارده إلى عشرة أضعاف.

وبقي سيدي محمد السعيد بعيدا عن الشؤون العامة، ولم يتول نيابة عن أخيه سوى مهمة لدى ملك المغرب نهاية عام **1837**. وورث عن أبيه إرشادات كثيرة وظّفها في تكوين الطلبة (العلماء) بالمنطقة وتربية أخَويْه اليافعين سيدي الحسين وسيدي المرتضى.

يبلغ سيدي مصطفى الأخ الثاني لعبد القادر من العمر ستا وعشرين سنة؛ وهو الذي كان في سنة **1833** يبحث عن من ينادي به سلطانا على قبائل الصحراء، غير أن محاولته باءت بالفشل، وبعد أن صفح عنه الأمير، عينه بايا على مدينة المدية. لقد أبدى كفاءة متواضعة في ممارسة وظائفه، مما جعله يُقبِل على الانسحاب والانكفاء على الحياة الخاصة.

ويبدو أن سيدي مصطفى خرج مرة أخرى عام **1838** أثناء غزو أخيه لعين ماضي. لقد أُرسِل إلى عين المكان ليتصرف بحرية، ولما كان التجاني هو الشيخ السيد هناك أخذه أسيرا معتقلا بهدف مبادلته بابنه. وهو يتولى منذ عام **1840** رئاسة القوات العسكرية التي بعث بها عبد القادر إلى مقاطعة قسنطينة لمجابهة الاحتلال الفرنسي بالمنطقة، واختار المسيلة لمقره العام؛ وهي مدينة صغيرة محصنة تقع على مسافة أربعة أيام سيرا باتجاه الجنوب الغربي لمدينة سطيف، وعلى مسافة أربعة أيام غرب مدينة بسكرة.

[1] اسم وحدة نقدية فضية كانت متداولة في الجزائر أثناء العهد العثماني

والأخوان الآخران لعبد القادر، سيدي الحسين وسيدي المرتضى، أعمارهما سبعة عشر وثمانية عشر عاما، يعيشان في قيطنة والدهما صحبة أخيهما سيدي محمد سعيد الذي يُشرف على تربيتهما ويرعاهما تقريبا رعاية دينية على وجه الخصوص.

والأخت الكبيرة لعبد القادر هي شقيقته لالّة خديجة، تبلغ من العمر ستة وثلاثين عاما، تزوجت في حدود عام **1824** بابن عمها الشقيق، سيدي مصطفى بن التهامي الذي عينه الأمير سنة **1837** خليفة له في الشرق. تلقت لالّة خديجة هدية من زوجة الباي حسن - آخر بايات وهران- كل الكماليات الضرورية لزفافها؛ وهو عربون صداقة يدل على مدى التقدير الذي كانت تحظى به عائلة الأمير.

وربما المرأة العربية الوحيدة التي تعرف القراءة هي لالّة زُهرة والدة لالّة خديجة وعبد القادر، وحسب الأعراف الشعبية؛ هي المرأة التي تم الإعلان عنها منذ قرون في الكتب كما كان من ذي قبل، وبأنها ستلد ولدا يصبح سلطانا على جميع العرب [1]. لقد تأكد لدينا أن لالّة زُهرة موهوبة وذات فضائل نادرة؛ متدينة ولكنها متسامحة، كان صلاحُها وإحسانها مجديا في بعض الأوقات لفائدة الأسرى المعتقلين الذين ساقتهم أقدار الحروب إلى الوقوع بين يدي ابنها عبد القادر وتحت سلطته؛ فهو يُبَجِّل أمه كثيرا، ومنذ أن نُودِي به سلطانا، يُروى عنه أنه لم يتناول يوما القلم ليكتب لها.

[1] يتداول كثير من الناس في مدينة معسكر وضواحيها ما مفاده أن لالّة ملوكة والدة سيدي قادة بن مختار وابنة الولي سيدي بلمرسلي دفين الجبلية هي من كان يقال عنها بأنها ستنجب سلطانين؛ وهو ما تحقق فعلا عند هؤلاء وتمثل في الولي سيدي قادة بن مختار الذي ذاع صيته كثيرا في الجزائر خلال الفترة الحديثة والأمير عبد القادر مؤسس الدولة الجزائرية.

تزوج عبد القادر من إحدى بنات عمه سيدي علي بوطالب، وهي لالّة خِيرة (غنية)، شابة في مقتبل العمر طويلة القامة، يقال عنها جميلة، وصوتها لطيف، ملابسها تشبه ملابس كل النساء العربيات، وتضع عن طيب خاطر منها "حايك" رداءا (قطعة كبيرة من القماش) من الصوف الأحمر. لقد أنجبت لالّة خيرة في بادئ الأمر بنتين، إحداهن تبلغ من العمر اليوم عشر سنوات والأخرى ثماني سنوات، وأنجبت فيما بعد ولدا وبنتا توفيا. وهي تعيش معزولة بشكل متواصل عن زوجها تقريبا، تمضي حياتها في الوحدة والصلاة، ترعى ابنتيْها اللتين تحبهما كثيرا وتمتهن صحبة شقيقة زوجها لالّة خديجة حياكة البرنوس والحايك.

عائلة عبد القادر معروفة جيدا بين الناس، وسنعطي فيما يأتي بعض التفاصيل عن شباب وانتخاب هذا الزعيم العربي. إذ أن شهرته نمت بشكل ملحوظ في بضع سنين؛ وهو في الوقت الراهن يخوض كفاحا عنيدا يُجبِر به فرنسا على الاحتفاظ بالجزائر بجيش قوامه أكثر من سبعين ألف رجل.

- **طفولة عبد القادر وشبابه:**

قضى عبد القادر الفترة الأولى من طفولته تحت إشراف والده الذي يبدو أنه أدرك منذ وقت مبكر كل المؤهلات التي سَتُميز ابنه يوما ما؛ طفل شاب يعرف القراءة والكتابة ويؤدي الصلاة لله، ويتولى مهمة تعليمه من هو أكثر كفاءة من فقهاء العرب؛ وهو أحمد بن طاهر قاضي أرزيو، الذي علّمه علاوة على القوانين والدين، علوم الجغرافيا والحساب والفلك.

وبسرعة كبيرة أحرز التلميذ تحسنا ملحوظا، وكان يتلقى في تعليمه التدريبات البدنية، إذ سرعان ما برع فيها هي الأخرى أيضا. فلا أحد كان أكثر منه مهارة في ركوب الخيل ولا أحسن منه في رمي العصا. وفي سن الخامسة عشر من عمره، بعثه أبوه إلى وهران عند سيدي أحمد بن خوجة لاستكمال تربيته، وقضى هناك ما يقارب السنة مع أبناء الوجهاء وسادة

القوم من العائلات التركية والعربية. وبعد عودته إلى بيت أبيه بفترة قصيرة، تزوج من لالّة خيرة.

ولكن سرعان ما أصبح محي الدين شخصا مشبوها في عيون الأتراك الذين كانوا يخشون تأثيره في البلد. وتهربا من عدم وثوقهم به، أعلن دون جدوى عن نيته في القيام برحلة إلى الحج بمكة. إذ أن عددا كبيرا من خيالة قبيلة هاشم الذين جلب العرب منهم ما تعداده ألفي (**2000**) فارس سلكوا الطريق مع الشيخ المرابط لمرافقته وحمايته، وسببت هذه القافلة الكبيرة فزعا للباي حسن بوهران، فبعث إلى محي الدين أمرا بصرف حرسه ومرافقيه والقدوم إلى وهران لتقديم تقرير عن تصرفاته حسب ما جاء في الرأي الذي أدلى به الباي إلى داي الجزائر حسين باشا.

استجاب محي الدين للطلب دون أية مقاومة، وامتثل ابنه عبد القادر للاحتجاز. ويبدو أن المصير الحتمي لهذا وذاك كان هو الموت الأكيد، فحينما تدخل الآغا مصطفى بن إسماعيل "حاليا هو جنرال في خدمة فرنسا" ومرسلي رئيس الدواير[1]، أخذت بفضل شفاعتهما زوجة الباي حسن من زوجها حرية الأسيرين شريطة أن يغادرا مع ذلك البلد خلال فترة قصيرة.

لقد ذهب محي الدين من معسكر، ورافقه ابنه عبد القادر صحبة عدد من الشخصيات الهامة تغمرهم السعادة ويأسرهم الفخر بزيارة ضريح

[1] هو مصطفى بن إسماعيل المزاري البحثاوي الذي قتله رجال الأمير عبد القادر ببلاد فليته عام 1843 م

الرسول تحت إشراف ولي كبير جدا والتمتع بلقب الحاج بعد العودة [1]. وبعد إقامة مدة ثلاثة أشهر بمدينة تونس أين استقبلوا بتميز كبير، نزلوا بمبنى خاص وضعه الباي تحت تصرفهم ونقلهم إلى الإسكندرية.

ومن دون شك، لم تساهم إقامة عبد القادر بمصر بالنزر اليسير فقط في تنمية الطموح العظيم لديه، ومما يبدو في أكثر من تقرير أن نموذج محمد علي كان هو النموذج المقترح. كان والده شديد الانتباه، وتفرس على الفور في كل الأفكار التي تدور في خَلَدِ الشاب العربي: وبعيدا عن خنقها، ركّز بالعكس في التعجيل بتطويرها وتحفيزه على أحلام خياله المُتقِد.

قضت القافلة مدة شهر بمكة لإتمام مناسك الحج، وبعدها أخذ رفقاء محي الدين طريق العودة إلى معسكر سالكين الطريق البري إليها، واستغرقوا مدة أربعة أشهر، في حين واصل محي الدين وابنه رحلتهما إلى غاية بغداد أين توجهوا لزيارة ضريح مولاي عبد القادر [2].

إن مولاي عبد القادر هو موضوع طقوس خاصة عند العرب ويُبجِلونه باعتباره أقدس الأولياء، وباعتباره أيضا السليل المباشر للرسول. وفي اعتقاداتهم لا شيء يحدث في هذا العالم سوى بإرادة مولاي عبد القادر. وهو حاضر في كل مكان، كأنه الله والرسول، يرى كل شيء، ويسمع الجميع.

---

[1] كان ذلك في شهر شعبان 1230هـ الموافق لشهر مارس 1825م

[2] المقصود هنا هو الشيخ عبد القادر الجيلاني دفين بغداد الذي تنسب إليه الطريقة القادرية (470 هـ - 561 هـ)

وإذا تعرض عربي أو حتى اليهودي والنصراني لأي خطر؛ له أن يلتمس حمايته، وسيأتيه على الفور لمساعدته؛ فهو لا يستثني أحدا ولا يحابي الوجوه والديانات. ويجوب سائر البلد كل الليالي ليسهر على أمن وسلامة الناس، والذي يشرفه بالظهور، إما على جبل وإما في سهل، يرفع له في المقام ذاته الذي ظهر له فيه مقام ولِي أو قُبة يعلوها علم ويحيط بها فناء مبني بالحجارة الجافة: وهو ما يفسر تعدد القباب التي تحمل هذا الاسم. وبعد أن عاش أربعين سنة في جبل قائما على قدم واحدة، ودون أن يأكل أو يشرب، نُقِل هذا الرجل الولي حيا إلى الجنة من طرف الرسول. وضريح مولاي عبد القادر منتشر ببغداد، وله فيها ستة قباب أو مزارات.

لقد عرف محي الدين كيف يستغل ببراعة هذه الاعتقادات الخرافية عند العرب في مصلحة عائلته، وخاصة فيما يتعلق بمستقبل الابن موضوع ميولاته. وبعد غيابه لمدة عامين، عاد إلى مدينة معسكر وتولى مهمة تسريب واعتماد بين الساكنة العرب قصة للتجلي الرائع الذي تمثل له ببغداد عند ضريح مولاي عبد القادر.

« في أحد الأيام، روى محي الدين قائلا، كنت الوحيد الذي يؤدي صلاته بالضريح، وفجأة خرج ملاك من الأرض شديد السمرة وقدّم لي تفاحة قائلا لي عنها أنها لسلطان الغرب. استغربت من هذا الحديث، وأجبت: "ليس هناك سلطان معي، نحن عبيد فقراء إلى الله" لكن الملاك الزنجي أجاب "ابنك الحاج عبد القادر سيصير يوما ما سلطانا وملك الأتراك سينهار في بلدك، قلت له، لكن إذا عَلِم الأتراك بهذا التنبؤ، ستتبدد عائلتي، فقال لي الملاك، لا تخش شيئا، لا أحد يستطيع أن يفعل شيئا ضد أولئك الذين يمتثلون إلى كلام الله ويتبعون مشيئته"، واختفى بعد هذه الكلمات تاركا التفاحة بين يدي. لقد كان ابني في هذا الوقت منشغلا بعلف الخيول في السهل صحبة رفيقه الحاج نقادي (Ngadi)، وعند دخولهما إلى المدينة، حضّرا وجبتهما وتناولا التفاحة وشبعا، وعدت أنا لأقضي الليل

في الضريح، أين كنت في اتصال مع مولاي عبد القادر أطلعني على كل وصاياه إلى ابني».

وتلقف العرب هذه القصة بشوق لسذاجة إيمانهم، ولم تترك لديهم أي شك في المكانة المرموقة والمقام العالي الذي ينتظر عبد القادر في يوم ما. هذا، ومع ذلك فإنه أمضى مع والده العامين التاليين من عودته إلى القيطنة في الاعتزال والخلوة يتضرعون إلى الله ويتدبرون في الكتب المقدسة.

- **مبايعة عبد القادر سلطانا على العرب:**

إن غزو مدينة الجزائر من طرف الفرنسيين عام **1830** أخرج هذا وذاك من خلوته ودعاهم إلى لعب الأدوار السياسية. فالباي حسن بوهران، كان الأتراك على عهده في ثورة مفتوحة، لم يتأخر ولم يتخلف عن مناشدة العرب لمساعدته، وطلب من محي الدين الذي يُدين له بالحياة أن يُؤمِّن له مأوى ولزوجته وخزائن ثروته، ولما وافق محي الدين على استقبالهما، اقترح عبد القادر رأيا مخالفا لرأي والده، وكان هو الوحيد الذي عارض ذلك. لقد دفع بأن الباي حسن ألحق أضرارا كبيرة بالعرب الذين كانوا في العموم يبغضونه، وإذا ما صار بين أيديهم، لا شك أنهم سينتقمون منه. وكذلك الأمر بالنسبة لملاذ القيطنة؛ فهو حرم لا تُنتهك حرمته لدى كافة المتذمرين، فلا يمكن حماية الباي، لأن هذا الانتهاك وسمة عار في الجبين بالنسبة لهم ولأبنائهم. لقد اقنع عبد القادر عائلته بهذا الرأي لما يتمتع به من سلطة كبيرة عليها، فعاد الباي حسن إلى الفرنسيين خائبا.

على نحو صعب جدا، سلمت القوة التركية بأن الاضطرابات سادت كل المقاطعة، وبأن انتقام المضطهدين يُنفذ في حق المعتدين وأنصارهم. وحينما كانت القبائل تعيش أجواء الصراعات والخلافات، قرع محي الدين طبول الحرب المقدسة ضد النصارى، وتحت إشرافه وُضِع عبد القادر على رأس من استجاب لنداء والده للقدوم لمواجهة النصارى في وهران.

وأحيطت المدينة من كل الجهات بسُحب من البدو من اليوم الثاني إلى اليوم التاسع من شهر ماي عام **1832**. وفي أعقاب هجومات متعددة جسورة وعديمة الفائدة، وصلوا أثناءها إلى غاية الجدار، فاستولوا بواسطة فتحات على بنادق المحاصرين، وأُجبروا على الانسحاب متكبدين بخسائر فادحة، وفقد عبد القادر فرسه من تحته في واحدة من العمليات التي قام بها. ومن هذا الوقت، لم تشهد وهران هجوما من طرف مجموعات معتبرة؛ لكن الاضطرابات استمرت بين القبائل وزعمائها، وأقر البعض من رؤساء هاشم والغرابة وبني عامر بالحاجة إلى رسم مخطط هجومي منتظم ضد الكفار، وعلى اختيار زعيم وحيد من أجل استعادة النظام، وجاء هؤلاء إلى استشارة محي الدين في ذلك.[1]

انعقد اجتماع كبير بخصيبية (Ersebia) بسهل غريس. وكان كل واحد يود أن يُبايع محي الدين أو ابنه عبد القادر سلطانا، و يُنكر عليهم ذلك البعض الآخر. وفي المساء، لم يتقرر أي شيء، وعاد الاجتماع للانعقاد لليوم التالي، يوم **28** سبتمبر عام **1832**؛ وهو التاريخ الذي حددته بعض الروايات. وحسبما يبدو، تغيرت قرارات محي الدين أثناء الليل، لأنه عند افتتاح الاجتماع، حكى سيدي العراش (Arrach)؛ وهو أحد الأولياء الأوائل بسهل غريس، رجل محترم لورعه وكِبر سنه، بأنه رأى في حُلمه وسط السهل عددا كبيرا من المقاعد، وشاهد وسط المقاعد كرسيا كبيرا مُرصَّعا بالذهب، وحين استفسر مولاي عبد القادر عن الشخص الذي خُصِّص له هذا الكرسي، قيل له "هو للحاج عبد القادر". "وواصل على

---

[1] يتحدث الكاتب هنا عن معركة خنق النطاح التي خاضها الأمير عبد القادر مع والده محي الدين شهر ماي 1932م

الفور سيدي العراش، وامتطيت جوادا مع أربعمائة (**400**) فارس، وجئت للبحث عن السلطان الذي عينه مولاي عبد القادر". [1]

وروى محي الدين من جهته، بأنه هو كذلك كانت له علاقة مع أمير الأولياء، وذَكَّر بالتجلي الذي تحقق له في ضريح مولاي عبد القادر ببغداد ، إذ قال له بأنه يتوجب حتما أن يكون هو أو ابنه سلطانا ، وإذا قبل محي الدين عرض العرب، فإن ابنه عبد القادر يموت، وإذا رفض الأمر لصالح ابنه، فإن محي الدين يموت عما قريب. واقترح بعد هذه القصة انتخاب ابنه سلطانا على العرب، وأعلن في الوقت ذاته بأن وفاته أصبحت وشيكة، كأنه يُقدِّم المكافأة التي ربطها الله بقدوم عبد القادر. وهذا ما جعل في نفس اليوم يُنادى به سلطانا وسط هتافات العرب الذين جابوا كافة الجهات وأشاعوا رؤى سيدي العراش وسيدي محي الدين في ربوع سهل غريس. وكان يعتقد الجميع في هذا اليوم كذلك، وبحزم أن مولاي عبد القادر ترأس انتخاب الأمير وسيأتيه كل يوم لزيارته عندما يكون وحيدا. [2]

إن عبد القادر يتميز بهيئة لافتة للنظر، هيئة الحزين اللطيف، والإحساس الذي يسيطر أساسا على مُحياه هو إحساس من طبيعة دينية. وطلعته فيها من الزهد ما يُذكر برؤساء رهبان العصر الوسيط، ومن هؤلاء الرهبان المحاربين، من كان صديقا لصخب المعسكرات أكثر منه إلى هدوء الأديرة. وزيه العربي الذي فيه شيء من كسوة الرهبان، يجعل هذا التشابه أيضا ملفتا للنظر.

---

[1] بويع الأمير عبد القادر البيعة الأولى في شهر رجب عام 1248 هجرية الموافق للسابع والعشرين من شهر نوفمبر 1832م عند شجرة الدردارة بسهل غريس.

[2] وبويع الأمير ثانية وهي البيعة العامة بمعسكر في شهر رمضان عام 1248 هجرية الموافق للرابع من شهر فيفري 1833م

ويتسم عبد القادر بجبهته العريضة ووجه الطويل والدهني نوعا ما، ومع ذلك، كان شاحبا جدا. عيونه سوداء، حلوة وجميلة، وكثيرا ما يُسْبِل عينيه، وحِراكه في أغلب الأحيان مُعبِر ويتباين مع رسوخ رأسه على ما جرت عليه العادة، ولحيته سوداء ومتناثرة، ويأخذ تقريبا دائما بين أصابعه مسبحة، يستخدمها ككل المسلمين في تلاوة الأدعية.

يحمل في جبهته ما بين عينيه علامة وشم صغيرة على عادة قبيلة هاشم التي ينتمي إليها، وهذا الوشم هو بشكل مَعين [1] وبلون أزرق فاتح غير واضح. وعبد القادر قصير القامة لكنه حسن الشكل، وكتفاه محدبتان نوعا ما، لديه عيب يشترك فيه مع العرب في القامة المتوسطة والتوجه بالرأس إلى الأمام كثيرا للحاجة التي يتطلبها لبس البرنوس، حيث أن الأغطية الثقيلة المعلقة على الظهر تطول لرميها إلى الوراء، ويتم تحديد الغطاء على حسب الاستعمال، من على قمة الرأس بواسطة رباط من وبر الإبل.

خطاب الأمير قوي وسهل، وصوته غائر نوعا ما ورتيب، واسترساله مرتج، يستعمل غالبا عبارة تُستخدم كثيرا بين العرب، إن شاء الله، وتختصر في "شا" الله، يرجى من الله!

---

[1] المَعين بفتح الميم هو شكل هندسي له أربعة أضلاع متوازية ومتساوية

يعطي عبد القادر على أية حال إلى جنوده نموذج المكارم الحربية الأساسية؛ فهو رصين في أذواقه، ومتواضع في ملابسه، ومتعته وقرة عينه هي في ضجيج الأسلحة، وحياة المعسكرات، وتدريب الخيول. أما بسالته فليس لها منازع، وقد نجا إلى يومنا هذا وبكل ابتهاج من أكبر الأخطار المحدقة به، واعتمد في الأوساط لخرافية للعرب الرأي الذي يقول بأنه محصن منيع وغير معرض للخطر.

إشكالية التعامل مع الإدارة الفرنسية أثناء جهاد الأمير عبد القادر من خلال رسالة قدور بن رويلة إلى المفتي مصطفى بن الكبابطي

(1259 هـ/1841 م)

أ.د. ناصر الدين سعيدوني، جامعة الجزائر2

تتطلب القراءة المستجدة لمقاومة الأمير عبد القادر والتعريف بجهوده من أجل بناء الدولة الجزائرية الحديثة استكمال توثيق ملحمته الجهادية بنشر وتحقيق الرسائل والتقاييد والتقارير والتعليقات المتعلقة بها. وفي هذا المسعى يندرج عرضنا هذا حول رسالة قدور بن رويلة إلى مفتي الجزائر مصطفى بن الكبابطي.

وحتى يمكن فهم مضمون الرسالة في بعدها الجهادي ومضمونها الديني والتعرف على الظروف التاريخية التي تطلبتها وربطها بدوافع وظروف مقاومة الأمير عبد القادر، فإننا نحاول نشر نص الرسالة بعد التعريف بمحتواها الفكري والسياسي ومناقشة الأفكار التي تعبر عنها في إطار إشكالية التعامل مع الآخر –وهم الفرنسيون. وتُعتبر هذه الوثيقة من هذا المنطلق وثيقة تاريخية من الدرجة الأولى نظرا للظروف التي كُتبت فيها والحجج التي عرضتها والدعوة التي رفعتها والمفاهيم التي عبرت عنها.

فرسالة قدور بن رويلة كاتب الأمير عبد القادر وأمين سرّه إلى المفتي مصطفى بن الكبابطي، تحتوي في مجملها على أربع عشرة صفحة مكتوبة بخط مغربي سهل القراءة، أضيفت إليها عدة تعاليق للمفتي علي بن الحفاف أوضح فيها دلالة و سجل رأيه في بعض المسائل. وقد حُفظت هذه

الوثيقة التي ويعود تاريخ كتابتها إلى سنة **1259** هـ/**1841** م. [1] ضمن وثائق المكتبة الوطنية الجزائرية (تحت رقم **2083**)في غلاف أخضر بمقياس (**11** x **16** سم.

وقد استرعت هذه الرسالة اهتمام بعض الباحثين في تاريخ الجزائر، منهم الأساتذة: محمد ين عبد الكريم، وأبو القاسم سعد الله، وجمال قنان، ورقية شارف، [2] دون أن تحظى بالدراسة والتحليل، وهذا ما شجعنا في هذا العرض على تحقيقها والتعليق على محتواها مساهمة في الجهد الرامي لاستكمال الجانب التوثيقي لمقاومة الأمير عبد القادر.

إن وضع الرسالة في إطارها التاريخي والتعليق على مضمونها المعرفي، يتطلب منا أولا التعريف بكاتبها (قدور بن رويلة)، ومتلقيها (مصطفى بن الكبابطي)، والمعلق عليها (علي بن الحفاف)، ومناقشة إشكالية الهجرة

---

[1] رسالة قدور بن رويلة إلى المفتي المالكي مصطفى بن الكبابطي مع تعليق المفتي ابن الحفاف، مخطوطات المكتية الوطنية الجزائرية، رقم 2083 (12 ص).

[2] ممن اطلع على هذه الرسالة:

- محمد بن عبد الكريم الزموري، حكم الهجرة من خلال ثلاث رسائل جزائرية، الشركة الوطنية للنشر، الجزائر، 1981، ص ص 12- 13.

- أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي (1830- 1954)، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1998، ج 6، ص ص 358- 359.

- جمال قنان، نصوص سياسية جزائرية في القرن التاسع عشر (1830- 1914) (طبعة خاصة بوزارة المجاهدين، الجزائر)، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 2007، ص ص 119- 121.

- رقية شارف، الكتابات التاريخية الجزائرية الحديثة خلال القرن الثامن عشر وبداية القرن التاسع عشر، منشورات مكتبة الملكية، الجزائر، 2007، ص ص 89 و250- 256.

التي تطرحها، وإثبات بعض الاستنتاجات المستخلصة من مضمونها والظروف التي كُتبت فيها، مع الإحالات والهوامش التي تتطلبها، فضلا على عرض نصها مع التعليقات المثبتة على حواشيها.

أ. كاتب الرسالة ومتلقيها والمعلق عليها:

ب. فكاتب الرسالة هو أحد رجال دولة الأمير عبد القادر وأمين سرّه ومتولي الكتابة لديه، قدور بن رويلة، [1] أحد علماء مدينة الجزائر، إذ وُلد بهذه المدينة وتلقى تعليمه الأولي بأحد كتاتيبها، وأخذ العلم عن بعض شيوخها وفي مقدمتهم أبوه الشيخ رويلة وكيل ضريح سيدي عبد الرحمن الثعالبي، والشيخ حمودة المقايسي، وأحمد الشريف الزهار نقيب أشراف الجزائر. وقد غادر قدور بن رويلة بلده مدينة الجزائر إثر استيلاء الفرنسيين عليها (**1246** هـ/**1830** م) رغبة في الجهاد، فاستقر أولا بمليانة ليتولى كتابة الرسائل لقائدها من قبل الأمير عبد القادر الخليفة محمد بن علال، والتحق بعد ذلك بالأمير عبد القادر وحظي لديه بمكانة مرموقة، فكان مستودع سرّه وصحبه في تنقلاته ومعاركه، واشتغل بكتابة رسائله وسجل له تنظيمات جيشه في مؤلف يحمل عنوان "وشاح الكتائب وزينة الجيش المحمدي الغالب"، انتهى من تصنيفه سنة **1255** هـ/**1839** م.

وقع قدور بن رويلة أسيرا مع ابنه اليافع أحمد عندما تمكن الفرنسيون بقيادة الدوق دومال (Duc d'Aumale) ابن ملك فرنسا لويس فيليب-Louis)

[1] للتعرف على حياة وإنتاج قدور بن رويلة، أنظر: ناصر الدين سعيدوني، من التراث التاريخي والجغرافي للغرب الإسلامي (تراجم مؤرخين وجغرافيين ورحالة)، دار البصائر الجديدة، الجزائر، 2013 (ترجمة قدور بن رويلة، ص ص 540- 547).

(Philippe)، من الاستيلاء على عاصمة الأمير عبد القادر المتنقلة (الزمالة) في موقعة الطاقين بفعل الخيانة، في **16** ربيع الثاني **1259** هـ/**5** أبريل **1843** م. فأخذ الفرنسيون ابنه أحمد رهينة و نقلوه إلى فرنسا مع العديد من أبناء الأعيان الجزائريين بهدف تعليمهم وتكوينهم عسكريا للخدمة في الإدارة الفرنسية بالجزائر، [1] بينما آثر قدور بن رويلة بعد إطلاق سراحه الانتقال إلى الحجاز والإقامة مجاورا بالمدينة المنورة، فافتقد بذلك لقاء ابنه أحمد، وانقطعت صلته بالأمير عبد القادر الذي كان في حاجة إليه وهو يقاوم الفرنسيين، وقد وجّه إليه الأمير كتابا يعاتبه فيه على إقامته بالحجاز وتقاعسه عن الجهاد، ضمّنه أبياتا أشار فيها إلى انتصاره على الفرنسيين في معركة سيدي إبراهيم (**1261** هـ/**1845** م)، حيث أصابته رصاصة في المعركة أدمت أذنه وكادت أن تقتله، وهذا ما عبّر عنه في شعره بقوله: [2]

يا عابد الحرمين لو أبصرتنا ❖❖❖ لعلمت أنك في العبادة تلعب

من كان يخضب خده بدموعه ❖❖❖ فنحورنا بدمائنا تتخضب

وقد ظل قدور بن رويلة بالحجاز يتشوق للقاء قائده الأمير عبد القادر، وعندما انتهى إليه خبر قدوم الأمير إلى بورصة بالأناضول، سارع للقائه

---

[1] أخذ أحمد بن رويلة وهو طفل يافع مع غيره من أبناء الأعيان الجزائريين إلى فرنسا قسرا، وقد فُصلوا عن أسرهم ليكونوا تكوينا عسكريا ويتخرجوا ضباطا للعمل بالمصالح الإدارية العسكرية الفرنسية بالجزائر المعروفة بالمكاتب العربية (Bureaux arabes)، وقد أُلحق أحمد بن رويلة بمكتب بوغار كمترجم حيث اغتيل سنة 1281 هـ/1864 م. أنظر: أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، المصدر السابق، ج 6، ص ص 206- 208.

[2] الأمير عبد القادر الجزائري، الديوان، شرح وتحقيق ممدوح حقي، ط 3، مكتبة دار الحياة، بيروت، 1965، ص 96.

فسافر إلى دمشق ومنها إلى بيروت استعدادا للقاء لكن المنية عاجلته وحالت دون تحقيق أمنيته (**1272** هـ/**1855** م). [1]

أما متلقي الرسالة أو الذي أُرسلت له، فهو مصطفى بن الكبابطي المفتي المالكي بمدينة الجزائر، [2] الذي فضل البقاء بمدينة الجزائر بعد احتلالها واضطرته الظروف إلى التعامل مع الإدارة الفرنسية بها، وهو ينتمي إلى أسرة عريقة ذات أصول أندلسية، وُلد بمدينة الجزائر (**1187** هـ/**1773** م)، وتلقى تعليمه على بعض علمائها، ومنهم مفتي المالكية ابن الأمين، وأصبح من علماء مدينة الجزائر بعد أن استكمل معارفه في علوم اللغة والفقه بفاس، فاشتهر برواية الحديث وانتصب للتدريس بالجامع الأعظم بمدينة الجزائر (حوالي **1227** هـ/**1812** م)، وأُسند له القضاء المالكي خلفا لعلي بن الكلاني أواخر عهد الداي حسين باشا (حوالي **1243** هـ**1827** م). وبعد الاحتلال الفرنسي لمدينة الجزائر (**1246** هـ/**1830** م)، لم يُجاهر بعدائه للفرنسيين، فتولى شؤون الأوقاف إلى جانب القضاء المالكي، ولم يحاول الهجرة أو الالتحاق بحركة الجهاد التي كان يتزعمها الأمير عبد القادر، لكن أوضاعه لم تستقر بفعل سياسة الإدارة

---

[1] ناصر الدين سعيدوني، من التراث التاريخي والجغرافي للغرب الإسلامي، المصدر السابق، ص 542.

[2] للتعرف على حياة مصطفى بن الكبابطي ومواقفه وعلاقته مع الإدارة الفرنسية، أنظر: أبو القاسم سعد الله، قضية ثقافية بين الجزائر وفرنسا (1843)، موقف المفتي الكبابطي من الأوقاف واللغة، مجلة عالم الفكر، الكويت، أبريل- يونيو 1985، أعيد نشرها في كتاب: آراء وأبحاث في تاريخ الجزائر، الشركة الوطنية للنشر، الجزائر، 1986، ج 2، ص ص 11- 48.

الفرنسية الهادفة إلى التحكم في شؤون الجزائريين، فقد صدرت أوامر من الحكومة الفرنسية بضرورة تعليم أبناء العرب اللغة الفرنسية عملا بتوصية المكلف بالتعليم بالجزائر آرتو (Artaud)، في **24** أكتوبر **1842**، وبادر أعوان الإدارة الفرنسية بإحصاء الأوقاف الإسلامية ثم وضع اليد عليها بأمر من الحاكم العسكري للجزائر بيجو (Bugeaud) في **23** مارس **1843**، وهذا عكس ما طالب به ابن الكبابطي اللجنة الإفريقية (Commission d'Afrique) التي كُلفت بتقصي أوضاع الجزائر والتي مثل أمامها سنة **1833**، ما جعله في الموقف المعارض بعد أن تحفظ على الإجراءات الهادفة لتصفية الأوقاف الإسلامية بالجزائر، واتهمه الفرنسيون بمعاداتهم وسارعوا إلى تنحيته من منصبه ثم حبسه ونفيه، فغادر الجزائر باتجاه مرسيليا ومنها إلى الإسكندرية (**24** يونيو **1843**) حيث انضم إلى العديد من أعيان الجزائر وعلمائها الذين وجدوا ملجأً لهم بالإسكندرية بعد طردهم أو خروجهم من الجزائر، ومنهم المفتي محمد بن محمود بن العنابي (ت. **1267** هـ/**1850** م) الذي سعى له لدى حاكم مصر محمد علي حتى يحسن مقامه ويصرف له معاشا، [1] وهذا ما سمح لابن الكبابطي أن يجلس للتدريس ورواية الحديث حتى وفاته عن سن ناهز السبعين سنة **1277** هـ/**1860** م، وقد روى عنه أثناء تدريسه بالإسكندرية أغلب علماء الإسكندرية صحيحي مسلم والبخاري، ورثاه أحدهم وهو محمد العاقل بقصيدة مطلعها:

---

[1] عبد الحميد بك (ت. 1280 هـ/1863 م)، أعيان المشارقة والمغاربة أو تاريخ عبد الحميد بك، تحقيق وتعليق أبو القاسم سعد الله، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 2000، ص ص 187-189.

هذا إمام الوقت مالك وقته ❖❖❖ مفتي الجزائر مصطفى بحر الوفا [1]

وقد علّق على رسالة قدور بن رويلة المفتي المالكي علي بن مصطفى بن الحفاف [2] الذي وُلد هو الآخر بمدينة الجزائر (**1224** هـ/**1809** م)، وتعلم بها وعُدّ من فقهائها وأعيانها، وكانت له علاقة خاصة بقدور بن رويلة وهو زوج أخته، فالتحق مثله عند احتلال الجزائر بحركة المقاومة بزعامة الأمير عبد القادر، وعمل مع محيي الدين مبارك ومحمد علال خليفة الأمير على مليانة، لكنه اضطر إلى العودة إلى مدينة الجزائر بعد تراجع المقاومة واستشهاد محمد بن علال ووقوع قدور بن رويلة في الأسر، فعرف آنذاك حياة البؤس والحرمان بمدينة الجزائر لانعدام مصدر رزق له، مما اضطره إلى السعي للحصول على وظيفة والمطالبة باسترجاع أملاك أسرته المصادرة، فحصل على منصب حزّاب بالجامع الأعظم بمعاضدة من المفتي القادري الذي تفهم وضعه، ثم عُيّن وكيلا لجامع سيدي رمضان (**1265** هـ/**1848** م)، ومفتيا بالبليدة (**1276** هـ**1859** م)، وبعد وفاة مفتي الجزائر الشيخ

---

[1] أبو القاسم سعد الله، قصيدة في رثاء المفتي مصطفى بن الكبابطي، مجلة الثقافة، الجزائر، عدد 1978/44، ص ص 97- 100.

[2] للتعرف على حياة ومواقف المفتي علي بن الحفاف، أنظر:

- أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، المصدر السابق، ج 3، ص ص 80- 83.
- محمد بيرم الخامس، صفوة الاعتبار بمستودع الأقطار والأمصار، المطبعة الإعلامية بمصر، 1303 هـ، ج 4، ص 16.
- أبو القاسم محمد الحفناوي، تعريف الخلف برجال السلف، مؤسسة الرسالة، بيروت، 1982، ج 2، ص ص 269- 270.

حميدة العمالي (**1290** هـ/**1873** م) خلفه في منصب مفتي الجزائر، [1] ومع ذلك ظل يضمر في نفسه فكرة الهجرة إلى الحجاز لتبرمه من الوضع بالجزائر، قبل أن يقنعه الشيخ محمد بيرم الخامس التونسي بالعدول عن ذلك عند زيارته للجزائر (**1261** هـ/**1878** م)، وقد تعرض محمد بيرم الخامس لعلاقته مع علي ابن الحفاف في كتابه "صفوة الاعتبار" بهذه العبارة: "وله فضائل كاملة وتقوى وسكينة واطلاع واسع في الفقه والحديث، وقد ذاكرني في الهجرة فذكرته أن بقاءه لتعليم الناس دينهم أنفع للعامة وله عند الله من خروجه برأسه..." [2] وبالفعل ظل المفتي ابن الحفاف مواظبا على مهمته في الافتاء وتدريس الفقه ورواية الحديث بالجامع الأعظم حتى وافته المنية (**1307** هـ/**1889** م)، وقد شغله ذلك عن التأليف فلم يُعرف له من التصنيفات سوى بعض الأشعار والتقاييد والإجازات لبعض من اتصل به مثل أبي القاسم الحفناوي صاحب "تعريف الخلف"، والمكي بن عزوز، والقاضي شعيب بن علي. [3]

ومما سبق يتضح لنا أن الأعلام الثلاثة الذين تتعلق بهم الرسالة كانوا من فقهاء مدينة الجزائر وممن ينتسبون إلى عائلات حضرية عريقة توارثت الوظيف الديني وكانت لها مكانة مرموقة في المجتمع المحلي، لكنها فقدت كل ذلك بفعل الاحتلال الفرنسي الذي صادر أملاكها وضيّق عليها لموقفها إزاء الإدارة الفرنسية، سواءً من ناصر علنا حركة الجهاد أو من

---

[1] Joachim de Gonzalez, Essai chronologique sur les Musulmans célèbres de la ville d'Alger, imp. Victor Pézé, Alger, 1886, pp. 63-64.

[2] محمد بيرم الخامس التونسي، صفوة الاعتبار، المصدر السابق، ج 4، ص 16.

[3] أبو القاسم محمد الحفناوي، تعريف الخلف، المصدر السابق، ج 2، ص ص 269 – 270.

حاول الدفاع عن مصلحة المسلمين ولو بالخضوع للإدارة الفرنسية والتعاون معها، مما يجعل مواقف وآراء الشخصيات الثلاث صادرة عن ظروف مستجدة وليست نابعة عن مواقف مبدئية، فهي تختلف في الأسلوب لكنها لا تتناقض من حيث القناعات، ولعل الشيء الأساسي الذي يتمحور حوله مضمون الرسالة هو إشكالية كيفية التعامل مع واقع الاستعمار الفرنسي الذي أصبحت تعيشه الجزائر. فرسالة قدور بن رويلة تطرح مسألة الهجرة أو القطيعة مع المحتل كأسلوب مقاومة من وجهة نظر فقهية وموقف حضاري، إذ ترى في التعامل مع العدو المحتل تخاذلا بل خيانة للدين والوطن، وهي تنطلق في ذلك من خلفية تاريخية تعود إلى فترة انحسار الإسلام في الأندلس وتراجعه في البلقان واحتلال فرنسا للجزائر، مما يتوجب علينا في سياق تحليل رسالة قدور بن رويلة، استعراض وجهات النظر في مسألة التعامل مع احتلال العدو لبلاد المسلمين، انطلاقا من الفتاوى العديدة الصادرة في شأن الهجرة من الأراضي التي غلب عليها العدو الكافر ، فإننا نكتفي هنا ببعض الأمثلة المتعلقة بالمنطقة التي تنتمي إليها الجزائر:

ت. **الموقف الموجب للهجرة والداعي للقطيعة مع المحتل:**

من المواقف التي تُحرّم البقاء تحت سلطة العدو أو الرضوخ لحكمه فتوى أبي العباس أحمد بن يحيى الونشريسي (ت. **914** هـ/**1508** م) [1] التي وضعها في شكل رسالة بعنوان "أسنى المتاجر في بيان أحكام من تغلب على أرضه النصارى ولم يهاجر وما يترتب عليه من العقوبات والزواجر"، أجاب

---

[1] ناصر الدين سعيدوني، من التراث التاريخي والجغرافي للغرب الإسلامي، المصدر السابق، ترجمة الونشريسي، ص ص 303- 314.

فيها عن سؤال وجهه له أبو عبد اللّه بن قطية في هذا الموضوع، فأفتى الونشريسي بمعصية من بقي من المسلمين بدار الكفر ولم يهاجر منها بعد أن تغلب النصارى على داره، وذهب فيها إلى حد الدعوة لقتل من نزح من المسلمين من دار الإيمان إلى دار الكفر، وهذا ما سجله بهذه العبارة: "إن الهجرة من أرض الكفر إلى أرض الإسلام فريضة إلى يوم القيامة، وكذلك الهجرة من أرض الحرام الباطل بظلم أو فتنة... ولا تسقط هذه الهجرة الواجبة على هؤلاء الذين استولى الطاغية لعنه اللّه على معاقلهم وبلادهم إلا تصور العجز عنها بكل وجه وحال، لا الوطن ولا المال، فإن ذلك كله ملغى في نظر الشرع...." وبعد أن يستشهد بالعديد من الآيات يقرر أن تكرار الآيات في هذا المعنى وجريها على نسق وتيرة واحدة مؤكد للتحريم... "إن محبة الموالاة الشركية ومساكنة النصرانية والعزم على رفض الهجرة والركون إلى الكفار والرضى بدفع الجزية إليهم ونبذ العزة الإسلامية والطاعة الإمامية والبيعة السلطانية... فواحش عظيمة مهلكة قاصمة مهلكة تكاد أن تكون كفرا والعياذ باللّه." [1]

فكانت فتوى الونشريسي بهذا الموقف المتشدد تعبيرا صادقا عن العصر الذي عاش فيه صاحبها والظروف التي تأثر بها بفعل ضياع الأندلس وتعرض أهلها إلى التنصير القسري وقطع الأرزاق والطرد من الوطن، مما لم يسمح ببقاء مسلمي الأندلس بوطنهم ولم يمكنهم من المحافظة على هويتهم العربية وعقيدتهم الإسلامية، وحتى من هاجر منهم إلى بلاد المغربين

[1] أبو العباس أحمد بن يحيى الونشريسي (ت. 914 هـ/1508 م)، المعيار المعرب والجامع المغرب عن فتاوي علماء إفريقية والأندلس والمغرب، خرجه جماعة من الفقهاء بإشراف محمد حجي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1981، ج 2، ص ص 121- 123 و132.

الأوسط والأقصى خضع إلى عملية التنصير وكاد أن تتلاشى عقيدته الإسلامية، كما هو الشأن بالنسبة لجماعات الموريسكيين (المدجنين) [1] الذين تعرف عليهم الونشريسي عن قرب أثناء دراسته بتلمسان وتوليه التدريس والإفتاء بفاس (**874** هـ/**1469** م)، مما جعله يدعو إلى وجوب الهجرة لأنها وسيلة تمكنهم من النجاة بأنفسهم والمحافظة على عقيدتهم المهددة.

ونفس هذه الظروف والأوضاع تجددت بالبلاد الجزائرية مع الاحتلال الفرنسي وانتهاج الفرنسيين سياسة الحكم المباشر والتوطين البشري للعنصر الأوربي، مما جعل الأمير عبد القادر بن محيي الدين في جهاده من أجل الوطن والعقيدة ينحو منحى يرى في الهجرة وسيلة لحفظ العرض والعقيدة والنفس، وينحو منحى الونشريسي في حكمه بوجوب الهجرة، وقد وضع الأمير عبد القادر رسالته في ذلك بعنوان "حسام الدين لقطع شبه المرتدين" [2]، فساير في هذا الرأي العديد من الفقهاء كالتسولي الذي استفسره الأمير في شأن الجهاد، وكذلك قدور بن رويلة الذي تولى الكتابة وتسجيل تنظيمات الجيش للأمير عبد القادر كما سبقت الإشارة إلى ذلك والذي تبنى هذا الموقف في رسالته موضوع هذا العرض.

---

[1] للتعرف على وضع الموريسكيين، أنظر:

ناصر الدين سعيدوني، الأندلسيون الموريسكيون بمقاطعة الجزائر أثناء القرنين 16 و17 م، ضمن كتاب: دراسات أندلسية، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 2003، ص ص 43- 73.

[2] الأمير عبد القادر بن محيي الدين الجزائري (ت. 1300 هـ/1883 م)، رسالة حسام الدين لقطع شبه المرتدين، ملحقة بكتاب: تحفة الزائر في مآثر الأمين غبد القادر وأخبار الجزائر لمحمد باشا بن عبد القادر الجزائري، دار اليقظة، بيروت، 1964، ج 1.

لقد كان موقف كل من الأمير عبد القادر وكاتبه قدور بن رويلة صادرا عن ضرورة طلب النصرة وجمع الصفوف و المفاصلة م المحتلين وعدم التعامل معهم، واعتبار ذلك امتثالا للشرع في حكمه بوجوب عدم الركون إلى العدو والخروج عن طاعته، لكن الظروف المستجدة في القرن التاسع عشر والتي تميزت بانتهاج الفرنسيين أسلوب التوسع وإخضاع السكان والقضاء على دولة الأمير عبد القادر كل ذلك جعل الهجرة من الأرض المحتلة من الجيش الفرنسي أمرا غير واقعي بل يضر بالمسلمين أكثر مما يعزز قوتهم ويحفظ عقيدتهم، ولعل هذا ما أدركه الأمير باكرا وجعله يعتبر موقفه من الهجرة إقرارا لأمر شرعي وتبرئة لنفسه مما يترتب عن الركون إلى العدو ، وردا على من يرى بوجوب الهجرة عندما كانت الأوضاع تقتضي ذلك، وهذا ما عبر عنه بقوله: "ولولا رؤيتي لشدة عطشك وأوامرك ما ذكرته لك؛ إذ ربما تفني في الكلام معهم باقي أيامك وتعبك في استصلاحهم تعب إصلاح الفاسد وضرب في الحديد البارد، وكلاهما لا يحصل منه على طائل ولو في الزمان المتطاول." [1] ولعل هذه الأوضاع التي أشار إليها الأمير والتي يُفهم منها عدم إمكانية المفاصلة مع العدو بفعل سياسة الاحتلال الشامل، هي التي جعلت قدور بن رويلة في رسالته إلى المفتي مصطفى بن الكبابطي يتخذ موقف الهجوم كأسلوب دعائي تحريضي وليس عن قناعة دينية، حتى بدا موقفه أقرب إلى الخصومة الشخصية، فهو يوجه الاتهام المباشر للمفتي لارتباط أمر فتوى الهجرة بمهامه الشرعية، ويحاول أن يحرجه بأدلة وحجج لا يقرها الشرع ولا يتقبلها ضمير المؤمن بعقيدته.

[1] الأمير عبد القادر الجزائري، رسالة حسام الدين، المصدر السابق.

ويشاطر قدور بن رويلة قناعة الأمير عبد القادر، فموقفه نابع من يأسه من جعل الجزائريين الخاضعين للإدارة الفرنسية يتخذون موقفا عدائيا منها أو يلتحقوا بحركة الجهاد بزعامة الأمير عبد القادر لاستحالة ذلك نظرا لسياسة الاحتلال الشامل التي انتهجها الفرنسيون و التي لتهدد بابتلاع بقية المناطق غير الخاضعة ، والتي اضطر معها الأمير عبد القادر أن يهادن الفرنسيين بعقد اتفاقيات هدنة معهم (معاهدة دي ميشال في **26** فبراير **1834**، ومعاهدة التافنة في **30** ماي **1836**). [1] مما يجعل من رسالة قدور بن رويلة دعوة لمناصرة المجاهدين وحثا منه لمن له الاستعداد للالتحاق بهم، فهي تعبر عن موقف هادف لمقاطعة الفرنسيين والحد من محاولة التواصل معهم عن طريق رجال الدين أكثر من كونها تقريرا لحكم شرعي. وفي هذا الإطار يمكن إدراجها وفهم الحجج التي تقوم عليها في دعوتها إلى عدم التعامل مع الحكام الفرنسيين أو خدمة مصالحهم الإدارية من قبيل ما آخذ عليه المفتي مصطفى بن الكبابطي من سلوكات تمس بعقيدة المسلمين وتجرح عزة نفسهم، مثل الاحتفال مع النصارى (الفرنسيين) في أعيادهم وحضور جنائزهم وزيارة قادتهم وتهنئتهم ومدحهم ومجالستهم وإبداء الطاعة لهم بالاعتراف بسلطتهم. [2]

إن رسالة قدور بن رويلة في دعوتها لمقاطعة الفرنسيين ورفض التعامل معهم تعبر عن حالة الصدمة الحضارية والانكسار النفسي الذي كانت

---

[1] ناصر الدين سعيدوني، عصر الأمير عبد القادر، مؤسسة جائزة سعود عبد العزيز البابطين، الكويت، 2000، ص ص 208- 213.

[2] أنظر المآخذ العشرة لابن رويلة على المفتي ابن الكبابطي الواردة في الصفحة الأولى من الرسالة الملحقة بالبحث.

تعيشه النخبة الجزائرية إزاء الغزو الفرنسي للجزائر، فكان موقفه يتجاذب فيه اليأس والعجز عن رد العدوان من جهة، والرفض وعدم تقبل الأمر من جهة أخرى، وهذه وضعية عاشتها أغلب البلاد الإسلامية في مواجهتها للتوسع الاستعماري خاصة بعد عجز المقاومة عن التصدي له، فكانت الظروف في أول الأمر تدعو إلى القيام بفريضة الجهاد و الخروج عن طاعة العدو بالهجرة من الأرض التي احتلها؛ ففي الجزائر كانت الأراضي التي حكمها الأمير عبد القادر في سنواته الأولى حتى سنة **1841**، تشجع على الابتعاد عن الفرنسيين وتمثل عامل جذب وقوة استقطاب لإحياء فريضة الجهاد، لكن مع انتهاج الفرنسيين سياسة الاحتلال الشامل وتطبيق الجنرال بيجو لسياسة الأرض المحروقة بعد نقض معاهدة التافنة [1] وما أعقبه من قطع الإمداد عن المقاومين، تحول التيار الغالب إلى القبول بالبقاء وانتظار ما تسفر عنه الأحوال، ثم إن الإحساس بالعجز و الشعور بالظلم و رفض الإجراءات الظالمة للإدارة الفرنسية أدى إلى تزايد حركة النزوح من الجزائر نحو الأقطار الإسلامية، ومع أن ذلك يتماشى مع الأهداف الإستراتيجية للاستعمار الفرنسي وسياسته الاستيطانية إلا أنه أضر بأسلوب الإدارة الفرنسية آنذاك، إذ حرمها من استخدام الجزائريين أو استعمالهم في الجيش الفرنسي، وأوجد في خارج الجزائر رأيا معاديا لفرنسا، ساهم في تشكله وبلورته المهاجرون الجزائريون في الأقطار العربية الإسلامية. وقد تعزز تيار هجرة الجزائريين خارج الجزائر بعد القضاء على مقاومة الأمير عبد القادر وحتى بداية الحرب العالمية الأولى (**1948**- **1914**) بفعل التخوف من نشاط حركة التبشير المسيحي وقسوة قوانين الأهالي الزجرية وتطبيق

[1] ناصر الدين سعيدوني، عصر الأمير عبد القادر، المصدر السابق، ص ص 165- 169.

إجراءات المصادرة والاستحواذ على الأملاك والثروات وتشجيع حركة الاستيطان الاوربي وتجنيد الجزائريين للخدمة في الجيش الفرنسي (**1912**).[1]

وقد حاولت الإدارة الفرنسية التصدي لذلك بأساليب مختلفة منها استصدار فتاوى من علماء الحجاز تدعو الجزائريين إلى عدم الهجرة، كما تعبر عنه الفتوى التي سعى إليها حاكم الجزائر العسكري بيجو بواسطة الجاسوس ليون روش (Léon Roches) (**1266** هـ/**1849** م)، أو الفتوى التي استصدرها الحاكم العام للجزائر كامبون (Cambon) (**1311** هـ/**1893** م) من علماء الحجاز أثناء موسم الحج خدمة لمصالح فرنسا في الجزائر.[2] لكن استيعاب الجزائريين للصدمة الاستعمارية واسترجاع أنفاسهم وأخذ المبادرة من الإدارة الفرنسية بفعل نشاط الحركة الوطنية، لم يعد يسمح بطرح مسألة التعامل مع الاستعمار بأسلوب الهجرة من الوطن و الابتعاد عنه، وإنما بمنازلته والتصدي له ومقاومته.

جـ. الرأي الذي يُسقط وجوب الهجرة و يدعو إلى البقاء بالوطن :

الرأي الآخر حول الهجرة هو الذي يسقط وجوبها ويدعو إلى المحافظة على الوطن و التشبث بالأرض وخدمة مصالح المسلمين و مساعدتهم على التمسك بعقيدتهم انتظارا لتبدل الظروف وتغير الأحوال، وكان في طليعة

---

[1] ناصر الدين سعيدوني، الاستعمار الفرنسي للجزائر: الممارسة الوحصيلة، ضمن كتاب: الجزائر منطاقات وآفاق، ط 3، دار البصائر الجديدة، الجزائر، 2013، ص ص 19- 43.

[2] جمال قنان، نصوص سياسية جزائرية، المصدر السابق، ص ص 262- 264 (مصدر نص الفتوى: الأرشيف الوطني الفرنسي: A.N.P./F 19-10934).

من اتخذ الموقف الذي كان له تأثير في الجزائر، أبو عبد الله أحمد بن أبي جمعة المغراوي الوهراني الأندلسي المعروف بأحمد شفون (ت. **929** هـ/**1523** م)، [1] فقد خبر الانعكاسات السلبية لهجرة مسلمي الأندلس وعايش وقائعها المأساوية ووقف على آثارها المدمرة في الأندلس وفي بلاد المغرب العربي، فحاول بواسطة الفتوى التي أصدرها بطلب من الموريسكيين (الأندلسيين الخاضعين للإسبان) الذين وصفهم بالغرباء بتاريخ غرة رجب **910** هـ/**1504** م، [2] أن يشد من عزمهم ويحثهم على التمسك بالوطن والمحافظة على الأرض والامتناع عن الهجرة وممارسة شعائر دينهم حسبما تسمح به الظروف ولو بمجاراة النصارى في بعض الأشياء ظاهريا مع بقاء الإيمان راسخا في القلب، وقد جاءت فتواه في عبارات صريحة واضحة ومباشرة تتجاوز كل الاعتبارات الشكلية

---

[1] عرفت به العديد من المصادر منها:

- محمد بن عسكر الشفشاوي، دوحة الناشر لمحاسن من كان بالمغرب من مشايخ القرن العاشر، تحقيق محمد حجي، ط 3، منشورات مركز التراث الثقافي المغربي، الدار البيضاء، 2003، ص 113 (رقم الترجمة 124).
- أبو عبد الله محمد الملقب بابن مريم المليتي، البستان في ذكر الأولياء والعلماء بتلمسان، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1986، ص 261.
- عبد السلام بن عبد القادر بن سودة، دليل مؤرخ المغرب الأقصى، ط 2، دار الكتاب، الدار البيضاء، 1960، ج 2، ص 300.

[2] نشر الفتوى كل من:

- محمد عبد الله عنان، نهاية الأندلس، مطبعة مصر، القاهرة، 1958، ص ص 325- 327.
- محمد قشتيليو، الموريسكيون في الأندلس وخارجها، منشورات مركز دراسات الأندلس وحوار الحضارات، ط 3، مطبعة الأمنية، الرباط، 2008، ص ص 131- 133.

والمواقف المتزمتة، فهو يتوجه إليهم في فتواه بقوله: "طوبى للغرباء الذين يصلحون إذا أفسد الناس، وإذا ذُكر اللّه بين الغافلين كالحي بين الموتى، فاعلموا أن الأصنام خشب منجور وحجر جامد لا يضر ولا ينفع وأن الملك ملك اللّه... وإن أكرهتم في وقت الصلاة إلى السجود للأصنام أو حضور صلاتهم فأحرموا بالنية وآتوا صلاتكم المشروعة وأشيروا لما يشيرون إليه من صنم ومقصدكم اللّه، وإن كان لغير القبلة فتسقط في حقكم كصلاة الخوف عند الالتحام، وإن أجبروكم على شرب خمر فاشربوه لا بنية استعماله وإن كلفوا عليكم خنزيرا فكلوه ناكرين إياه بقلوبكم ومعتقدين تحريمه وكذا إن أكرهوكم على محرم... ونحن نشهد لكم بين يدي اللّه أنكم صدقتم اللّه ورضيتم به." [1] وما كان ذلك من أحمد بن أبي جمعة إلا من أجل المحافظة على الإسلام في الأندلس انتظارا لساعة الفرج، لكن سياسة الريكونكيستا الإسبانية (Reconquista) وأسلوب محاكم التفتيش والتمسيح القسري والطرد من الأرض لم تسمح لمسلمي الأندلس بالبقاء في وطنهم وأدت إلى محو الإسلام من الأندلس بفعل تيار الهجرة الأندلسية المتواصل إلى بلاد المغرب العربي.

لقد جارى أحمد بن أبي جمعة في فتواه التي أسقطت وجوب الهجرة على من احتل النصارى أرضه مفتي الجزائر أبو عبد اللّه محمد بن الشاهد (ت. **1253** هـ/**1837** م)، [2] فدعا في رسالة نُسخت في غرة جمادى الثانية **1282**

---

[1] محمد قشتيليو، رسالة موجهة إلى الموريسكيين من أحمد بوجمعة المغراوي، ضمن كتاب: الموريسكيون في الأندلس وخارجها، المصدر السابق، ص ص 131- 133.

[2] للتعرف على حياة ومواقف محمد بن الشاهد، أنظر:

هـ/**1865** م إلى عدم الهجرة [1] وإلى البقاء في الوطن، واعتبر العلماء خاصة مطالبون بالبقاء خدمة لبني جلدتهم ونصحا لإخوانهم في الدين، فهم كالأطباء للعامة في دينهم ، وقد ذهب في ذلك إلى القول: "لو فرضنا أنهم هاجروا وانتقلوا لم يجد العوام من يطبّ أديانهم، وفربما يقعون في الكفر لذلك تركوا (الهجرة) رضي اللّه عنهم." [2] وهذا ما جعل ابن الشاهد يستنكر الحكم بمعصية من بقي من المسلمين بدار الكفر ولم يهاجر بعد تغلب النصارى على بلده، وقد تفهم موقفه هذا الباحث الأستاذ محمد بن عبد الكريم الزموري (ت.**2013** م) في تعرضه لحكم الهجرة من خلال ثلاث رسائل جزائرية، [3] فرأى فيه عين الصواب ونعم الرأي وأرجع ذلك لاعتدال ابن الشاهد في موقفه وسعة معارفه واطلاعه على آراء غيره وتفهم ظروف عصره، وهذا ما جعله يرى أن الهجرة تفرضها حالات الضرورة للمحافظة على النفس وطلب العدل وحرية العقيدة التي تكفل ما تعارف عليه الفقهاء بالكليات الست وهي "الدين والنفس والعقل والنسل والمال والعرض." [4] وضمن هذا التوجه يمكن إدراج موقف كل من المفتي

– أبو القاسم سعد اللّه، تجارب في الأدب والرحلة، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1983، ص ص 107– 117.

– أبو القاسم سعد اللّه، الشاعر المفتي ابن الشاهد، مجلة الثقافة، الجزائر، عدد 1981/61.

[1]نشرها محمد بن عبد الكريم الزموري، حكم الهجرة من خلال ثلاث رسائل، المصدر السابق، ص ص 105– 124.

[2]محمد بن الشاهد، رسالة في حكم الهجرة من الوطن مؤرخة في 1282 هـ 1865 م .

[3]محمد بن عبد الكريم الزموري، حكم الهجرة من خلال ثلاث رسائل، المصدر السابق، ص ص 14– 18.

[4]ناقش هذه المسألة من وجهة نظر فقهية ومن منظور المصلحة العامة بتعمق واطلاع الأستاذ الباحث محمد بن عبد الكريم الزموري في كتابه حكم الهجرة من خلال ثلاث رسائل، المصدر السابق، ص ص 14– 18.

مصطفى بن الكبابطي والمفتي علي بن الحفاف، وفي هذا الإطار تندرج دعوة الشيخ محمد بيرم الخامس التونسي للجزائريين إلى عدم ترك بلادهم أثناء زيارته للجزائر (**1261 هـ/1878** م). [1]

❖❖❖

لقد برهنت أحداث التاريخ في الجزائر وغيرها من الأقطار الإسلامية: في شبه القارة الهندية عند تقسيمها إلى هندستان وباكستان، وشبه جزيرة البلقان عند قيام الدول الأوربية المسيحية على أنقاض الدولة العثمانية، وفي شبه الجزيرة الإيبيرية عندما تكونت دولتا إسبانيا والبرتغال على حساب حقوق مسلمي الأندلس، وكذلك ببلاد الشام حيث استحوذ اليهود على فلسطين وحلوا مكان سكانها بفعل تهجير ونزوح الفلسطينيين الذين استبدلوا بفعل رفض الأمر الواقع وطنهم بمخيمات اللاجئين. كل ذلك يتطلب تجاوز طرح مسألة الهجرة من الوطن من وجهة نظر تقوم على مواقف وآراء ذات صبغة دينية، وإنما يجب معالجتها ودراستها وتفهم نتائجها من واقع التجارب التاريخية والفهم الذكي لوضع المسلمين الذي يتجاوز الماضي ولا يسلم بالحاضر وإنما برسم آفاق المستقبل... ولعل رأي كل من الونشريسي المعبر عن موقف الفقيه المتحفظ والمتعامل مع المؤسسات الرسمية القائمة على شرعية الحكم الإسلامي والبيعة للسلطان، و قدور بن رويلة الملتزم بوجوب الجهاد بجانب الأمير عبد القادر، هما أبعد عن الواقع المعيش ولا يتماشيان مع مصلحة المسلمين البعيدة التي تنتظر تغير الظروف لمنازلة العدو. بينما رأي أحمد بن أبي جمعة وموقف مصطفى بن

---

[1] محمد بيرم الخامس التونسي، صفوة الاعتبار، المصدر السابق، ص ص 33- 40.

الكبابطي وعلي بن الحفاف هما أكثر واقعية،. فالنوشريسي وقدر بن رويلة يرفضان الواقع ويتجاهلان الأسباب التي أدت له والنتائج التي قد تنجر عنه، ويتلخص موقفهما في ضرورة التصدي لهذا الواقع، بل الهروب منه بالهجرة ، فغاب عنهما الأمل في المستقبل في محاولتهم استعادة مجد ماضي لم يعد من الممكن إحياءه لتغير موازين القوى ، فلم يكتف الونشريسي بتحريم الإقامة تحت حكم غير المسلمين، بل ذهب في موقفه إلى حد تكفير المسلمين في حالة عدم الوعي بروح الشريعة ومقاصد كلمة التوحيد، فهو يعتبر "من نشأ بين أظهر المسلمين وهو ينطق بكلمة التوحيد وشهادة الرسول (ص) ويصلي ويصوم إلا أنه لا يعرف معنى لا يضرب له في التوحيد بسهم ولا يفوز منه بنصيب ولا ينسب إلى إيمان وإسلام بل هو من جملة الهالكين وزمرة الكافرين." [1] ونفس هذه النظرة المتشددة يعبر عنها قدور بن رويلة في مآخذه على المفتي بن الكبابطي.

ومما سبق حول مسألة الهجرة بين وجوبها وتركها، وما تعلق بمضمون رسالة قدور بن رويلة التي كتبها في خضم جهاد الأمير عبد القادر، تكتسي إشكالية الهجرة والتعامل مع الآخر أهمية تتجاوز الأوضاع التي اقتضتها والاعتبارات الدينية المتعلقة بها إلى طرحها من خلال نظرة مستقبلية باعتبارها تعبر عن قضية سياسية وموقف أخلاقي وتعامل حضاري يتجاوز الآن التعامل المباشر مع حكم غير المسلمين للمسلمين في بلادهم إلى هجرة المسلمين إلى بلاد غير إسلامية سعيا للعيش وطلبا لحياة أفضل افتقدوها في بلادهم، فبغض النظر عما قد تتسبب فيه الهجرة من فراغ وضعف للوطن بقدر ما تعود عليه مستقبلا بالفائدة من خلال تشكل

---

[1] أبو العباس أحمد بن يحيى الونشريسي، المعيار المعرب، المصدر السابق، ج2، ص ص 382- 384.

جاليات في المهجر متفاعلة مع الآخر ومضطرة للتعامل معه في إطار ضوابط المنافسة والخضوع للقوانين بعيدا عن الأبوية والوصاية والركود والقمع والتدمير الذي تعرفه العديد من البلاد الإسلامية بحجة المحافظة على الذات وعلى التقاليد. وهنا تطرح في هذه الظروف إشكالية الهجرة بين الدعوة لها لخلق مجتمعات إسلامية متطورة في المهجر قد تكون عامل تحفيز للمجتمعات الأصلية الراكدة، أو اعتبارها عملا ضد المصلحة العليا للمجتمعات الإسلامية بحجة أن المعركة، وإن لم تتوفر الشروط، يجب أن تكون في الداخل وأن الهجرة إلى الأقطار غير الإسلامية ضياع للهوية وهروب من واجب التصدي للظلم والقمع الذي يمثل جوهر السلطة في البلاد الإسلامية.

وفي آخر هذا العرض عن رسالة قدور بن رويلة نثبت بعض الاستنتاجات التي تحدد محتوى وظروف ومضامين الرسالة، وتطرح أفكارا تعبر عن إشكالية الهجرة التي طرحتها والآراء المخالفة لها والأهمية التاريخية التي اكتسبتها في بعدها الزمني ومفهومها الحضاري وشحنتها العاطفية، ومع تعدد الاستنتاجات فإننا سوف نحددها في النقاط التالية:

- تعبر الرسالة من خلال وجهة نظر كاتبها عن الصدمة الحضارية والإحباط النفسي الذي أصاب الجزائريين وخاصة الطبقة المثقفة منهم، والتي جعلتهم يرفضون حكم الآخرين لهم ويتخذون موقف الرفض للواقع الاستعماري الذي كانوا يعيشونه.

- تعبر الرسالة من خلال موقف من وُجهت له أو من علّق عليها فيما بعد، عن وجود موقف آخر اضطر إلى التعامل مع الإدارة الاستعمارية بفعل ظروف قاهرة، وبهدف المحافظة على مصالح المسلمين بالبقاء بوطنهم وتمسكهم بعقيدتهم.

- تعرض الرسالة اختلاف المواقف وتعارض الرؤى في شأن التعامل مع الأجنبي غير المسلم، فكانت الغلبة للرأي الرافض الذي عبر عنه قدور بن رويلة في الأول، ثم مالت الكفة للرأي المتقبل للواقع الذي عُرف به ابن الكبابطي بعد نجاح الفرنسيين في مشروعهم الاستعماري وانحسار حركة الجهاد وبداية تراجع الصدمة الحضارية التي أحدثها الغزو الفرنسي، مما تحول معه موقف الهجرة والمقاطعة إلى أسلوب المقاومة المسلحة الشعبية التي استمرت في الجزائر حتى مطلع القرن العشرين.

- تعبر الرسالة في حد ذاتها، من خلال تجريم التعامل مع غير المسلمين المحتلين، عن الطابع الديني لمقاومة الأمير عبد القادر، وتسبغ عليه شرعية تلزم الآخرين بالانضواء تحته ومقاطعة الإدارة الفرنسية، في الوقت الذي تؤكد فيه ارتباط أحكام الشرع وأمور العقيدة بالسياسة وتجعل رجال الدين هم المعبرين عن أوضاع العامة والمؤثرين على توجهاتها.

- تندرج الرسالة ضمن تراكمات التجربة التاريخية في مواجهة الآخر والتصدي لهيمنته، والتي تمثل بالنسبة للجزائر رصيدا تاريخيا ثريا تعود أصوله إلى ضياع الأندلس، وتأكد تواصلها مع تعرض البلاد الجزائرية للاستعمار الفرنسي، مما يطرح مسألة الهجرة من خلال نتائج مأساة الأندلس التي تؤكد الرأي الموجب للهجرة أو واقع الاستعمار في القرن التاسع عشر الذي دعا إلى ضرورة تركها محافظة على الأرض والعقيدة، مما يجعل موضوع الهجرة في عالمنا اليوم شأنا سياسيا و موقفا حضاريا ، تتحكم فيه الظروف المستجدة والأوضاع الخاصة و يتأثر بالاجتهاد المعتمد على قناعات ذاتية ، و أساليب الكفاح و مستوى وعي المجتمعات بذاتها .

- ومن خلال هذه التجربة التاريخية للهجرة التي عبرت عنها رسالة قدور بن رويلة يمكن طرح العلاقة والتعامل مع الآخر بعيدا عن فتاوي الفقهاء، إذ لم يعد للهجرة من الوطن وتركه للآخر مكانا في عالم اليوم، وإنما أصبحت الهجرة تطرح من زاوية أخرى وهي الخروج من الوطن الخاص

إلى الوطن الآخر وتأسيس مجتمعات إسلامية فيه كما هو حاصل الآن ، وهذا ما أصبح ظاهرة عامة في البلاد العربية وتحول بفعل عوامل الطرد الداخلية إلى موجة معاكسة للمد الاستعماري الذي عرفته البلاد الإسلامية في القرن التاسع عشر والنصف الأول من القرن العشرين، التي لم تعد تأتي من الضفة الأخرى وإنما غدت تنتقل إليها لتشكيل مجتمعات إسلامية محلية قد تمثل الأمل في ظروف فشل وفساد وإحباطات الأنظمة الحاكمة في العالم الإسلامي.

ومع ذلك تبقى الآراء التي عبر عنها قدور بن رويلة في خطابه للمفتي ابن الكبابطي معبرة عن روح الجزائر الثائرة الرافضة للخضوع الداعية للجهاد والمفاصلة مع الخصم، كما يظهر تصرف ابن الكبابطي بأنه صادر عن موقف يتجاوز الواقع المعيش ليعبر عما سوف تؤول إليه الأحوال بحيث تحسم المعركة مع الاستعمار داخليا بتشكل المناعة والقدرة الذاتية ومواجهة الواقع وليس الهروب منه كما عملت من أجله الحركة الوطنية وطبقته ثورة التحرير الكبرى.

نص رسالة قدور بن رويلة في شأن مهادنة الفرنسيين والركون إليهم:

الحمد لله هذا ما كتبه قدور بن رويلة [1] إلى فقهاء المسلمين الذميين بالجزائر فاقرؤوه وافهموه وإن وجدتم ردا فردوا وإلا فتوبوا وارجعوا لله تعالى واخرجوا من تحت الذمة والسلام، وأما ما في حواشيها فكتبه السيد علي الحفاف كان مفتي البليدة ثم بالجزائر وتوفي بها ، فيا عجبا وتوليه هذا الوظيف بعدما سبّ أهل الجزائر وأفتى فيهم بالكفر وانظر وتأمل فيه فإنه غريب تستدل به على نقصان عقله.

---

[1] أنظر هامش رقم (3).

بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله على سيدنا محمد وآله وسلم

حضرة الفقيه السيد مصطفى بن الكبابطي مفتي [1] الجزائر في زمن استيلاء لبكفار عليها، ردَّها الله للإسلام، السلام عليكم ورحمة الله وبعد،

فإننا تحاببنا في الله اجتمعنا عليه وافترقنا عليه، وبعد، فقد بلغك عني ما أساءك توهما منك، وبلغني عنك ذلك، أما الذي بلغك عني فهو ما في هذا السؤال والجواب، الذي سماه الونشريسي "أسنى المتاجر في بيان الأحكام فيمن غلب على وطنه النصارى ولم يهاجر" [2]، وقابله إن شئت بأصله تجده حرفا بحرف، وهو مرآتك وأنكر فيه حالك ووصك الآن، وقابله إن شئت بأصله تجده تطابقا في النقل، جزاك الله خيرا. وضع لجوابك إن لم يتطابقا فقد تجرأت عليك وهتكت حرمتك، فتستوجب العقوبة من الله تعالى، وإني لنرضى بك حكما بيني وبينك. وأما الذي قلت في قول المعظم الأمجد، بلغني عنك هو أنك عثرت على كتاب بخطي للكافر فيه المعظم الأمجد وقلت في قولا شنيعا وأوجبت لي به مقتا حتى نوعد في صهرك مصطفى بن المرابط لا طال [الله] قصر يده ولا خرج عنقه من طرفه، فاعلم سيدي أني لم أُكاتب الكافر مستقلا وإنما كاتبته من إذن ساداتنا أمراء الإسلام سيدي الحاج عبد القادر وخلفائه أدام الله دولتهم وأهان على أيديهم أعدائهم، وكنت قبل أربع سنين أكتب المعظم الأرفع فنهاني السلطان فانتهيت وتبت وصرت أكتب إلى عظيم الجنرالات

---

[1] أنظر هامش رقم (7).

[2] أنظر هامش رقم (15).

والكمانضاضات [1] [كذا]، وهذا الذي بيدك، فإن كان قبل مضى الأربع سنين فقد تبت منه، وإن كان بعدها فليس بخطي، فإن مما تلى في الخط ثلاثة كلهم يكتبون للسلطان وخليفته، فلا ترجمني بالغيب، وعلى تسليم إني كتبت هذين اللفظين فقابلهما بواحدة من هذه العشرة، الأولى قابلها بمن يعظم أعياد النصارى ويبارك لهم فيه [كذا]، الثانية قابلها بمن يحضر منكم جنائزهم ويتغير بغيارهم حتى أن يذهب راجلا ولغير جنائزهم راكبا، الثالثة قابلها بمن يشيِّع منكم الجنرال إذا خرج لقتال المسلمين ويدعون له [2]، الرابعة قابلها بمن يتلقى منكم الجنرال إذا رجع من قتال المسلمين ويحييه بالسجود ويتحرى تلك الهيئة المخصوصة التي يستحقها الكافر [3]، الخامسة قابلها بالفقرات البليغة التي هنأ بها المقصوف [كذا] الذي ازداد قطع الله نسله، السادسة قابلها بالأبيات الأربعة [كذا] التي مدح بها ولد الراي [4] وشبهه بالنبل وأسبغ [كذا] في وقت بفضله عليكم وقتاله للمسلمين واعتنى بشأنها ورسمت في الرخامة [كذا] في داخل الجامع الكبير الذي تدعون أنهم بركتكم وبُنِيَتْ على بابه [5]، السابعة قابلها

---

[1] عظيم الجنرالات هو الحاكم العسكري الفرنسي ويعني به الجنرال بيجو الذي حكم الجزائر من 1840 إلى 1847، والكومانضاضات أي الكومندانات وهم ضباط الجيش الفرنسي(Commandants).

[2] تعليق ابن الحفاف: "لأن كبراء الجزائر يذهبون إلى النصارى في الأعياد ويباركون لهم فيهم وذلك واهٍ وابن الكبابطي نفسه ذهب إلى جنازة النصارى راجلا وإلى جنازة أخيه راكبا.

[3] تعليق ابن الحفاف: "والمفتي نفسه يحيي الكافر بالسجود."

[4] تعليق ابن الحفاف: "وهو المفتي الذي قال القصيدة يمدح بها ولد الراي"، ويقصد بولد الراي (Roi) ابن ملك فرنسا لويس فيليب (Louis-Philippe) وهو دوق أورليان (Duc d'Orléans).

[5] تعليق ابن الحفاف: "والمفتي هو الذي اعتنى بشأنها وكتبها في الرخامة".

بتهيئة البلغة لرِجْل ولد الراي [1] بباب الجامع الكبير [2] يوم زاره، الثامنة قابلها باجتماعكم في دوار وكيل الراي يوم يولى القاضي أو المفتي وأنتم منكسو [كذا] الرأس تحت البندرة والحجرة التي عليها صورة الراي [3]، التاسعة قابلها بمشاهدتكم أخوكم ومرافقتكم له حين يقول وهو محتار: باللّه الذي لا إله له ما يعصي راي فرنسا ولا يخرج عن طاعته، العاشرة: قابلها بمن... يكتب من [كذا] عدو لكم ويُسيِّد اليهود والنصارى في وثيقة مالك [كذا]، فإذا قابلت كتابي الذي عندك بواحدة من هذه، أنظر من يستوجب العقوبة منا، ولعلكم ظننتم إن خرجتم من الجزائر أن اللّه لا يعبد وشريعة محمد لا تصان، ولولا قوله صلى اللّه عليه وسلم تسليما أن اللّه ليُسأل من صحبة ساعة، وقوله عليه الصلاة والسلام المؤمن مرآة أخيه المؤمن وما كتبت لكم حرفا، وفي هذا السؤال والجواب ما بفصح لكم بحالكم الواقعة لكم في الدين، بل في دعائم الإسلام الخمس، واللّه يرشدكم.

---

[1] تعليق ابن الحفاف: "والمفتي هو الذي ألبس ولد الراي البلغة الصفراء من يده إلى رجل الكافر والنس ينظرون."

[2] الجامع الكبير أو الجامع الأعظم هو المسجد الكبير في الجزائر العاصمة مقر المفتي المالكي ، بناه يوسف بن تاشفين في العاصمة، الجزائر في سنة 489 هـ/1097 م، ويقع المسجد في شارع البحرية أسفل المدينةو بالقرب منه الجامع الجديد مقر المفتي الحنفي الذي يعود بناؤه إلى سنة 1070 هـ 1664 م .

[3] البندرة يقصد به العلم أو الراية؛ والحجرة هي بهو الاستقبال حيث عُلقت على أحد الجدران صورة ملك فرنسا.

وهذا جواب الونشريسي: أسنى المتاجر في بيان أحكام من غلب على وطنه النصارى ولم يهاجر.[1]

بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله على سيدنا، كتَب الفقيه أبو عبد الله بن قَطِيَّة أدام الله سمُوه ورُقِيَّه ، بما نَصُّه، الحمد لله وحدَه والصلاة والسلام على رسول الله، جوابَكم يا سيِّدي رضي الله عنكم ومتَّعَ المسلمين بحياتكم في نازلةٍ وهي : رجل من أهل مربلة معروف بالفضل والدين تخلف عن الهجرة مع أهل بلده ليبحث عن أخ له فُقِدَ قَبْلُ في قتال العدو بأرض الحرب، يبحث عن خبره إلى الآن فلم يجده، وأيس منه، ما أراد أن يهاجر يعرض له سبب آخر، وهو أنه لسانٌ وعونٌ للمسلمين الذميين حيث سكناه[2]، ومن جاورهم أيضاً من أمتهم بقرية الأندلس يتكلم عنهم مع حكام النصارى فيما يعرض لهم معهم من نوائب الدهر ويخاصم عنهم ويُخَلِّصُ كثيراً من ورطات عظيمة بحيث إنه يعجز عن تعاطي ذلك عنهم أكثرُهم بل قلَّ ما يجدون مثله في ذلك البر إن هاجر، بحيث إنهم يلحقهم في فقده ضرر كبير إن فقدوه فهو يرخص له في الإقامة معهم تحت حكم الملة الكافرة لما في إقامته هناك من المصلحة لأولئك المسلمين الذميين[3]، مع أنه قادر على الهجرة متى شاء ولا يرخص له إذ لا رخصة لهم أيضاً في إقامتهم هناك لأنهم تجري عليهم أحكام الكفر ولا سيما وقد سمح لهم في

[1] أنظر هامش رقم (15).

[2] علق على ذلك ابن الحفاف في هامش الرسالة بعبارة: "مثل الشيخ مصطفى بن الكبابطي وأمثاله."

[3] علق على ذلك ابن الحفاف بعبارة: "مثل مصطفى بن المرابط ومصطفى المصطول."

الهجرة مع أنَّهم قادرون عليها متى أحبوا [1]، على تقدير أن لو رُخِّصَ له في ذلك فهل يرخص له أيضاً في الصلاة بثيابه حسب استطاعته إذ لا تخلو في الغالب عن نجاسة لكثرة مخالطته للنصارى [2] وتصرفه بينهم وفي ديارهم في خدمة المسلمين الذميين حسبما ذُكر، بيِّنوا لنا حكم اللّه في ذلك كلِّه مأجورين مشكورين إن شاء اللّه تعالى، والسلام.

فأجبته بما نصه :

الحمد للّه تعالى وهذا الجواب، واللّه الموفق. إن إلهنا الواحد القهار ، قد جعل الجزية والصَغَار في أعناق ملاعين الكفار سلاسلاً وأغلالاً يطوفون بها في الأقطار وفي أمهات المدائن والأمصار إظهاراً لعزة الإسلام وشَرَفاً لنَبِيِّهِ المختار، فمن حاول من المسلمين انقلاب تلك السلاسل والأغلال في عنقه فقد حادّ اللّه ورسوله وعرض عن نفسه إلى سخط العزيز الجبار ، وحقيق أن يكبكبهُ اللّه معهم في النار، {كَتَبَ اللَّهُ لأَغْلِبَنَّ أَنَا ورُسُلِي إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ } [3]. فالواجب على كل مؤمن يؤمن باللّه واليوم الآخر السعي في حفظ رأس الإيمان بالبعد والفرار عن مساكنة أعداء حبيب الرحمن ، والاعتلال لإقامة الفاضل المذكور بما عرض من غرض الترجمة بين الطاغية وأهل ذمته من العصاة، لا يخلص من واجب الهجرة [4]،

---

[1] علق على ذلك ابن الحفاف بعبارة: "خصوصا مصطفى بن المرابط ومصطفى المصطول ومصطفى بن الصبايحي ومصطفى المفتي ومصطفى الحرار لأنهم يُقتدى بهم."

[2] علق على ذلك ابن الحفاف بعبارة: "والمخالطة مَشْنٌك بينهم في الزمان والمكان ناجسة."

[3] قرآن كريم، سورة المجادلة، آية 21.

[4] علق عليها ابن الحفاف بعبارة تعبر عن رأي قدور بن رويلة: "ومن تسفيلك بافقيه للكلمة المشرفة أن تذهب بجلال قارك لدار الطوبنار لأن تؤدي شهادة ولا يسمعها منك قدور بن

ولا يتوهم معارضةَ ما سطّر في السؤال من الأوصاف الطردية لحكمها إلا متجاهل أو جاهل معكوس الفطرة ليس معه من مدارك الشرع خبرة؛ لأن مساكنته الكفار من غير أهل الذمة والصغار لا تجوز ولا تباح ساعة من نهار لما تنتجه من الأدناس والأوضار والمفاسد الدينية والدنيوية طول الأعمار [1] ، وإن غرض الشرع أن تكون كلمة الإسلام وشهادة الحق قائمة على ظهورها عالية على غيرها ، منزهة عن الازدراء بها ومن ظهور شعائر الكفر عليها لأن مساكنتهم تحت الذل والصغار تقتضي ولا بد أن تكون هذه الكلمة المشرفة العالية المنيعة سافلةً لا عالية وتزدري بها لا منزّهةً، وحسبك بهذه المخالفة للقواعد الشرعية والأصول ومن يتحملها ويصبر عليها مدة عمره من غير ضرورة ولا إكراه ومنشئها أن كمال الصلاة التي تتلو الشهادتين في الفضل والتعظيم والإعلان والظهور لا يكون ولا يُتصور إلا بكمال الطهارة والعلو والنزاهة من الازدراء والاحتقار ومساكنة الكفار وملاسنة الفجار تعريضها للإضاعة والازدراء واللهو واللعب [2]، قال اللّه تعالى : {وإِذَا نَادَيْتُمْ إِلَى الصَّلاَةِ اتَّخَذُوهَا هُزُواً ولَعِباً ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لاَّ يَعْقِلُونَ } [3].

وحسبك بهذه المخالفة أيضاً ومنها إيتاء الزكاة ، ولا يخفى على ذي

تركية حتى تحلف أن شهادتك لحق، ثم يسمعها منك، آه على همتك وآه على قولك وآه على معرفتك وآه على خشيتك آه آه آه..." ويقصد بكلمة تسفيلك: حطك من قيمة الشيء وجعله سافلا، ويعني بدار الطوبنار المحكمة (Tribunal).

[1] علق عليها ابن الحفاف بعبارة: "وأنتم بافقهاء الذميين قد عرّضتم الصلاة للإضاعة والازدراء واللهو واللعب واللّه عليكم يا ذميين فهل يستهزئ الكفار بالمؤذنين أم لا، اللّه عليكم، والكافرة [الكفرة] معه وهم يضحكون هل يمشي الكافر بين صفوف المصلين ولا يقدر أحدكم أن يمنعه أم لا، أم تقولون أذلك ليس لهو ولعب وازدراء بالصلاة لطمس بصيرتكم.

[2] علق ابن الحفاف على ذلك: "واللّه عليكم يا أهل الجزائر أي شعيرة عندكم في الجزائر أظهر، شعيرة الإسلام أو شعيرة الكفر."

[3] قرآن كريم، سورة المائدة، الآية 58.

بصيرة وسريرة مستتيرة أن إخرج الزكاة للإمام من أركان الإسلام وشعائر الأنام ، وحيث لا إمام بلا إخراج لعدم شرطها ولا زكاة لفقد مستحقها، فهذا أزكى مع أركان الإسلام انهدم بهذه الموالاة الكفرانية [1]، وأما إخراجها لمن يستعين على المسلمين كإعطائكم أماكن الحبس وبيت المال من يستعين بها علينا وصبركم ورضالكم بذلك حيث بقيتم تحت ذمته [2] ولا يخفى أيضاً ما فيه من المناقضة للتقييدات الشرعية كلها [3]. ومنها صيام رمضان ، ولا يخفى أنه فرض على الأعيان وزكاة الأبدان وهو مشروط برؤية الهلال ابتداءً وانقضاءً ، وفي أكثر الأحوال إنما تثبت الرؤية بالشهادة والشهادة لا تؤدى إلا عند الأئمة وخلفائهم ، وحيث لا إمام لكم ولا خليفة فلا شهادة [4]، إذا فالشهر إذ ذاك مشكوك الأول والآخر في العمل الشرعي

---

[1] مثلكم يا سكان الجزائر ولا طهارة لكم ولاطهارة لكم وفي آخر الجواب ترى النص.

[2] تعليق ابن الحفاف : "أما ملابستك للنجاسة في حال قضايك أو مثواك مع النصارى في مشيك في الزقاق لا يخفى ولكن تطئون البساط الذي بين يديه بنعالكم على ما تعلق بها ويأتيك للتمكن في الدين مصطفى المصطول فيجلس أين يضع الكافر نعله بنجاسته، ومن ذلك المجلس يذهب للصلاة، فقل أين ورعه، أعمى الله بصيرته وكان قال أنه يعبد الله في بيت الكافر ولا يهاجر فتباً له من جاهل."

[3] تعليق ابن الحفاف : "وجعل الصليب في محراب جامع كجارة [جامع كتشاوة] وجوازكم تحت رب النصارى [القديس] في بلدكم في الحكام الكبير وجلوس علمائكم مساوين مع علماء اليهود وتحت الحجرة التي على صورة الراي (الملك) لأنتم يا ذميين ومن مثلكم، جهل هذه الأشياء تسفيل للكلمة المشرفة وازدراء بها أم لا يا ذميين؟

[4] تعليق ابن الحفاف : "ولكم يا ذميين أن تقولوا كيف الجنرال يخرج كزيطة [نشرية] يقول فيها هذا رمضان المسلمين تفضلت عليكم بثلاثين مدفعا [أي طلقة مدفع عند الإفطار] فإذا الصيام صحيح وذلك بعد أن يُخبر القاضي برمضان فيأذن لكم في شعيرة رمضان. ما أضعف إيمانكم وما أقل دينكم وما أضعف عقولكم وما أضعف غيرتكم وأقواها على [على

. ومنها حج البيت والحج وإن كان ساقطاً عنهم لعدم الاستطاعة لأنها موكولة إليهم ، فالجهاد لإعلاء كلمة الحق ومحو الكفر من قواعد الأعمال الإسلامية وهو فرض على الكفاية وعند مسيس الحاجة ، ولا سيما بمواضع هذه الإقامة المسؤول عنها وما يجاورها [1] ، ثم هم إما ضرورة مانعة منه على الإطلاق والعازم على تركه من غير ضرورة كالتارك قصداً مختاراً ، وإما مقتحمون نقيضه بمعاونة أوليائهم على المسلمين إما بالنفوس وإما بالأموال ، فيصيرون حينئذ حربيين مع المشركين [2]. وحسبك بهذه مناقضة وضلالة وقد اتضح بهذا التقرير نقص صلاتكم وصيامكم وزكاتكم وجهادكم ، وإخلالُكم بإعلاء كلمة الله وشهادة الحق ، وإهمالكم لإجلالها وتعظيمهما وتنزيهها عن ازدراء الكفار [3] وتلاعب الفجار [4] ، فكيف يتوقف متشرع أو يشك متورع في تحريم هذه الإقامة مع استصحابها لمخالفة جميع القواعد الإسلامية الشريفة الجليلة وما ينضم إليها ويفقر بهذه المساكنة المقهورة فما لا ينفك عنها غالباً من التنقيص

المسلمين] حتى يتنافس عليها الحرار وابن المسيسي، ويلقى بعضكم بعضا ويقول ابن المسيسي: (أنه ولاّه النبي صلى الله عليه وسلم في هذه الخطة، فكيف يولّيه الرسول (ص) وهو يحلف لوكيل الراي لا يخرج عن طاعة الفرنصيص)."

[1] تعليق ابن الحفاف : "مثل الخشنة وبني موسى وبني خليل والسواحل والفحصية، فقد أباح الشرع [دماءهم] وأموالهم لنا معشر المسلمين، عند مالك وأبي حنيفة ومن قال بقولهما: أن العاصي... ما لم يحز المسلم ماله بدار الإسلام، وإلا فما بقي ذلك في دار الكفر فهو... للمسلمين الخ من المعيار." انتهى تعليق ابن الحفاف ويقصد بذلك سكان أوطان دار السلطان القريبة من مدينة الجزائر التي استولى عليه الفرنسيون وأخضعوا سكانها ووطّنوا بها المعمرين.

[2] تعليق ابن الحفاف : "مثلك يا فقيه وكل من ألقى بنفسه فهو مقتد بك."

[3] تعليق ابن الحفاف : "مثل أن يتطاول عليك أقل اليهود ولا يعتبرك."

[4] تعليق ابن الحفاف : "مثل أن تمشي والرمي كاشف عورته قبالتك وأنت مفتي مذهب مالك وتنظر عورة الكافر وهو يبول ويتغوط ولا يعتبرك."

الدنيوي وتحمل المهانة والمذلة [1]، وهو مع ذلك مخالف لمعهود عزة المسلمين ورفعة أقدارهم وداع إلى احتقار الدين واهتضامه ، وبقي أمور تصطك منها المسامع، منها الإذلال والاحتقار والإهانة [2]، وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم تسليما : (لا ينبغي لمسلم أن يذل نفسه)، وقال : (اليد العليا خير من اليد السفلى).

ومنها الازدراء والاستهزاء ، ولا يتحملهما ذو مروءة فاضلة من غير ضرورة. ومنها الإذاية في العرض ، وربما كانت في البدن والمال ، ولا يخفى ما فيه من جهة السنة والمروءة . ومنها الاستغراق في مشاهدة المنكرات والتعرض لملابسته بالنجاسات وأكل المحرمات والمتشابهات . ومنها ما يُتوقَّع مَخُوفاً في هذه الإقامة وهو أمور أيضاً منها نقض العهد بين الطاغية

---

[1] تعليق ابن الحفاف : "وكانت مروءتك وعزتك وقدرك أعظمن من أن أصفها بحيث لا ترضى الذباب ينزل عليك ولا البراغيث حتى تقوم للكافر وتصافحه وتطول معه في المصافحة ويده لا تخلو من نجاسة غالبا إما خمر ولا يغسلون يدهم منه لأنهم لا [...] وإما بول لأنهم يبولون في أي موضع ورد عليهم ولا ينتشفون، فلا تخلو مكسورته من نجاسة وتصافحه أنت وربما تصلي بعد ذلك من غير أن تغسل يدك ولو جاءك فقير مسلم لاستقدرته [...] يا الله عليك يا سيد مصطفى بن الكبابطي هل العزة التي كنت تجدها في زمن الإسلام وداره وجدتها في هذا الزمان وفي هذه [...] وإن قلت أنك [...] فالله يعظم أجرك."

[2] تعليق ابن الحفاف : "واذكر يوم خرجت وبصق كافر على وجهك ومسحت تلك البصقة على وجهك وحمدت الله زعما منك أنك صابر وذلك في ذل وإهانة صبرت عليها لفان الدنيا والله يشهد أن كثيا من الناس يعتقدون في زمان الإسلام أن ليس أفضل من مروءتك وقد خاب ذلك الاعتقاد حتى صرت ترى بالاستهزاء بك وبأمثالك وبالدين."

والتسلط على النفس والأهل والولد والمال [1]، وقد روي أن عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه نهى عن الإقامة بجزيرة الأندلس مع أنها كانت في ذلك الوقت رباطاً لا يُجهَل فضلُه ومع ما كان المسلمون عليه من القوة والظهور ووفور العَدَد والعُدّة ، مع ذلك نهى عنه خليفة الوقت المتفق على فضله ودينه وصلاحه ونصيحته لرعيته خوف التغرير، فكيف بمن ألقى نفسه وأهله وأولاده بأيديهم عند قوتهم وظهورهم وكثرة عَدَدِهم ووفور عُدَدِهم اعتماداً على وفائهم بعهدهم في شريعتهم ونحن لا نقبل شهادتهم بالإضافة إليهم فضلاً عن قبولها بالإضافة إلينا ، وكيف نعتمد على زعمهم بالوفاء مع ما وقع من هذا التوقع ومع ما يشاهد له من الوقائع، فمن بحث واستقراء الأخبار في معمور الأقطار، ومنها الخوف على النفس والأهل والولد والمال أيضاً من شرارهم وسفهائهم، وهذا أيضاً تشهد به العادة ويقرّ بها الوقوع . ومنها الخوف من الفتنة في الدين [2]، وهب أن كبار العقلاء قد يأمنونها فمن يؤمن الصغار والسفهاء وضعفة النساء إذا انتدب إليهم دهاقين

---

[1] تعليق ابن الحفاف : "وما أكل المحرمات والمتشابهات فقد بلغنا أن سيدكم غرناويط المنتمي الذي يجلس في الدار التي كانت محكمة القضاة الحنفية في عهد الإسلام ذهب يوما إلى الجنرال في موسمه يبارك له فيه فشرب متشابها حتى ذكره مصطفى بن [...] لمعرفته به وممارسته له، فهذا ما نشأ عن مخالطتهم، وانسررت بذلك وحكيتها بملإ في سيدي عبد الرحمن الثعالبي بدار الوكيل على ذمتك الحالية لفضيلة حماد [...] أحد اليوم حيث فتح السلطان نصره الله بيت المال وأعطى الكراء للمهاجرين والدار والقمح والدراهم [...] الوضيف والرفعة والجاه والعظمة النافذة فلا حجة لك يا سيد مصطفى."

[2] تعليق ابن الحفاف : "وشاهدتم المنكرات ودائما لا يبطل."

الأعداء وشياطينهم. ومنها الخوف من الفتنة على الإبضاع والفروج [1] ، ومتى يأمن ذو زوجة أو ابنة أو قريبة وضيئة أن يعثر عليها وضيع من كلاب الأعداء وخنازير البُعَداء فيغرّها في نفسها ويفترشها في دينها ويستولي عليها فتطاوعه ويحال بينها وبين وليِّها بالارتداد والفتنة في الدين كما عرض لكَنّة المعتمد بن عباد ومن لها من الأولاد ، أعاذنا الله من البلاء وشماتة الأعداء [2]. ومنها الخوف من سريان سيرهم ولسانهم و لباسهم وعوائدهم المذمومة إلى المقيمين معهم بطول السنين [3]، كما عرض لأهل آبُلّة وغيرهم وفقدوا اللسان العربي جملةً ، وإذا بعد اللسان العرب جملةً فقدت متعبداته وناهيك من فوات المتعبدات اللفظية مع كثرتها وكثرة فضلها. ومنها الخوف من التسلط على المال بإحداث الوظائف الثقيلة والمغارم المجحفة المؤدية إلى استغراق المال وإحاطة الضرائب الكفرية به في دفعة واحدة في صورة ضرورة وقاية أو دُفَع، وإما استناد إلى تلفيق من العذر والتأويل لا تستطاع مراجعتهم فيه ولا مناظرتهم عليه ، وإن كان في غاية من الضعف ووضوح الوهن والفساد، فلا يقدم على ذلك خوفاً من أن يكون سبباً بتحريك دواعي الحقد ونقض العهد والتسلط على النفس والأهل والولد [4]،

[1] تعليق ابن الحفاف : "وكفى شهيدا أو إقرارا بوضوح المزوار اليهودي والرومي وأنها الفاحشة يستحيى أن يذكرها وأنت [...] صابر لإذايتها ومنكرها. واهٍ عليك ثم آه عليك.

[2] تعليق ابن الحفاف : "بأي جواب تجيب عن رضاك بهذ الفواحش [...] صابرا بها والله أعزك بالهجرة."

[3] تعليق ابن الحفاف : "والسلطان بالعِطا وكيف لانحاف الفتنة والرجل مع حريمه بنته وأخته وزوجته وأمه وإما في جوارهم وإما جائزون في الزقاق مع الرجال يهودا ونصارى أو ذميين معكم ويصهلون بأعلى أصواتهم في كل وقت وفي كل ساحة فيذهب حياء الرجل وحريمه."

[4] تعليق ابن الحفاف : "والله عليكم هذا الأمر وقد وقع هذا الكلام العظيم الهايل وعلى مثلها."

وهذا يشهد له الوقوع عند من بحث، بل ربما وقع في موضع النازلة المسؤول عنها وفي غيره [...] فقد ثبت بهذه المفاسد الواقعة والمتوقعة تحريم هذه الإقامة وحظر هذه المساكنة المنحرفة عن الاستقامة من جهات مختلفة متعاضدة مؤدية إلى معنى فاحش [1] بل قد نقل الأئمة حكم هذا الأصل إلى غيره لقوته وظهوره في التحريم ، فقال إمام دار الهجرة أبو عبد الله مالك رضي الله عنه : [...] الهجرة تعطي أن كل من يخرج من البلاد التي تُغَيَّرُ فيها السنن ، ويعمل فيها بغير الحق، فضلاً عن الخروج والفرار من بلاد الكفرة وبقاع الفجرة [...] تركي لأهل التثليث أمة فاضلة [...] وترضى بالمقام بين أظهر الأنجاس الأرجاس وهي تعظِّمه [وتمجِّده] فلا فسحة للفاضل المذكور [2] في إقامته بالموضع المذكور للغرض المذكور، ولا رخصة له ولا لأصحابه فيما يصيب ثيابهم وأبدانهم من النجاسات والأخباث، إذ العفو عنها [3] مشروط بعسر [...] والتحرُّز ، ولا عسر مع اختيارهم للإقامة والعمل على غير استقامة، والله تعالى وبه التوفيق وكتب [...] على من يقف عليه من أهل لا إله إلا الله محمد رسول الله [...] الراغب في بركة من يقف عليه وينتهي إليه عبيد الله أحمد بن يحيى بن محمد بن علي الونشريسي وفقه الله تعالى.

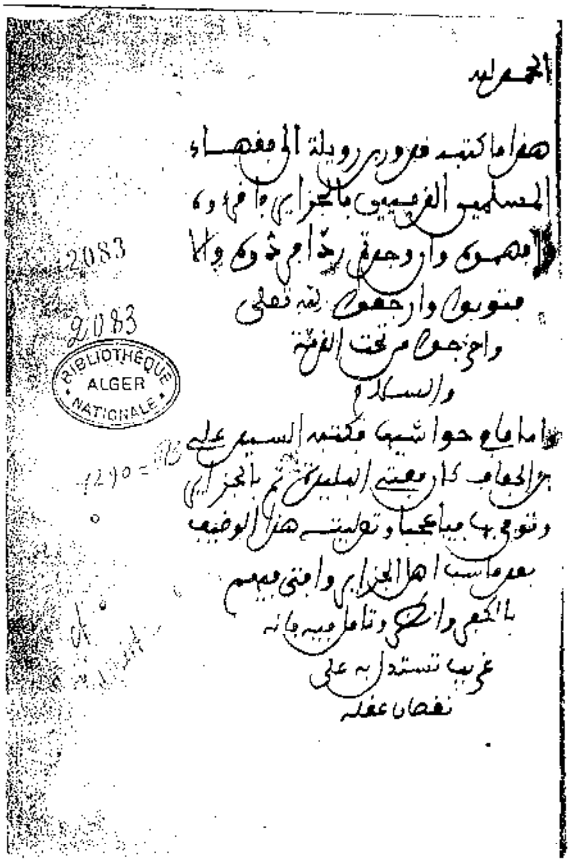
انتهى بحمد الله تعالى وحسن عونه آمين.

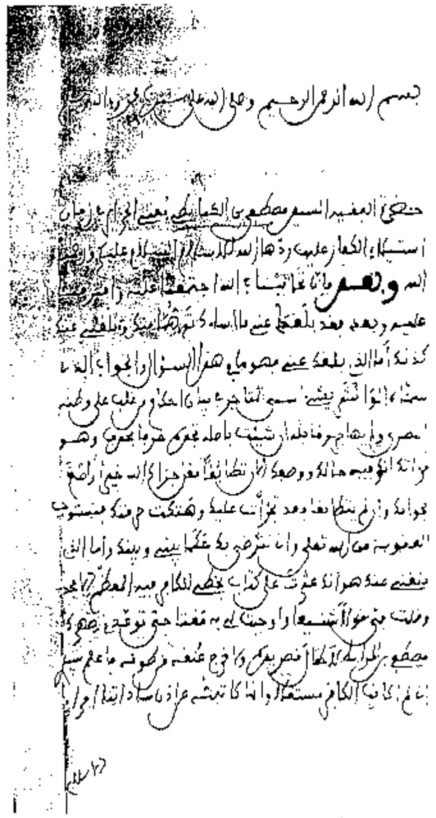
---

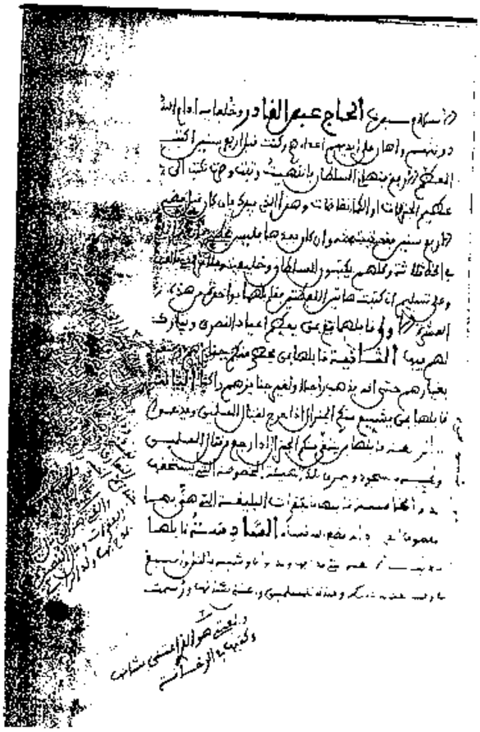
[1] تعليق ابن الحفاف : "هرب أنت ووقع في مثلها قاضيكم ابن المسيسي، وأخرج المرأة من حبسه وأعطاها للكافر برضاه وهو مجتمع بالبيت زعما منه أن الله لا يلبسه رداءها وأنت صابر، الله عليك."

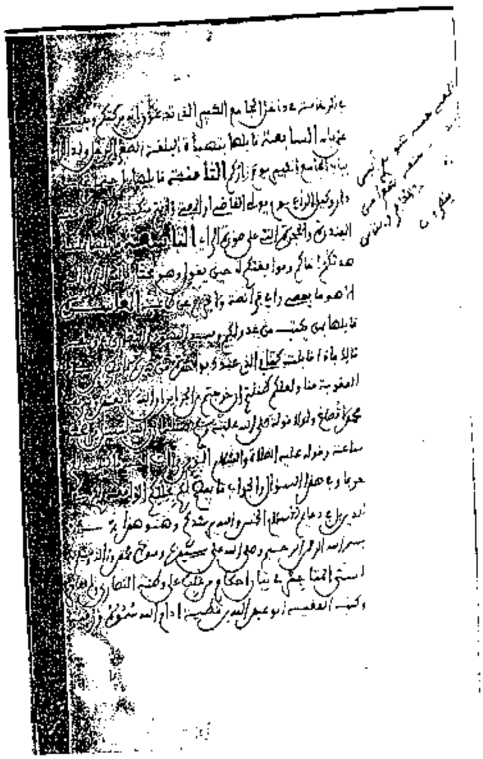
[2] يعني القاضل الذي يتكلم مع الطاغية على الذميين.

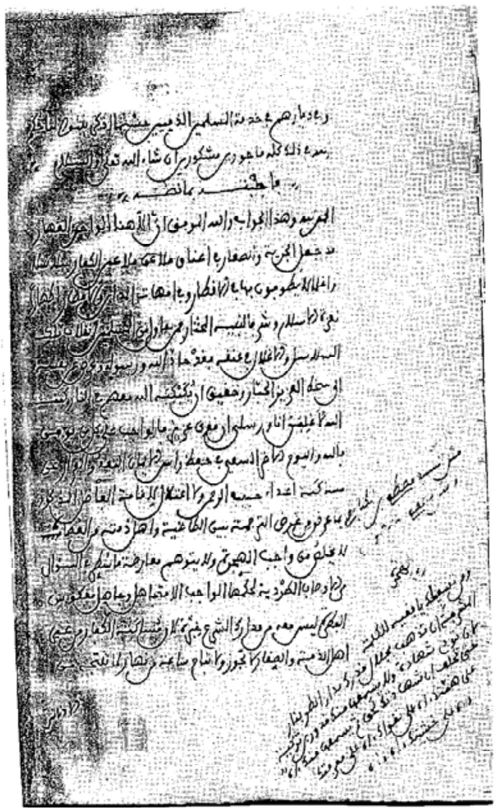
[3] تعليق ابن الحفاف : فالضمير في عنهم في الآية الشريفة، راجع من سقطت عنهم الهجرة الذين لا يستطيعون حيلة ولا يهتدون سبيلا لا أنتم يا أهل الملا."


الحمد لله
هذا ما كتبه فردريك روبلة إلى فقهاء
المسلمين الفرنسيين بالجزائر وأمرهم و
أن يصونوا وأن يحفظوا ما أمرتكم به وإلا
فتوبوا وارجعوا إلى الله تعالى
واخرجوا من تحت الفرنسة
والسلام
وأما ما في حواشيه فكتبه السيد علي
بن الحفاف كان مفتي المالكية ثم بالجزائر
وتوجب فيها عجبا وتوليته هذا الوظيف
بعد ما سب أهل الجزائر وأفتى فيهم
بالكفر والشرك وتأمل فيه فإنه
غريب تستدل به على
نقصان عقله
2083
BIBLIOTHÈQUE ALGER NATIONALE


بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله على سيدنا محمد وآله










5

بانصه الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله جوابكم يا
سيدي رضي الله عنكم ومتع المسلمين بحياتكم في نازلة وهي رجل
من أهل مزونة [illegible] بالفضل والدين تخلف عن الهجرة مع أهل بلده [illegible]
[illegible] العدو [illegible] بحيث [illegible]
[illegible]
وعون للمسلمين [illegible]
[illegible] الاندلس [illegible] مع حكام النصارى [illegible]
[illegible] الذمي [illegible] عنهم [illegible] كثيرا [illegible]
[illegible] ذلك عنهم [illegible]
[illegible]
[illegible] الاقامة [illegible]
الاقامة [illegible] المصلحة [illegible] المسلمين الذين [illegible] على
الهجرة [illegible] لهم [illegible] هناك
[illegible] عليهم احكام الكفر [illegible] الهجرة مع
انهم قادرون عليها [illegible]
[illegible]
[illegible] النصارى [illegible]

شواهد تاريخية على عالمية الأمير عبد القادر

د. بن داهة عدة، جامعة معسكر

الأمير عبد القادر هو مفخرة ليس للجزائر فقط، وإنما للأمة العربية والإسلامية جمعاء بل وأكثر من ذلك فهو أحد أخير النماذج للإنسانية في عصره. ولم يكن هذا الرجل الذي وُلد عام **1807**م، بقرية القيطنة الصغيرة وسط جبال بني شقران يعلم أنه سيكتسب شهرة وشأنا.

والمعروف عن الأمير عبد القادر أنه كان جزائريا- عربيا- مُسلما في جميع آرائه العقائدية ومُيوله السياسية، ولن يُعرَف أحد من المؤرخين المهتمين بتاريخ الجزائر الحديث لم تستهويه هذه الشخصية التي عرفت بحبها للوطن والإخلاص له، والغيرة عليه، والذود عنه.

ما هي الشواهد التاريخية التي أكسبت الأمير عبد القادر صفة الشخصية العالمية، وجلبت إليه انتباه الآخرين؟

1- مشروع الأمير عبد القادر لبناء دولة وطنية حديثة: وهذا ما لم تحققه دول أوروبية إلا في مرحلة متأخرة من القرن **19**م وبداية القرن **20**م (إيطاليا: **1866**)، (ألمانيا: **1871**)، وإن كان محمد علي باشا سبقه إلى هذه التجربة في مصر (**1805- 1840**)، فإن الأمير عبد القادر يُعدُّ أول مؤسس لدولة حديثة على مستوى الوطن العربي، حيث اشتهرت النظارات (الوزارات) التي أنشأها بأنها من أفضل الوزارات التي عرفها القرن **19**م.[1]

إن الإنجازات التي حققها الأمير عبد القادر أزعجت الدول الأوروبية ذات النزعة الاستعمارية وجلبت إليها اهتمامها، فلم يعجبها سعيه لتوحيد أجزاء البلاد المنفصلة سياسيا، و جمع شمل القبائل وإلغاء العصبيات وتقاليد النظام القديم[2] بتأسيس نظام حكم مركزي بعيدا عن الولاءات للزعامات الدينية، وإنشاء جيش نظامي على شاكلة الجيوش الأوروبية، حيث أشعر

السياسي الفرنسي "ألكسيس دي توكفيل" سنة **1841** بخطر الأمير عبد القادر على مستقبل فرنسا في الجزائر[3]

2- **بذل الأمير عبد القادر لجهود مضنية في توحيد البلاد، ولم شمل الأمة،** حيث نجح في استمالة بعض الزعماء والقادة من أمثال الحسن بن عزوز، ومحمد الصغير بن عبد الرحمن، ومحمد الحسناوي بن بلقاسم شيخ الحنانشة، وعلي بن سالم الورقلي، وإبراهيم بن عودة قائد الناحية الشرقية[4] ، وجرهم لتأييده والانضواء تحت حكمه[5]

3- **فرضُ الاعتراف بالدولة الجزائرية الفتية،** وذلك من خلال معاهدتي "دي ميشال" (**1834/02/26**)، والتافنة (**1837/05/30**) مع فرنسا التي اعترفت له بالسلطة على ثُلثي البلاد.

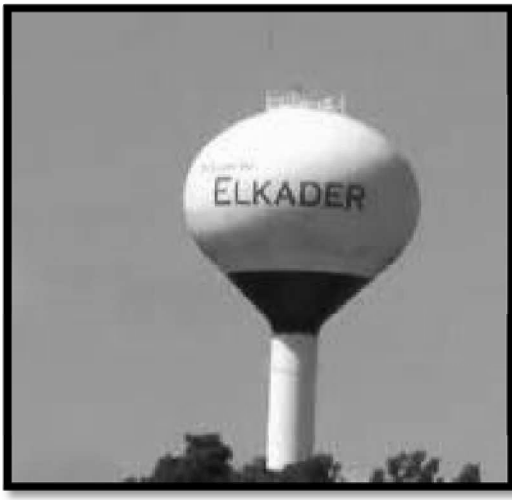
4- **الاجتهاد في إقامة علاقات دبلوماسية وتجارية مع دول حوض المتوسط وإنجلترا، والولايات المتحدة الأمريكية.**

5- **إدانة بعض الصُحف الشعبية للحرب التي كانت تخُوضها فرنسا ضد الجزائر** وتقديرها لجهود الأمير عبد القادر في صد العدوان الفرنسي كما يشهد على ذلك المقال الصادر تحت عنوان «Algiers» في جريد «le blackwood Edinburgh magazine» في فبراير **1840**، وكذلك المقالات التي نشرت في جريدة «The illustrated london» فيما بين **1842- 1847** مرفقة بصور ورسومات وتعاليق عن الجزائر وكفاح الأمير عبد القادر.

ومن هذه الجرائد العدد الصادر في **1845/10/18** الذي خُصّص بالكامل لكفاح الأمير عبد القادر والحامل لصُورة مكبرة له في أول صفحاته[6] ، (وللعلم فقد نُشر هذا العدد بعدما نقضت فرنسا وُعودها مع الدولة الجزائرية واستأنفت الحرب، فازداد بذلك سخط المُراقبين الأجانب ضد فرنسا، بما في ذلك أوروبا نفسها)[7].

ومن ذلك أيضا نشر مقالات عن كفاح الأمير عبد القادر في أعداد كثيرة من صحيفة «littel's living Age» الأمريكية حيث خُصص العدد الصادر في السداسي الأول من سنة **1846** لهذه الجريدة بالكامل للأمير عبد القادر.

6- مبادرة ثلاثة معمرين أمريكان خلال شهر جوان 1846 بتسمية قريتهم شمال شرقي ولاية IWOA **باسم** «El Kader» تقديرا لجهود الأمير عبد القادر- ولم يكن اختيارهم تلقائيا- .



نصب تذكاري أقيم بمدينة الكادر بولاية آيوا في الولايات المتحدة الأمريكية

7- اهتمام روسيا بالأمير، ولعل هذا الاهتمام ينبع من كونه يخوض حربا ضد الاحتلال الفرنسي شبيهة في أسلوبها وأهدافها لمقاومة الإمام محمد عبد القادر شامل في القفقاص ضد روسيا القيصرية، ويظهر ذلك في كتاب للرحالة الروسي "إدوارد إيخانفالد" الصادر في سان بطرسبرغ" عام **1847** تحت عنوان "نبذ حول رحلة إلى الجزائر" يصف فيه الأمير عبد القادر بقائد العرب الهُمام، ويقارن فيه بينه وبين إمام داغستان محمد عبد القادر

شامل، كما يظهر هذا الاهتمام في كتاب "الجزائر في العصر الحديث للمؤرخ العقيد "يُوغدانوفيتش" الذي صدر عام **1849** بـ "سان بطرسبرغ"، ونفس الاهتمام يظهر مرة أخرى في كتاب العقيد "ميخائيل دختوروف" الصادر عام **1863** تحت عنوان "رحلة إلى الشرق بمدينة "سان بطرسبرغ" (و للعلم فإن هذا الكاتب قد زار الأمير عبد القادر في دمشق وتلقى منه نصائح في انتقاء الخيول العربية الأصيلة)[8]

وهكذا أصبح الأمير عبد القادر معروفا عالميا (الو.م.أ، فرنسا، روسيا...) بسبب نضاله ضد الاستعمار الفرنسي، كما أن المعارك التي خاضها لا يزال صداها يرنُّ في الآذان حتى اليوم.

وتتجلى شخصية الأمير القادر العالمية في الرسوم واللوحات الزيتية لكبار الرسامين في العالم، منها ستُ **(06)** لوحات لوجه الأمير عبد القادر **(Portrais)**.

- **الأولى**: رُسمت له في قلعة "لا مالق" في "تُولون" (جانفي **1848**).
- **الثانية** : أعدّها "جوفروا"، ونُشرت في مجلة متحف العائلات عام **1848**.
- **الثالثة** : أعدّها

"بيار شلومبرغاز" سنة **1848** للمتحف الوطني قصر "بو"

الرابعة : أعدها "تيسي آنج" خلال إقامته في قصر "أمبواز" عام **852** (مجموعة متحف فرساي وتريانون)

- **الخامسة**: من إعداد "غوستاف لوغاي" في **1860**.
- **السادسة**: من إعداد "دافيد ماكسيم" عام **1870**.



بورتريه للأمير عبد القادر حسب رسم تم في قلعة لاملغ في تولون، جانفي (المرجع : الأمير عبد القادر، ملحمة الحكمة، منشورات زكي بوزيد، ص **37**).



بورتريه للأمير عبد القادر قام به بيار شلومبرغار (1849)، رسم سنة 1848 للمتحف الوطني للقصر (المرجع السابق ص 170).



L'Emir Abd-el-Kader.
Lithographie d'Auguste Bry.
(Bibliothèque du musée de l'Armée.)



المرجع: revue historique de l'armé N° 02, 9ème année, Juin 1953. P64.

المرجع: P.Azan. Bugeaud et L'Algérie (S.D) , P36

وفي **1860** غزت شخصية الأمير عبد القادر كل أصقاع العالم، حيث شهدت هذه السنة مأثرة رائعة في تاريخ التسامُح وتعايش الديانات، أعادت إلى سطح الأحداث شخصية الأمير عبد القادر إلى حدّ اقتراح بعض الشخصيات الأوروبية الأمير عبد القادر إمبراطورا للعرب، وهذا بعد إطفائه لنار الفتنة بين النصارى والمسلمين في دمشق سنة **1860** بإيواء قرابة **15.000** نسمة من النصارى، كان من بينهم نائب القنصل الفرنسي، وقناصلة انجلترا، وقنصل الولايات المتحدة الأمريكية الذي أصيب بجُروح، وقنصلي اليُونان ورُوسيا[9]، وأكثر من ذلك فقد خَصَّص الأمير عبد القادر مبلغا ماليا قدره خمسة قروش (**05 piastres**) لكل شخص يحمل إليه أسيرا حيا[10]، وبهذا السلوك يكون الأمير عبد القادر قد عبّر عن تمسكه بالقيم الإنسانية، واحترامه للغير دون ميز عرقي أو ديني.

لوحتان للأمير عبد القادر وهو يحمي المسيحيين في دمشق (1860)





المرجع :الأمير عبد القادر، ملحمة الحكمة، منشورات زكي بوزيد، ص **149**.



قنصل الولايات المتحدة الأمريكية الذي حضي بحماية الأمير عبد القادر بعد أن أصيب بجروح .(المرجع:أرشيف مكتبة مصطفى بن تهامي، معسكر)

وعلى هذا الأساس كافأته الدول العظمى في العالم بهدايا ثمينة، وأوسمة تُعبّر كلُها عن درجة العرفان والتبجيل والتقدير لما فعله من أجل حماية فئة من المسيحيين – بينما الذي فعله من أجل إنقاذ المجتمع الجزائري

ولمدة سبعة عشر سنة (**1830- 1847**) ضد الاستعمار الفرنسي فإنه لم يتلقَّ عليه ولا وسام أو جائزة، تلكُم هي المُفارقة.

1- أسرعت روسيا إلى منح الأمير عبد القادر وسام النسر الأبيض وهو أعلا وسام قيصري في روسيا، حيث جاءته رسالةٌ في شكل مرسُوم مُوقع من القيصر "اسكندر الثاني" (**1818- 1881**)، يقضي بمنح الأمير عبد القادر رُتبة أعظم فارس في الإمبراطورية باسم النسر الأبيض في **06** يناير **1860**، إلى جانب وسام الرُتبة.

2- بعث الحبرُ "باي" (**Monseigneur Pavy**) أسقف الجزائر (**Evêque d'Alger**) الذي خلف الأسقف "دوبوش" (**Mgr Dupuch**) رسالة إلى الأمير عبد القادر في **1860/08/10** يُعبر له فيها عن إعجابه بسُموه وبموقفه الجريء، وتدخله الشُجاع لحماية المسيحيين، قائلا له: "ما قُمتم به من أجل المسيحيين في المشرق بفضل العناية الربانية جعلكم تحتلون من الآن فصاعدا مكانة في الصف الأمامي لكبار رجالات هذا القرن، وكبار المتسامحين والمدافعين عن العدالة وعن الإنسانية".**(11)**

3- منحتُه الدول الغربية العظمى، والسلطنة العثمانية اعترافا له بمساعدته للمسحيين أوسمة ونياشين تجاوز عددها **21** وساما ونيشانا (هي جميعها محفوظة في المتحف المركزي للجيش الجزائري).

4- الملكة "فيكتوريا" (ملكة المملكة المتحدة لبريطانيا العظمى وإيرلندا)، أهدته بندقية مُرصعة بالذهب، نقش عليها اسم فكتوريا، واسم المرسل إليه الأمير عبد القادر، مع رسالة تقدير في أوت **1860**.، وفي سنة **1872** أهدته وساما في وسطه أسدٌ، بصفتها ملكة لانجلترا وإمبراطورية الهند.

5- الرئيس الأمريكي "أبراهام لينكولن" بعث له بمُسدسين خاصين بالخيالة عام **1860**.

6- الإمبراطور الفرنسي نابليون الثالث الذي سلمه من قبل سيفا في ديسمبر **1852**، أهداه وساما يحمل صورة الأمير عبد القادر في الوجه الأول، ونصٌ كتابي في الوجه الثاني.، كما وصله في عام **1860** من فرنسا وسام "الليجيون دونير" المُرصَّع من الرُتبة الأولى، مع رسالة تقديرية من الإمبراطور.

7- "أوتون الأول" ملك اليونان أهداه وسامين: الأول في وسطه نسر يعلُوه تاج، والثاني في وسطه رسم لرأس الملك اليوناني، حملهما إليه الأمير وزيرُ البلاطُ مع رسالة من الملك في **1860/09/07**.

8- أرسل إليه السُلطان عبد المجيد (**1839- 1861**) الخليفة العثماني الوسام المجيدي العالي الهَمايُوني من الرُتبة الأولى، مع رسالة تقديرية، حملهُما إليه الصدرُ الأعظم علي باشا في **07** صفر **1277**هـ (**1860**).، أمَّا السُلطان عبد العزيز (**1861- 1876**) فقد أهداه ستة أوسمة.

9- محمد الصادق باي تونس (**1859- 1882**) أهداه وساما مكتوبٌ في وسطه محمد الصادق.

10- وسام أهدته له الدولة السويسرية.

11- بعثت له إيطاليا رسالة بخط وتوقيع "فيكتور إيمانويل الثاني" (**1820- 1878**) مع الوُشَّاح الكبير، ووسام "موريس والعازر" أقدم أوسمة الفرسان، بواسطة الكُونت "دي كاستيلوني" والكادايردي "كاستيلونيو" من مدينة تورين في **10** سبتمبر **1860**.

12- جاءه من ملك بروسيا "غيوم الأول" (**1797- 1888**) وسام صليب النسر الأحمر من الطبقة الأولى، مع رسالة بالتوقيع الملكي في **1860/10/08**.

13- أمَّا الجمعيات التي بعثت له برسائل مجاملة وتقدير فكثيرة، نذكر منها:

-   "جمعية المُصابين في البر والبحر" التي جاءته منها رسالة تقدير، وقرار يمنحُه عضوية الشرف.

-   الجمعية الأمريكية المشهورة باسم "الشرقية"

-   "الجمعية الفرماسُونية" التي بعثت له برسالة تقدير تُثني عليه من دون منحه عُضوية الشرف.

وقد قبل الأمير عبد القادر جميع الأوسمة والهدايا التي قُدمت له من حُكام الدُول، ومن الجمعيات، ولم يعترض على شكلها.، ووضعهُ للأوسمة في المكان اللائق بها مجتمعة كانت هي العادة المعمول بها، كما أنه لم يحملها للتزيين أو التفاخر، والدليل على ذلك عدم ظُهوره في أية مناسبة بهذه الأوسمة، وأنه لم يذهب بها إلى احتفالات افتتاح قناة السويس عام **1869**، ولا غيرها، كما عُين الأمير عبد القادر عُضوا في المجمع العلمي الفرنسي بأكاديمية باريس بعد أن قُدم له كتابه "**ذكرى العاقل وتنبيه الغافل**"

وبسبب عُضويته هذه، أصبحت له صلات متينة بالشخصيات العلمية والسياسية بأوروبا والعالم من أمثال "فرديناند دوليسبس" وأفراد عائلته، خاصة شقيقه "جول دوليسبس".، وبسبب هذه الصلة عرضت عليه شركة قناة السويس قطعة أرض في "بوبلح" بمدينة بور سعيد سنة **1864**، ورشحه دوليسبس لينصّب أميرا على مملكة قناة السويس، إلا أنه امتنع اتقاء لوقوع فتنة بين الخديوي اسماعيل باشا وشركة القناة[12]، وأيضا حتى لا يكون عميلا لشركة قناة السويس التي تُريد الاستئثار بالأراضي الواقعة جانبي القناة، وبالتالي يضرب بقبوله هذا العرض –السخيف- الوحدة الترابية لمصر، لأن الشركة كانت تريد فصل القناة والأراضي المجاورة لها عن بقبة البلاد المصرية.

- في سنة **1865** كرمت جامعة "سوربون" الأمير عبد القادر بمناسبة توزيع الجوائز على المتفوقين في المسابقة العامة تحت رعاية "فكتور دوروي" (**Duruy** sous le **patronage de Victor**) وزير التعليم العام[13].

- في شهر أوت **1865** حضي الأمير عبد القادر باستقبال خاص في انجلترا أثناء زيارته للمعرض العالمي[14].

وأثناء زيارته للندن تمكن من الاجتماع باللورد "ديري لندن" (London **Derry**) والكابتن "وليام تاكيراي"(**William Thackeray**) و"ويلشَير" (**Wilshire**) حاكم جبل طارق الأسبق، و"دريموند هاي" (**Drummound Hay**)القنصل الانجليزي الأسقف بطنجة.، كما التقى أيضا بالعقيد "سكوت" (**Scott**) (الذي سبق له أن زار الأمير عبد القادر في الزمالة)

وأثناء إقامة الحفل البهيج لتدشين قناة السويس في نوفمبر **6918**، كان الأمير عبد القادر من ضمن المدعوي



الأمير عبد القادر يظهر بأوسمة ونياشين يحملها على صدره أهديت له من قبل كبار زعماء العالم من القارة الأمريكية والأوروبية والآسيوية والإفريقية.

صور لبعض الأوسمة والهدايا التي تلقاها الأمير عبد القادر من كبار الشخصيات في العالم



وسام أهداه السلطان العثماني عبد العزيز خان إلى الأمير عبد القادر.

(المرجع : الأمير عبد القادر، ملحمة الحكمة، منشورات زكي بوزيد ص 33).



وسام أهدته ملكة المملكة المتحدة لبريطانيا العظمى وإيرلندة .

(المرجع : الأمير عبد القادر، ملحمة الحكمة، منشورات



وسام أهداه نابليون الثالث إلى الأمير عبد القاد

(المرجع :الأمير عبد القادر، ملحمة الحكمة، منشورات زكي بوزيد ص 125)



وسام أهداه ملك اليونان، أوتون الأول إلى الأمير عبد القادر .

(المرجع : الأمير عبد القادر، ملحمة الحكمة، منشورات زكي بوزيد ص 115).



مسدسان أهداهما الرئيس الأمريكي أبراهام لينكولن إلى الأمير عبد القادر
(المرجع: الأمير عبد القادر، ملحمة الحكمة، منشورات زكي بوزيد ص 281).

وخلال الثُلث الأخير من حياته توالت عليه زيارات القناصلة الانجليز المقيمين بدمشق والقدس من أمثال: "ريشارد فرنسيس بيرتون" (**Richard Francis** Burton) الضابط الانجليزي المقيم في الهند، والذي ارتدى الزي الإسلامي وأطلق على نفسه اسم الشيخ عبد اللّه، وانتمى إلى الطريقة القادرية.، وللعلم فقد عُين هذا الضابط قُنصل لانجلترا في دمشق عام **1869**.، وكان وعائلته من المقرَّبين إلى الأمير عبد القادر لاسيما زوجته "إيزابيل بريتون" والرحالة الانجليزي "ويلفريد سكاون بلونت" (**Wilfrid Scawen Blunt**)، وزوجته "لايدي آن" (**Lady Anne**)عام **1874**- اللذان

كان لهما الفضل في إدخال الجواد العربي والكلب السلوقي إلى انجلترا – بعد إقامتهما في الصحراء الجزائرية، ومعاصرتهما لأحداث ثورة المقراني[15].

والقوائم البيبليوغرافية الطويلة للكُتَّاب العرب والأجانب المشتملة على كتب، ومقالات، ودراسات أكاديمية عالجت في مواضيعها الأمير عبد القادر باللغات العربية، والألمانية، والانجليزية، والفرنسية، والايطالية، والبولونية، والروسية، ... لهي أكبر شاهد على قيمة هذا الرجل ومكانته المرموقة في سجل تاريخ البشرية[16].

كما أن مقترحات الثائر الماروني يُوسف كرم بتوحيد الولايات العربية في الدولة العثمانية تحت زعامة الأمير عبد القادر الجزائري[17] هي شاهد آخر على المكانة التي كان يحضى بها لدى الثائرين العرب خلال النصف الثاني من القرن **19**م.

نخلص في آخر هذا العرض الوجيز إلى القول:

- ان لا دليل ثُبوتي قاطع على المشاعر والأحاسيس الإنسانية التي كان يتحلى بها الأمير عبد القادر بعد الشهادات، والتقديرات، والأوسمة، والنياشين التي تلقاها من المُسلمين بما فيهم الأتراك- ومن غير المسلمين بما فيهم فرنسا.

- انَّ ما حضي به من احترام ومعاملات فائقة الوصف من قبل كبار العُقول (العلماء والزعماء) في العالم ما هو إلا إنصاف يستحق أن يُسجل له – خلافا لما يُروج من أخبار ضده في عصرنا الحاضر من قبل صغار العقول (الجهلة والقُصَّر) والمرضى نفسيا.

- انَّ الدرجة التي بلغ بها الزعامة في العالم لم تُنال اعتباطا، وإنما توقفت على فضائل خُلقية مستمدة من روح الإسلام، ومن رُوح تقاليد وعادات وقيم المجتمع الجزائري.

الهوامش

1)- من بين المؤسسات التي أنشأها الأمير عبد القادر: المجلس الشوري (le conseil consultatif) الذي له ديوان للإنشاء يرأسه مصطفى بن أحمد التهامي.، الخلافات (الولايات) وعددها ثماني ولايات سنة **1839**، وبتوسيع الدولة في الاتجاه الشرقي أنشئت ولاية مجانة كولاية تاسعة (تيطري – سباو – مجانة – القبائل الكبرى – الزيبان – الصحراء – مليانة – معسكر – تلمسان).، النظارات (الوزارات) (الداخلية – الخارجية – المالية – الأوقاف – الأعشار والزكاة – الحربية).

2)- واجه الأمير عبد القادر كيانات مستقلة أحصاها المؤرخ الفرنسي لويس رين بـ **126** قبيلة مخزنية، و**200** قبيلة مستقلة، و**190** قبيلة خاضعة وشبه خاضعة – د. خثير وآخرون. منطلقات وأسس الحركة الوطنية الجزائرية، **1830 – 1954**، المركز الوطني للدراسة والبحث في الحركة الوطنية والثورة أول نوفمبر **1954**، **2007**، ص**325**.

3)- المرجع نفسه، ص**344**.

4)- يحي بوعزيز. "جهود الأميرعبد القادر وخلفائه في تدعيم الجبهة الشرقية القسنطينية"، <u>الأصالة</u> ، العدد **48**، أوت **1977**، ص **03 – 04**.

5)- يراجع أسماء زعماء الأسر الكبرى التي أيدته في بايلك الشرق الجزائري من أمثال بن يلس، وبن عبد السلام المقراني، وأحمد الشريف، وبن قندوز، وبوعكاز بن عاشور، في المرجع السابق، ص**14**.

6 –(Osman BENCHERIF. « Les relation de l'Emir Abdelkader avec la grande Bretagne et les Etas-Unis » ، <u>أعمال ملتقى الأمير عبد القادر</u> **1998**، جامعة الجزائر، ص**146**- **147**.

7)- كلمة إدريس الجزائري في أعمال الملتقى، المرجع السابق، ص**24**.

8)- عبد العزيز بوباكير. "الأمير عبد القادر في المؤلفات الروسية" المرجع نفسه، ص**115** - **117**.

9 -(Osman BENCHERIF. المرجع السابق، ص**144**. ،

1 -(**0**Djillali SARI. « Le royaume Arabe et l'Emir Abdelkader » نفس ، المرجع، ص**162**.

1 -(**1**« Ce que vous venez de faire pour nos chrétiens d'orient dont vous avez été la providence vivante vous place désormais au rang des plus grands hommes de ce siècle, et des plus généreux défenseurs de la justice et de l'humanité ». Henri Teissir (Archevêque d'Alger) L'Emir Abdelkader et les chrétiens, » نفسه، ص**170**. ،

12)- يحي بو عزيز. "الأمير عبد القادر ومشروع قناة قابس والبحر الأفريقي"، <u>الأصالة</u>، السنة الرابعة، العدد**25**، جمادى **01** وجمادى **02** **1392** هـ/ ماي، جوان **1975**، ص**102**.

13)- Djillali SARI.، المرجع السابق، ص**161**.

14)- Osman BENCHERIF, Op cit, p**114**

15)- Ibid, p **141**.

16- حول بيبليوغرافيا الأمير عبد القادر، يراجع:

- شهاب الدين يلس. "تقديم بيبليوغرافيا الأمير عبد القادر"، <u>مجلة التاريخ</u>، عدد خاص بالذكرى المائوية لوفاة الأمير عبد القادر، النصف الأول من سنة **1983**.

- عمار هلال. المصادر والمراجع العربية لتاريخ الجزائر **1830** – **1962**، الملتقى المغاربي الأول، يومان دراسيان، الجزائر، **28/29** – **12** – **1992**.

- ROUINA Karim. « Bibliographie raisonnée sur l'Emir Abdelkader » Majallat et – tarikh, N° **21**, Alger **1**er semestre, **1986**, pp **50- 123**.

- NEGGAZ Zahia « Bibliographie sélective sur l'Emir Abdelkader », N° Spéciale, **1**er semestre **1983**, pp **55 - 64**.

- Farida HELLAL. « Bibliographie de langue anglaise de l'Emir Abdelkader », Ibid, pp **65 – 91**.

اهتمام الجامعات الجزائرية بالأمير عبد القادر 1808- 1883.

(جامعة وهران نموذجا).

د. بن عتو بلبروات، جامعة سيدي بلعباس

تمهيد:

لم تشذ الجزائر المستقلة، عن باقي الدول والأمم، في تخليد رجالها الأبطال ورموزها التاريخيين، مثل الأمير عبد القادر الذي جمع بين العلم والسيف؛ فخاض حربا شرسة ضد الاحتلال الفرنسي لبلاده، وفي الوقت ذاته سطر مشروعا سياسيا ومؤسساتيا ومجتمعيا واقتصاديا وثقافيا، يؤسس لدولة جزائرية عربية غير عثمانية، ويرفع راية الإسلام عاليا. لكن رغم جدية المشروع إلا أنه لم يجد إجماعا جزائريا بسبب غياب الرؤية الحضارية لدى العديد من القبائل، التي جعلت من مصالحها الآنية، منهاجا لحياتها؛ ناهيك عن دور الآلة القمعية للاحتلال الفرنسي وسياسة "فرق تسد أو تسود" التي ساعدت على إجهاض المشروع ومن ثمة اضطرار الأمير عبد القادر ورفاقه إلى توقيف القتال سنة **1847**م.

في هذا الإطار تساءلنا عن الاهتمامات البحثية للجامعات الجزائرية بالأمير عبد القادر من ولادته إلى وفاته، فوجدنا أن الاهتمام قد اتخذ عدة أشكال منها؛ ندوات وملتقيات وطنية ودولية، وإنجاز أساتذة جامعيين لكتب حول الموضوع، وتحرير مقالات ونشرها في مجلات محكمة ذات لجان قراءة، وتكليف طلبة الدراسات ما بعد التدرج سواء كانوا طلبة ماجستير أو دكتوراه بالاشتغال حول الأمير؛ فرأينا أن نسلط الضوء على هذا الشكل الأخير ونفحص المذكرات والرسائل والأطروحات التي نوقشت بجامعة وهران حول الأمير عبد القادر طيلة فترة حياته من **1808** إلى **1883**، فكانت الحصيلة كالآتي.

أولا- مذكرات الماجستير في التاريخ:

1- حرشوش، كريمة. **جرائم الجنرالات الفرنسيين ضد مقاومة الأمير عبد القادر في الجزائر من خلال أدبياتهم 1832- 1847**. مذكرة ماجستير في التاريخ الحديث والمعاصر، إشراف: منور الصم، جامعة وهران، **2010**، **256** ورقة.

طرحت الطالبة في مقدمتها ثلاث تساؤلات منفصلة عن بعضها البعض وبدون فرضيات إجابة؛ الأولى حول الأصول التاريخية للمشروع الاستعماري الفرنسي الإبادي والنواة الأولى للمقاومة الشعبية، والثانية حول الجرائم التي اقترفها جنرالات فرنسا إبان مقاومة الأمير عبد القادر ونتائجها. أما الثالثة فهي تبحث عن الآثار الناتجة عن الجرائم بالتركيز على الآثار الاجتماعية والثقافية والاقتصادية.

واستعانت الطالبة بمجموعة من المصادر العربية والمعربة، والكتابات العسكرية الفرنسية مثل كتابات آرنو

Arnaud ، بيجو **Bugeaud**، كافينياك **Cavaignac**، كلوزيل **Clauzel**، دوماس **Daumas**، يوسف **Yusuf**، بليسيي **Pellissier**، ليون روش **Leon Roche** وشنقارني **Changarnier** . ناهيك عن قائمة من المراجع باللغتين العربية والفرنسية، كما وظفت الطالبة ملاحق كثيرة لكنها تحتاج إلى عناية.

وبالنسبة لمحتوى المذكرة؛ فقد اشتمل على معلومات تاريخية مفيدة، تقيدت بعنوان الموضوع، فكان المدخل التاريخي حول الاحتلال الفرنسي والمقاومة في الجزائر بين **1830- 1847**، حيث تناولت الطالبة الأطماع الفرنسية في الجزائر وتعرضت إلى أسباب الاحتلال المباشرة وغير المباشرة ثم انتهت إلى عرض وقائع الحملة الفرنسية واحتلال مدينة الجزائر. وبعد ذلك انتقلت إلى المقاومة الشعبية ضد الاحتلال بين **1830- 1847**

بالتركيز على المقاومة بضواحي العاصمة والوسط والغرب الجزائري وأنهت مدخلها عند مبايعة الأمير عبد القادر سنة **1832** وحيثياتها رغم أن العنوان الرئيسي للمدخل يمتد إلى سنة **1847**.

وتطرقت الطالبة في الفصل الأول إلى مظاهر السياسة الفرنسية الإجرامية في الجزائر بين **1830- 1847** شارحة خمس سياسات إجرامية هي: الإبادة والقمع، الأرض المحروقة، تهجير الجزائريين وتوطين الأوربيين، طمس الهوية الجزائرية والتنصير.

وكان الفصلان الثاني والثالث هما لب الموضوع إذ عرضت الطالبة في كليهما نماذج عن جرائم الجنرالات الفرنسيين بالجزائر بين **1830-1847** فخصصت الفصل الثاني، لثلاث شخصيات عسكرية فرنسية قادوا الحرب ضد الأمير عبد القادر في الفترة بين **1832- 1839** وهم على التوالي: الجنرال كلوزيل، سافاري الدوق دو روفيغو **Savary Duc de Rovigo**، و الجنرال شونغارني. وختمت فصلها بتعليق، أما في الفصل الثالث الذي تناول جرائم الجنرالات الفرنسيين بالجزائر بين **1839- 1847**، فقد ركزت الطالبة على خمس شخصيات عسكرية فرنسية، أطرت الجرائم ضد مقاومة الأمير عبد القادر، وهم على التوالي:

- الجنرال توماس روبير بيجو.**Thomas Robert Bugeaud**
- الجنرال لامورسيير.**Lamorcière**
- الجنرال لوروا دو سانت أرنو.**Leroy de saint Arnaud**
- العقيد امابل بليسيي.**Amable péllissier**
- الجنرال لاباسيه.**Lapasset**

وأنهت الطالبة فصلها الثالث بتعليق واستنتاج. وما لاحظناه في هذين الفصلين، أن الطالبة قد سارت على طريقة معينة في إبراز جرائم الجنرالات

الفرنسيين، تقوم على تقديم تعريف بالشخصية المجرمة، ثم تقتبس نصا باللغة الفرنسية، يعبر عن انطباعات المجرم، وبعد ذلك تترجم النص إلى اللغة العربية، وتقفز إلى الشخصية الموالية. والجدير بالذكر أن الفكرة الأساسية في الموضوع هي الجرائم الفرنسية المرتكبة ضد المقاومة وليس الجزائر علما أنه في الفترة نفسها كانت هناك مقاومة شعبية بقيادة أحمد باي. أضف إلى ذلك أنه كان من الأجدر أن تتبع الطالبة الجريمة المرتكبة من حيث المكان والزمان والأسباب وروادها وضحاياها وآثارها وأخيرا انطباعات مؤطري الجريمة من خلال ما خلفوه من كتابات تاريخية أو أدبيات.

وفي الفصل الرابع، تناولت الطالبة الآثار الناتجة عن الجرائم العسكرية الفرنسية، وصنفتها إلى آثار اجتماعية وثقافية، وفيها نجد مساعي فرنسا الاستعمارية من أجل تأجيج الصراعات بين الأمير عبد القادر وبعض القبائل من جهة وبينه وبين بعض الزوايا الدينية مثل زاوية عين ماضي بهدف إضعاف المقاومة، وكذا محاولتها القضاء على اللغة العربية والدين الإسلامي، مما دفع بالجزائريين إلى اختيار سبيل الهجرة إلى البلدان الإسلامية.

وما يتعلق بالآثار الاقتصادية؛ فقد تحدثت الطالبة عن مصادرة السلطة الاستعمارية لأملاك وأراضي الجزائريين، والاستيطان الأوربي وانتشاره في الجزائر، وتدمير منشآت الأمير الصناعية بالجزائر. وكان من المفروض أن تصيغ الطالبة عناوين فصلها بعناية ودقة، وكان يجدر بها – حسب رأيي – أن تصنف آثار الجرائم العسكرية إلى آثار عاجلة تتعلق بفترة مقاومة الأمير عبد القادر وآثار آجلة تمتد إلى ما بعد **1847**، وبالتالي نلاحظ أن تصنيف الطالبة لم يكن في محله لأنه أوقعها في خلط الأفكار، وجعلها تهمل الآثار النفسية للجرائم في أوساط الجزائريين والجزائريات.

ويظهر أن الطالبة لم تقدم إجابة وافية لتساؤلاتها في خاتمة الموضوع التي خصصت لها ورقتين، وسجلت عددا من الأفكار مفادها أن الجنرالات الفرنسيين في عهد مقاومة الأمير عبد القادر لم يملكوا قلوبا رحيمة بحق الجزائريين العزل، وجرائمهم الفظيعة كانت تسير ضمن مخطط يهدف إلى القضاء على مقاومة الأمير وبالفعل فقد اختار الكثير من الجزائريين الهجرة وحينها أضعفت المقاومة إلى أن تخلى الأمير عبد القادر عن القتال. ثم أشارت الطالبة إلى أن الجرائم التي ارتكبها الجنرالات الفرنسيون تعبر عن خطورة الاستعمار من جهة وترسخ الاحتلال والاستيطان من جهة أخرى ولا يمكن للجرائم مهما كانت قساوتها أن تضع حدا لمقاومة الشعوب وهو ما نلاحظه في استمرار المقاومة الجزائرية بعد الأمير عبد القادر[1].

2- زاير، عبد القادر. **<u>دور خلفاء الأمير عبد القادر في بناء الدولة الجزائرية 1832- 1847</u>**. مذكرة ماجستير في التاريخ الحديث والمعاصر، إشراف: محمد الطيبي، جامعة وهران، **2010**، **160** ورقة.

حدد الطالب لموضوعه ثلاث تساؤلات بدون فرضيات حل؛ فالسؤال الأول يبحث في الكيفية التي مكنت الأمير عبد القادر من بسط نفوذه كرجل مقاومة ودولة في آن واحد على القطر الجزائري، وكون جيشا وقف الند للند في وجه الجيش الفرنسي في ظرف قياسي؛ وهنا يشير الطالب إلى دور رجاله ورعيته التي كانت تؤازره وتقف إلى جانبه خصوصا قبائل

[1] زودت الطالبة موضوعها بملاحق كثيرة لكنها غير وظيفية في معظمها ويحتاج البعض منها إلى عناية الطالبة.

الجهة الغربية. أما سؤاله الثاني فيتركز حول نمط حكم الأمير عبد القادر، ويتساءل عن المعايير التي اعتمدها الأمير في تعيين خلفائه. وسؤاله الأخير تمحور حول قدرات ومؤهلات الخلفاء الذين قادوا الجزائريين، وهل كانوا على قدر المسؤولية؟ ونشير بهذا الصدد أنه لابد أن تكون الإشكالية والتساؤلات والفرضيات واضحة ومرتبة حسب ترتيب محاور الموضوع ودقيقة وأن يحذر الطالب من تلك التساؤلات التي لا تكون ذات فائدة للبحث العلمي.

أنجز الطالب موضوعه في أربعة فصول، متجاوزا المدخل التاريخي الذي يعمل على استطلاع الموضوع وتأسيس أرضية معرفية لفصوله؛ ففي الفصل الأول، درس الطالب مؤسسات الدولة الجزائرية الحديثة بين **1832- 1847**، وقد بدأ حديثه بمبايعة الأمير عبد القادر، واعتبرها جزءا لموضوع فصله، وكان بوسعه أن يجعلها توطئة. ثم عالج التنظيم الإداري لدولة الأمير وهنا تطرق إلى تعيين الخلفاء ومهامهم وتوزيع القوات النظامية عليهم بعد أن بين أقسام الإدارة (إدارة مركزية وإقليمية). ثم عرج على التنظيم العسكري، مركزا على الجيش النظامي من حيث نشأته وتنظيمه وأصنافه وأمور أخرى تتصل بجيش الأمير عبد القادر. وبعده، تناول الطالب التنظيم الاقتصادي الذي اعتمده الأمير وكذا التنظيم القضائي.

وبالنسبة للفصل الثاني، فقد حمل عنوان " خلفاء المقاطعات الغربية" بحيث تركز حديثه على مقاطعتين؛ الأولى هي مقاطعة معسكر بقيادة الخليفة مصطفى بن أحمد التهامي، وتناول الطالب بشأنه تعريفا له وتوليته للخلافة ومساهمته في بناء مؤسسات الدولة ودوره في حصار عين ماضي وكذا أهم المعارك التي خاضها الخليفة احمد بن التهامي مثل معركة واد السكاك ومعركة مزغران وسيدي دحو وسيدي ابراهيم. ثم انتقل إلى المقاطعة الثانية وهي تلمسان بقيادة الخليفة محمد البوحميدي الولهاصي، فعرف به وكيفية توليته الخلافة ومشاركته في حصار تلمسان

والمعارك التي خاضها قبل اتفاقية التافنا وبعدها ونشاط البوحميدي أثناء عقد المعاهدة وكذا أسباب انسحابه من مقاطعته ونهاية حياته بسجن فاس بالمغرب الأقصى.

وفي الفصل الثالث، تناول الطالب خلفاء المقاطعات الوسطى، وبدأ حديثه بوصف الوضع العام بالمقاطعات الوسطى ثم انتقل إلى مقاطعة المدية، معرفا بخليفتها محمد بن عيسى البركاني وتوليته الخلافة ومساهمته في بناء الدولة ودوره في اتفاقية التافنا ومشاركته في معركة قنطاس وغابة الزيتون إلى ملاحقته من طرف القوات الاستعمارية الفرنسية مشيرا إلى مصيره بعد انسحابه من المقاطعة.

وبعد المدية تطرق الطالب إلى مقاطعة مليانة، فعرف بالخليفة الأول المسمى الحاج محيي الدين الصغير وتوليته ونشاطه، وبعده الخليفة محمد بن علال، فعرف به وبتوليته الخلافة ومساهمته في بناء الدولة ومعاركه مثل كرزازة بالعفرون ومعركة موزاية وغابة الزيتون ودور الخليفة في الإفراج عن الأسرى الفرنسيين ومحاولة الفرنسيين استمالة الخليفة وأسباب انسحاب الخليفة من مقاطعته وظروف استشهاده.

وأنهى الطالب فصله بتخصيص ورقات لمقاطعة القبائل الكبرى، انطلاقا من خليفتها أحمد الطيب بن سالم، فعرف به وبتوليته ومساهمته في بناء الدولة ومعاركه مثل معركة بودواو الأولى والثانية، معركة رأس سوطة وبئر خادم، الحراش، أوراز الدين، أولاد عزيز، ومعركة شراك الطبول. ثم أشار إلى أسباب انسحاب الخليفة من مقاطعته ومصيره.

وبالنسبة للفصل الرابع، فقد خصصه الطالب لخلفاء المقاطعات الشرقية، فبعد أن بين الوضع العام بها تعرض إلى مقاطعة مجانة وخليفتها عبد السلام بن طوبال المقراني، ولم يتعد مجهود الطالب في حق هذا الخليفة صفحة واحدة، وبعده ذكر الطالب مقاطعة الزيبان والصحراء

الشرقية وخليفتها الحسن بن عزوز، فعرف به وبتوليته الخلافة ومساهمته في بناء الدولة ومعاركه مثل معركة سالسو ومشونش ومصيره حيث اعتزل المقاومة وعوض بالخليفة المدعو أحمد بلحاج والمسمى محمد الصغير بن عبد الرحمن، الذي أشار الطالب إلى معاركه مثل معركة أولاد سلطان، ومعركة مشونش الثانية ومعركة بسكرة مع ذكر نهايته. وكانت مقاطعة الصحراء الغربية هي آخر المقاطعات الشرقية حيث تعرض فيها الطالب إلى الوضع العام بها وذكر خليفتيها بالتتابع وهما : الخليفة الحاج العربي والخليفة قدور بن عبد الباقي، وكانت المعلومات التي سجلها الطالب قليلة بحكم عدم توفر المادة التاريخية .

وجاءت خاتمة الطالب لتتضمن فكرتين متصلتين وهما حنكة وقدرة الأمير عبد القادر وكذا كفاءة خلفائه من خلال شهادات الفرنسيين والأمير عبد القادر نفسه، وخلص الطالب إلى أن قوة الأمير الذاتية ودرايته بالرجال جعله يحسن اختيار القيادات لدولته على أسس ثابتة أولها العلم بالشريعة الإسلامية، وثانيها الدراية الحربية، وثالثها الشجاعة ورابعها السياسة، كما استطاع أن يوظف كل طاقات المجتمع وهو ما جعل المقاومة تطول لخمس عشرة سنة، واستنتج الطالب أن مشروع الأمير لبناء دولة جزائرية حديثة لم يكن مشروعا قابلا للهزيمة لأن الأسباب جاءت من خارج رؤيته.

3- سلاماني، عبد القادر. **<u>الاستراتيجية الفرنسية لإجهاض مشروع الدولة الجزائرية الحديثة 1832- 1847</u>.** مذكرة ماجستير في التاريخ الحديث والمعاصر، إشراف: منور الصم، جامعة وهران، **2009**، **205** ورقة.

طرح الطالب أربع تساؤلات حسب ترتيب فصول الموضوع ولم يطرح لا الإشكالية الرئيسية لموضوعه ولا فرضيات إجابة لتساؤلاته، وتدور أسئلة الطالب حول أسس الدولة الجزائرية الحديثة بقيادة الأمير عبد القادر

والعراقيل والمشاكل الاجتماعية والاقتصادية والسياسية والثقافية التي واجهت المقاومة الشعبية ومشروع الأمير وموقف فرنسا الاستعمارية منه، كما لاحظنا أن السؤال الرابع قد يصب في وعاء السؤال الثالث، لذا نوصي الطلبة والباحثين المبتدئين، بضرورة تحري الدقة والتركيز عند طرح الإشكاليات والتساؤلات والفرضيات.

لم ينجز الطالب مدخلا تاريخيا رغم أهميته المنهجية، ووزع موضوعه إلى أربعة فصول؛ تناول الفصل الأول مشروع الدولة الجزائرية الحديثة **1832**- **1847**، وتضمن ثمانية عناصر أساسية هي:

- بداية المقاومة الشعبية في الوسط والغرب. ولم يبين لنا الطالب واقع الشرق الجزائري سنة **1830**، ويستحسن أن يكون هذا العنصر توطئة للفصل، وليس جزءا من مشروع الدولة.

- مساهمة الشيخ محيي الدين في تأسيس الدولة الجزائرية الحديثة.
- البيعة، حيثياتها ومرجعياتها القانونية والشرعية والحضارية.
- نشأة الجيش الشعبي الوطني.
- النظام الإداري والاقتصادي الحربي.
- النظام القضائي.
- النظام الثقافي.

ومن الأفضل أن يراجع الطالب عنوان الفصل وعناصره الأساسية، لأن الحديث قائم على دراسة جوانب مشروع دولة الأمير عبد القادر؛ فهناك المشروع السياسي، والمشروع المؤسساتي... وكل مشروع يتم تحليله على أساس ما تحقق وما لم يتحقق منه بفعل توالي الجرائم العسكرية الفرنسية واستمرار المقاومة.

وفي الفصل الثاني الموسوم بـ" النشاط العسكري للأمير عبد القادر **1832**- **1847**" استعصى علينا فهم أهداف هذا الفصل ودوره في خدمة الموضوع، حيث تطرق الطالب إلى معارك الأمير عبد القادر عبر فترة كفاحه المسلح، ثم قام بمعالجة معاهدتي: دي **ميشال** **Desmichels** سنة **1834** والتافنا سنة **1837**، وبالتالي كان على الطالب أن يدقق في صياغة عناوين فصله بحيث عرض لنا نشاطا عسكريا وسياسيا للأمير عبد القادر؛ فالتفاوض مع القادة العسكريين الفرنسيين هو عمل سياسي وفي الوقت ذاته هو حرب على الطاولة.

أما الفصل الثالث، فقد جاء عنوانه بالصيغة الآتية: " تحطيم المجتمع الجزائري حاضن المقاومة الوطنية ماديا ومعنويا" وفيه بين الطالب سياسة فرق تسد التي انتهجتها فرنسا الاستعمارية باعتماد نموذج قبائل المخزن (الزمالة والدواير) الذين حرضتهم ضد الأمير عبد القادر بعد اتفاقية الكرمة سنة **1835**. وأساليب فرنسا مع بعض الزوايا لنسف الوحدة الجزائرية معتمدا على نموذج زاوية عين ماضي التجانية، انتهاء إلى خلق إدارة الاحتلال الفرنسي للفرق العسكرية المرتزقة المسماة بفرق الزواف، ودورها في محاربة جيش الأمير عبد القادر، وكذا نشر المكاتب العربية للجيش الفرنسي عبر الأقاليم الجزائرية ودورها في تفكيك وحدة الشعب الجزائري.

واستمر الطالب في توضيح الاستراتيجية الفرنسية ضد مشروع الأمير فخصص فصله الرابع للأساليب الاستعمارية لاستئصال مقاومة الشعب الجزائري وإبادة هويتهم الوطنية. فتناول سياسة الأرض المحروقة وعمليات الإبادة ضد الجزائريين، وبين أسلوب تحطيم منشآت الصناعة الحربية التي أنشأها الأمير، ثم انتقل الطالب إلى الاستيطان الفرنسي وعمليات التنصير لطمس الهوية الجزائرية وإفراغ المقاومة من مضمونها.

وقد انتبه الطالب إلى دور العامل الخارجي في إجهاض مشروع الأمير عبد القادر؛ فخصص الفصل الخامس، للحصار الدولي الذي فرض على المقاومة الشعبية الوطنية، في إطار دراسة مواقف الدول الإسلامية من المقاومة مثل الدولة العثمانية، تونس، مصر، طرابلس الغرب، والمغرب الأقصى. وكذا مواقف الدول الأوربية من المقاومة الشعبية مثل انجلترا، اسبانيا، والدويلات الايطالية التي بشأنها لاحظنا أن الطالب لم يجد سوى ثمانية أسطر تعبر عن موقف الدويلات الايطالية من الحملة الفرنسية على الجزائر وليس المقاومة الشعبية كما حدد ذلك في عناوينه. وخلص الطالب إلى عدد من النتائج رتبها بالصيغة التالية:

- حاول الأمير عبد القادر إرساء دولة جزائرية حديثة وأدرك سر تباين القوى بين فرنسا والجزائر، لكن فرنسا اجتهدت لإجهاض مشروع الدولة بأساليب إبادية وحصار اقتصادي وتفكيك لوحدة الشعب الجزائري؛ كل ذلك لمنع أي مقاومة تقف في وجه مشروعها الاستيطاني.

- ذكر الطالب أنه كان هناك صعوبات وعراقيل أضعفت مشروع الأمير عبد القادر؛ فجيشه من المتطوعين ومجتمعه مشتت وثقافة بيئته، تقليدية؛ في حين كان المشروع الفرنسي كان أكثر جاهزية عدة وعددا في جميع الميادين، فجيش فرنسا، مدرب على الفنون الحربية وعتادها الحربي أقوى وأحسن وذخيرتها ومؤونتها مضمونة، ورغم هذا التباين استمرت مقاومة الأمير عبد القادر لمدة **15** سنة.

- بقي الأمير عبد القادر شوكة في حلق فرنسا ورأى أن الاستعمار، يمثل العلاقة بين الشرق والغرب، وإذا فشل الأمير في مشروعه النهضوي إلا أنه انتصر رمزيا في القرن **19**م كشخصية زرعت روح المقاومة في الشعب الجزائري، وبقي حيا في الذاكرة التاريخية الجزائرية؛ فقد اعتمدت عليه الحركات الجهادية الأخرى التي واكبت الصراع ضد الاحتلال الفرنسي.

- كانت قوة الأمير في فكره وفلسفته، ورغم أن مشروعه لم يكتمل إلا أنه يبقى إنجازا حضاريا.

لقد تنوعت مصادر ومراجع الموضوع بين العربية والمعربة والفرنسية ، وأغلب الملاحق التي ألحقها الطالب بالموضوع كانت عبارة عن خرائط وظيفية ومفيدة لكن بعضها يحتاج إلى توضيح.

4- بقبق، الزهرة. **الأمير عبد القادر في الأسر 1848- 1852**. مذكرة ماجستير في التاريخ الحديث والمعاصر، إشراف: منور الصم، جامعة وهران، **2010**، **246** ورقة.

أنجزت الطالبة موضوعا في غاية الأهمية إذ عالج جانبا غامضا من حياة الأمير عبد القادر، وهو في الأسر بفرنسا في عهد الملكين لويس فليب **Louis Philipe** وبعده لويس نابليون **Louis Naoléon** الملقب بنابليون الثالث قبل أن يصبح إمبراطورا وذلك بين سنتي **1848**- **1852**. وقد اعتمدت الطالبة على أرشيف الحكومة التونسية وأرشيف فرنسا ما وراء البحار المتعلق بالأمير عبد القادر وأرشيف طولون **Toulon**و**أرشيف** مدينة بوPau ، وأمبواز **Amboise** **ومدينة** بوش دي رون ودي **فار** **Bouche du Rhone et du Var** وكذا جرائد فرنسية مثل جريدة Le Débat وجريدة Le Moniteur، ونشرات وكتب ومقالات فرنسية، والقانون الجنائي الفرنسي لسنة **1808**م.

ورأت الطالبة أن موضوعها يبدأ مع وقف الأمير عبد القادر للقتال، وبالإجماع، سنة **1847** وقالت أنه كان أكثر المواقف وجعا في حياته، ورغم ذلك فقد أوقف القتال بشروط مشرفة جدا ولكن فرنسا الاستعمارية

لم تلتزم بتعهداتها القانونية والأخلاقية اتجاهه، فقد خدعته وغدرت به ونقضت عهدها[2] إذ حولت الباخرة التي تقل الأمير عبد القادر وأصحابه وحاشيته عن وجهتها نحو الاسكندرية أو عكا، إلى المعتقلات الفرنسية، أين اعتبر الأمير، مجرم حرب بين **1848**- **1852**. وعليه، تساءلت الطالبة عن مدى شرعية سجن الأمير عبد القادر ورفاقه. كما تساءلت عن علاقاته واهتماماته ومراسلاته أثناء الأسر. وكان من الأحرى أن تتساءل عن مدى شرعية الاتهام الموجه للأمير، ثم السجن بدون محاكمة. ثم انتقلت الطالبة إلى عرض إشكال خاص –حسب تعبيرها- تتساءل فيه عن حجم معاناة الأمير عبد القادر في المعتقلات، وتستفسر عن خدعة فرنسا للأمير ورفاقه، من منظور قواعد العدالة والإنصاف التي تتبجح بها الدولة الفرنسية. وبعد ذلك مباشرة راحت الطالبة تفكك الإشكال الخاص إلى أسئلة جزئية رتبتها كالآتي:

❖ما هي الأسباب العميقة التي أدت بالأمير عبد القادر ورفاقه إلى وقف القتال سنة **1847**م؟

❖ما موقف العدالة الفرنسية من حرمان الأمير ورفاقه حق التصرف؟

❖كيف كانت حياته وحياة مرافقيه اليومية داخل المعتقلات الفرنسية؟[3]

❖ما موقف المفكرين الفرنسيين من أسر الأمير عبد القادر؟[4]

---

[2] نقض العهود والوعود هو من شيم الأنظمة الاستعمارية عبر التاريخ.

[3] وهنا نلاحظ وقوع الطالبة في تكرار السؤال.

وبالنسبة للمحتوى، نلاحظ أن الطالبة لم تنجز مدخلا تاريخيا، وقفزت إلى الفصل الأول مباشرة والموسوم: ظروف ودوافع نهاية المقاومة الشعبية بقيادة الأمير عبد القادر **1847**. وقسمت فصلها إلى أربعة عناصر رئيسية، ويظهر أن العنصر الأول بعنوان : شرعية الدفاع الوطني وانتهاج المقاومة الشعبية بقيادة الأمير عبد القادر، يصلح أن يكون توطئة للفصل وليس عنصرا رئيسيا مستقلا. أما العناصر الثلاثة الموالية، فيبدو أنها مناسبة لموضوع الفصل؛ فقد تحدث الطالبة عن المساعي الفرنسية لإجهاض وتقويض الطاقة العسكرية للأمير عبد القادر. والمعارك الأخيرة للأمير واحتضار الجيش الشعبي الوطني. ومفاوضات الأمير- لامورسيير ووقف القتال. ورغم ذلك، يحتاج الفصل إلى مراجعة منهجية، لأنه يطرح فكرتين هما : ظروف إنهاء المقاومة، المحلية والدولية من جهة. وداوعي الأمير عبد القادر من وراء وقف القتال.

وتناول الفصل الثاني اعتقال الأمير عبد القادر ومرافقيه ومعاناتهم النفسية والمادية، ودرست الطالبة معاناة المعتقلين في ظل الحكم الملك "لويس فليب " سنة **1848** و في ظل الحكم الجمهوري بعد الثورة الفرنسية الثالثة، في عهد " لويس نابليون " إلى غاية انقلابه على الجمهورية سنة **1852**م، وذلك بقصري طولون وبو. وتستمر الطالبة في دراسة حياة الاعتقال التي عاشها الأمير بقصر أمبواز كآخر معتقل- رغم تغيير النظام السياسي وتغيير الأشخاص- في فصلها الثالث، مبرزة الدراسات والأعمال الأدبية للأمير عبد القادر في معتقل أمبواز. وفي الفصل الرابع، عالجت الطالبة إشكالية الحبس التعسفي للمعتقلين ودور نابليون الثالث في رد اعتبارهم القانوني، وتناولت ذلك في إطار العناصر التالية:

[4] ننبه الطالبة، إلى ضرورة مراجعة تساؤلاتها، التي تحتاج إلى ضبط مع تفادي التكرار والإكثار من الأسئلة.

❖مدى احترام السلطات الفرنسية للضمانات المقررة قانونا اتجاه اعتقال الأمير عبد القادر ومرافقيه.

❖زيارة نابليون الثالث لقصر أمبواز والإعلان عن إطلاق سراح الأمير عبد القادر.

❖زيارة الأمير عبد القادر لباريس والوداع الأخير للاعتقال.

❖ظروف الأمير عبد القادر ما بعد الحرية.

وفي ختام الموضوع، سجلت لنا الطالبة أن وقف الأمير للقتال كان مشروطا بنقله إلى عكا بفلسطين أو الاسكندرية بمصر، بدعم من لامورسيير ومصادقة الدوق دومال **Duc Daumal**" إلا أن هذا الشرط لم ينفذ واعتقل الأمير عبد القادر وأطفاله ورفاقه، وأمضوا سنة اعتقال في طولون وبو وأربع سنوات إقامة جبرية في أمبواز. وحاولت الطالبة أن تحدد نتائج البحث المتوصل إليها في شكل عناصر أساسية وأخرى ثانوية؛ ومن أهم النتائج الأساسية هي أن الأمير عبد القادر ورفاقه قد زج بهم في معتقلات هي في الحقيقة قصور تاريخية وجزء من تراث فرنسا مما أثار الرأي العام لذا ظلت السلطة الفرنسية تنكر اعتقالها للأمير عبد القادر أمام الصحافة الفرنسية والصحافة العالمية، ولم تصرح لهم أنه مجرم حرب بل روجت أن الأمير هو ضيف على الأراضي الفرنسية مما جعلها دائما أمام سخرية أوربا. وجزمت الطالبة أن الأمير عبد القادر لم يكن يوما ما فرنسيا ولم ينتخب ولم يتجنس مثلما ذكر المؤرخ الفرنسي "بول أزان Paul Azan" . أما أهم النتائج الثانوية التي توصلت إليها الطالبة هو أن الأمير عبد القادر قد أمضى حياته؛ من الحرب والمقاومة، إلى السجن، إلى النفي والإقصاء عن الوطن الجزائري، وأن اعتقاله تحكم فيه وزراء الحربية الفرنسيين، ولو وجد الأمير عبد القادر سندا جزائريا وعربيا لقضيته، لما أوقف القتال ولما أهين وضيق عليه مدة خمس سنوات، وحتى في فترة الأسر لم يزره الحكام

العرب ولم تكن لهم ردود فعل عكس العديد من الفرنسيين الذين وفقوا في زيارته ومجالسته. وفي النهاية تحيلنا الطالبة على قضية خطيرة، تنتظر البحث، تتعلق بالوفيات المتكررة في صفوف الأطفال الجزائريين بالمعتقلات الفرنسية دون سابق إنذار، وكأن هؤلاء الأبرياء كانوا بمثابة حقل تجارب للأدوية الفرنسية، وتوصي الطالبة بفحص محاضر مداولات البرلمانيين الفرنسيين بخصوص اعتقال الأمير عبد القادر ومعاينة التقارير الطبية للأطفال الجزائريين المتوفين.وقدمت الطالبة ملاحق مفيدة عبارة عن وثائق أرشيفية حول مراسلات الأمير وصور للمعتقلات وإعلانات ومقاطع من جرائد فرنسية.

5- فارس، العيد. **الأوضاع الاجتماعية والاقتصادية في الغرب الجزائري وانعكاساتها على المقاومة الوطنية 1830- 1847**. مذكرة ماجستير في التاريخ الحديث والمعاصر، إشراف: محمد موفق، جامعة وهران، **2009**، **135** ورقة.

يدرس هذا الموضوع الأوضاع الاجتماعية والاقتصادية للجزائريين في المقاطعة الغربية ودورها في تطور الأحداث التاريخية التي ميزت المقاومة الوطنية بين **1830- 1847**، وبالتالي قام الطالب بتحليل الخلفية التي انطلقت منها المقاومة حيث شكل الواقع المعيشي وقتذاك، تحديات، واجهت الأمير عبد القادر الذي سعى إلى إنشاء مؤسسات دولة جزائرية، تنظم الاقتصاد والمجتمع وتواجه الاحتلال الفرنسي. كما لم يغفل الطالب أساليب فرنسا الاستعمارية لإخضاع المجتمع الجزائري ومحاولته تدمير البنية الاجتماعية والاقتصادية لمنطقة الغرب الجزائري، والتي كان لها تأثير واضح على مسار المقاومة الوطنية، حتى بعد أسر الأمير عبد القادر بفرنسا.

لم يحدد الطالب الإشكالية الأم ولم يقترح فرضيات إجابة، وكل ما سجله بهذا الصدد كان عبارة عن تساؤلات رتبها كالآتي:

- كيف كان الوضع الاجتماعي والاقتصادي في الغرب الجزائري في أواخر العهد العثماني؟

- ما هي المواقف التي اتخذتها مختلف التشكيلات الاجتماعية من الاحتلال الفرنسي في بداية تواجده بالمنطقة؟

- كيف تعامل الأمير عبد القادر مع واقعه اجتماعيا واقتصاديا؟

- ما هي الأساليب المستخدمة من قبل السلطات الفرنسية لتفكيك المجتمع و سلب ثرواته؟

- ما هي انعكاسات الأوضاع الاجتماعية والاقتصادية على مسار المقاومة؟

ونلاحظ أن هذه التساؤلات تتجاوب مع فصول الموضوع، وعددها أربعة، دون مدخل تاريخي.لقد جاء الفصل الأول بعنوان : الأوضاع الاجتماعية والاقتصادية في الغرب الجزائري قبيل الاحتلال الفرنسي، ويظهر أن الطالب لم يعط الفصل حقه من الدراسة حيث لم يتطرق إلى الأوضاع الاقتصادية من زراعة وحرف وصنائع وتجارة داخلية وخارجية في الغرب الجزائري في أواخر العهد العثماني، رغم أن الفكرة تعد أساسية في الفصل، وحتى دراسة الأوضاع الاجتماعية لم يعط لها الطالب حقها، فقد ركز على التركيبة البشرية لمجتمع المدن ومجتمع الريف، من زاوية محددة تتعلق بعلاقة السكان بالسلطة العثمانية، متناسيا الأسس العرقية والاقتصادية في تصنيف المجتمع، وكذا الوضع الصحي للسكان والتعداد السكاني لمدن الغرب الجزائري وغيره من الأفكار التي قد تثري الموضوع.

وتطرق الطالب في الفصل الثاني إلى الاحتلال الفرنسي لمدينة وهران وأهم مواقف السكان منه، مثل قبائل مخزن وهران وسكان تلمسان وزعامة الطريقة القادرية بنواحي معسكر، ثم عرج إلى بداية المقاومة في الغرب الجزائري تحت لواء الشيخ محيي الدين، ليتطور الموقف إلى مبايعة

عبد القادر ولد محيي الدين أميرا للجزائريين في بيعة خاصة وأخرى عامة، ومساعي الأمير العربي المسلم لتوحيد صفوف المقاومة.

انتقل الطالب في فصله الثالث إلى دراسة الأسس الاجتماعية والاقتصادية التي قامت عليها المقاومة الوطنية، وهنا اختلطت على الطالب الأفكار فجعل من النظام الإداري والنظام القضائي والفئات الاجتماعية في المدن والأرياف التي ناصبته العداء مثل الأتراك والكراغلة والمخزن، أسسا اجتماعية للمقاومة في حين أن الأسس الاجتماعية لا بد أن تدرس انطلاقا من القبائل الجزائرية التي ناصرت ودعمت الأمير عبد القادر ولو مؤقتا.

أما تعلق بالأسس الاقتصادية للمقاومة، فقد حددها الطالب في مصادر الدخل لدولة الأمير المتعددة التي تشمل الضرائب بأنواعها ومداخيل الفلاحة والصناعة والتجارة، ونوصي الطالب أن ينتبه إلى التصنيف الذي وضعه لفصله، فهو بحاجة إلى مراجعة منهجية بسيطة.

وفي الفصل الرابع والأخير تناول الطالب آثار السياسة الفرنسية على البنية الاجتماعية والاقتصادية بالغرب الجزائري، وما يمكن الإشارة إليه أن الطالب درس معالم السياسة الفرنسية التي لها دور في تدمير البنية الاجتماعية والاقتصادية للجزائريين في الغرب الجزائري، وحددها في الحملات العسكرية المتتالية على منطقة الغرب الجزائري مركزا على معسكر وتلمسان - رغم أن تحليله يحتاج إلى تعميق وطرق مصادر أخرى- ثم الأرض المحروقة، وتخريب المدن والحصون وهنا يتطرق للحملات الفرنسية سنتي **1841** و**1842** ولعل الطالب لم ينتبه إلى ضبط أفكاره منهجيا، وبعد ذلك يتناول الاستيلاء على الزمالة في **16** ماي **1843** ويقدم نماذج عن عمليات التهجير والإبادة ومصادرة الأملاك والأراضي ويختمها بالاستيطان الأوربي. لكننا نلاحظ أن الطالب قد درس السياسة

الفرنسية التدميرية ولم يتناول آثارها على المجتمع والاقتصاد كما هو وارد في عنوان الفصل.

ومادام تحليل الطالب كان محدودا فإنه لم يخصص لخاتمة الموضوع سوى صفحة واحدة استنتج فيها أن العثمانيين بالجزائر هم من أوجدوا نسيجا اجتماعيا مختلا؛ من مخزن ورعية، ومن أجل الحفاظ على المصالح سارعت قبائل المخزن –الزمالة والدواير- إلى البحث عن سلطة جديدة غير السلطة العربية. أما مجتمع الرعية فكان يبحث عن التحرير عن السلطة المركزية وبالتالي لم تتوحد رؤية المجتمع الجزائري قصد طرد المحتل الفرنسي. ولعل هذا الواقع المر هو من أصعب التحديات التي واجهت المقاومة الوطنية، لذا حاول الأمير عبد القادر، إيجاد مجتمع متماسك وقواعد اقتصادية تتجاوب مع متطلبات المقاومة الوطنية، لكن كانت فرنسا الاستعمارية بالمرصاد لمشروع الأمير؛ فجرائمها وسياستها القمعية جعلت الأمير يفقد تدريجيا الدعم المادي والمعنوي، ليقرر إنهاء القتال في ديسمبر **1847**، بعدما اتضح له أن المقاومة التي كانت ممكنة سابقا أضحت مستحيلة، وبالتالي كانت تجربة فرنسا القمعية ضد مقاومة الأمير عبد القادر أساس سياستها تجاه الجزائريين إلى غاية **1962**.

وقد أفرد الطالب مجموعة من الملاحق لم يبذل فيها جهدا في سبيل توضيحها والعناية بها فنجد الخرائط باللغة الفرنسية كما نشرت في الكتب الأجنبية ولم يقم الطالب بتعريبها، وأيضا مخطوطة غير واضحة تتعلق باتفاقية الكرمة سنة **1835** وهي كذلك بالفرنسية، كما توجد ملاحق غير مفيدة للموضوع مثل نماذج لنقود الأمير. وحتى الفهرس البيبليوغرافي يحتاج إلى تنظيم فمثلا نجد المقالات والرسائل الجامعية متداخلة مع بعضها البعض، وعليه نوصي الطالب بتصحيح مذكرته وتنقيحها لأن ذلك يقدم خدمة للبحث العلمي.

6- سلطانة، عابد. <u>**الرسائل العربية بأرشيف وزارة الحربية الفرنسية: دراسة لعينة من رسائل المخزن، الكراغلة، وزعماء القبائل باقليم وهران 1830- 1843.**</u> مذكرة ماجستير في التاريخ الحديث والمعاصر، إشراف: فغرور دحو، جامعة وهران، **2003**، **273** ورقة.

يثير الطالب في موضوعه، دور الفاعلين التاريخيين حول دائرة الأمير عبد القادر وحول السلطة الاستعمارية، ويذكر أن هؤلاء لم يحظوا باهتمام الباحثين الجزائريين والفرنسيين على السواء، وتساءل الطالب عن شخصيات مثل " مصطفى بن اسماعيل"، " أحمد ولد قادي"، " قدور بن المخفي"، " الآغا الحبيب بوعلام"، و"الخليفة البوحميدي"، وما مدى حضورهم في الكتابات التاريخية؟

ومن هذا المنطلق، حاول الطالب استثمار الرسالة العربية ومساءلتها والخروج من الاستثمار التعسفي لتاريخ الأمير عبد القادر في كل أبعاده، ورأى الطالب أن دراسة الرسائل العربية، ستسمح لنا بمعرفة صورة الأمير عبد القادر وكيف كان يتمثل سياسيا، اجتماعيا ودينيا؟

يجد القارئ في هذه الرسائل، شهادات حية عن الحياة اليومية للقبائل وزعمائها، وعن العلاقة بالأمير عبد القادر (والتي تسميه بولد محيي الدين)، ومن جهة أخرى تمثل شهادات عن الأشخاص أنفسهم وأدوارهم ومشاكلهم وغزواتهم واحتجاجاتهم وشكوكهم وطاعتهم، أي شهادة عن الآلام والآمال في خدمة تحولات جيوسياسية، محلية وخارجية، قل فهمهم لها.

خصص الطالب لموضوعه خمسة فصول، ولم يكن الحديث عن الأمير عبد القادر إلا في الفصل الخامس الموسوم: مضامين الرسائل، دراسة واستنتاجات. حيث أفرد محورا واحدا فقط للأمير بعنوان: صورة الأمير عبد القادر في الرسائل العربية التي حررها زعماء المخزن والكراغلة وزعماء القبائل، وقد صنف الطالب هذه الصورة إلى عنصرين:

- في أصل الأمير عبد القادر الشريفي ودوره في المقاومة وقيام الدولة.
- في أوضاع الأمير عبد القادر العسكرية والحربية وعلاقاته المتوترة بالقبائل.

وما يمكن الإشارة إليه، أن الطالب تحدث عن الأمير عبد القادر كما بينا أعلاه في أربع صفحات بين 177- 180، ولما كانت الرسائل كثيرة العدد، فإن الطالب قد اعتمد على طريقة معينة تقوم على عرض الرسالة كما هي أصلا، ثم أعاد صياغتها بخط مرقون وواضح، ليدرس مضامينها في الفصل الخامس والأخير، وهذا النوع من الأعمال مهم جدا في تقدم الدراسات التاريخية، فلو كنا نكلف طلبتنا في دراسات ما بعد التدرج، بإنجاز مذكراتهم وأطارحهم الجامعية على أساس جمع وثائق أرشيفية لمواضيع تاريخية غير مدروسة، والتعليق عليها واستنباط الحقائق منها، لكان البحث التاريخي في الجزائر أكثر تقدما وجدية مما هو عليه الآن.

ثانيا- أطروحات الدكتوراه في التاريخ:

1- سلطانة، عابد. **<u>التراتبية الاجتماعية ببايليك الغرب وأثرها على مقاومة الأمير عبد القادر 1832- 1847. مقاربة مونوغرافية لمجتمع الخلافة الشرقية: أغبال، مجاهر، قايدة فليتة، آغاليك الشرق أنموذجا.</u>** أطروحة دكتوراه في التاريخ الحديث والمعاصر، إشراف: فغرور دحو، جامعة وهران، **2011**. **241** ورقة.

درس الباحث موقف التجمعات الريفية بالغرب الجزائري من مقاومة الأمير عبد القادر ولما كان الموضوع واسعا ويحتاج إلى جهود فرق بحث، فقد اعتمد نماذج لتجمعات ريفية تستقر بالجهة الشرقية للغرب الجزائري، وسماها بقبائل منطقة الخلافة الشرقية[5] الممتدة من وادي الفضة شرقا إلى وادي السفيزف غربا. وطرح الباحث استفسارين رئيسيين؛ الأول يبحث عن إمكانية قراءة مواقف قبائل الخلافة الشرقية من الأمير عبد القادر والفرنسيين بمعزل عن خصوصية هذه التراتبية الاجتماعية[6] المحصورة بين الزعامة السياسية اللائيكية والزعامة الروحية الدينية. والثاني يتناول تقارير المكاتب العربية وتفسيرها لحركات تمرد قبائل الخلافة الشرقية ضد سلطة الأمير عبد القادر على أساس أنها حركات، كانت تعبر عن صراع طرقي بين القادرية والدرقاوية من جهة وبين القادرية

---

[5] منطقة الخلافة الشرقية هي القطاع الشرقي الذي كان يشرف على تسييره خليفة باي الغرب الجزائري.

[6] التراتبية الاجتماعية: هي ترتيب الناس في المجتمع إلى شرائح ومراتب اجتماعية على أساس الدخل أو الثقافة أو الوجاهة أو النسب.

والطيبية من جهة أخرى. وعلى أساس سياسي بين الأمير الذي يمثل الرعية والزعامات المخزنية السابقة، ثم على أساس صراع عنصري بين الأمير العربي وبربر الجبال. لكن الأسطوغرافيا الوطنية تفسر ذلك التمرد على أساس العمالة والخيانة. وعلى ضوء هذا الاستفسار حدد الباحث مجموعة من التساؤلات هي:

في أي مجال يمكن تفسير حركات التمرد ضد الأمير عبد القادر؟ وما هي العوامل البارزة التي دفعت بقبائل الخلافة الشرقية إلى التمرد ضد سلطة الأمير عبد القادر؟ هل هي العوامل الجغرافية والايكولوجية؟ أم هي العوامل الاقتصادية والاجتماعية والدينية؟ أم هناك عوامل أخرى تتعلق بدور الإدارة الاستعمارية الفرنسية في تأليب هذه القبائل ضد الأمير؟ كيف رد الأمير عبد القادر على حركات التمرد؟ هل كان ردا تفاوضيا سلميا أم ردا عسكريا عنيفا؟

ومن أجل الإجابة على هذه الاستفسارات والتساؤلات وتثبيت الفرضيات المرجح صوابها، اعتمد الباحث أربعة فصول بدون مدخل تاريخي؛ الأول عنونه بـ : الخصائص الجغرافية والتاريخية لقبائل الخلافة الشرقية. تناول فيه أولا قبائل الخلافة الشرقية بالغرب الجزائري وحددها في قبائل أغاليك مجاهر، قبائل قيادة فليتة، وقبائل أغاليك الشرق. ثم قدم قراءة في الخصائص الجغرافية والتاريخية لمجتمع الخلافة الشرقية –حسب تعبير الباحث- وبهذا الصدد استنتج هذا الأخير أن الخصوصيات الجغرافية والتاريخية للقبائل المذكورة كان لها دورا في صناعة سلوكها السياسي إذ تراها تتوحد وتتماسك زمن الأزمات عبر تاريخها وهي مرتبطة بأرضها أشد الارتباط رغم تمايزها الاجتماعي والثقافي والاثني.

وبشأن الفصل الثاني الموسوم بـ: الواقع الاقتصادي وخصائصه بمجتمع الخلافة الشرقية، نلاحظ أن الباحث قد تطرق للملكية العقارية

من أجل فهم واقع القطاع الزراعي الذي درسه من حيث الإنتاج النباتي والحيواني، كما تناول الأسواق والحركة التجارية ونظام الضرائب في عهد الأمير عبد القادر كرجل مقاومة ودولة وآثار هذه الضرائب على قبائل الخلافة الشرقية. ولم ينه فصله إلا بعد تقديم قراءة في الواقع الاقتصادي وأثره في مقاومة الأمير عبد القادر، مفادها أن هذه القبائل التي تشكل محور الموضوع، قد تمردت على الأمير ولم تنقل ولاءها للفرنسيين، وكانت تبيع منتجاتها إلى وكلاء الأمير المتعاهد مع فرنسا في التواريخ المعلومة، وبأسعار منخفضة ليقوم الأمير ببيعها للفرنسيين بأسعار مرتفعة ويستغل الأرباح في تحريك صناعته الحربية. أما سياسة الأمير عبد القادر الضرائبية، قد جعلته يفقد ولاءات قبائل الخلافة الشرقية التي رأت فيه أنه امتداد لسلطة الأتراك.

وفي الفصل الثالث، درس الباحث الواقع الاجتماعي وخصائصه بمجتمع الخلافة الشرقية، متناولا الخصائص الاثنية والسكن والساكنة والامكانيات العسكرية والبشرية ثم انتقل إلى التراتبية الاجتماعية وخصائصها، ورتبها إلى قبائل متحالفة وقبائل رعية وقبائل مخزنية وقبائل ممتنعة، ويظهر أنه اعتمد التقسيم الاجتماعي لمجتمع الريف الجزائري الذي اعتمده الحكام العثمانيون بالجزائر، وهو تصنيف سياسي تحكمه علاقة القبائل بالسلطة العثمانية. وبعد ذلك قدم الباحث كعادته، قراءة في الواقع الاجتماعي بالخلافة الشرقية وأثره في مقاومة الأمير، لكنه اكتفى بعرض نموذج لعلاقة صراع بين سلطة الأمير وزعامة زمنية يمثلها الحاج محمد ولد سيدي العربي.

وأخيرا تناول الباحث في فصله الرابع، الواقع الديني والثقافي وخصائصه بمجتمع الخلافة الشرقية، ثم عرض قراءة تاريخية تضمنت إحدى النماذج التي تمثل علاقة الترابط الصوفي والروحي بين الأمير عبد القادر وسيدي عدة بن غلام الله.

وفي الختام توصل الباحث إلى رصد مجموعة من الأفكار، لخصها في أن مواقف قبائل الخلافة الشرقية من مقاومة الأمير عبد القادر ومن الفرنسيين المحتلين، قد أثرت فيها جغرافية المنطقة وبيئتها وعمقها التاريخي العنيف ورفضها مبدئيا لشكل الدولة والسلطة المركزية التي كانت تعني عندهم الغبن والقهر لأنها محكومة بتقاليد العصبية القبيلية والتي كانت وراء الصراعات بين الأمير والحاج محمد ولد سيدي العربي، وبالتالي لا يمكن قراءة موقف الحاج محمد وأقرانه في خانة الخيانة والعمالة للأجنبي؛ فالتمرد حدث في ظل واقع معقد اجتماعيا ودينيا وشرعيا وسياسيا. ثم استنتج الباحث أن الولاء للأمة الذي حاول أن يفرضه الأمير عبد القادر قد اصطدم بواقع الولاء للقبيلة والصلحاء المحليين وإذا نجح الأمير في تجاوز عقد مجتمع الخلافة الشرقية إداريا وسياسيا فإنه أخفق اجتماعيا ورمزيا. وننهي كلامنا بالقول أن أطروحة الدكتور سلطانة عابد ذات قيمة علمية إذ اعتمدت على أرشيف ما وراء البحر وأرشيف الحربية الفرنسية وكتب مصدرية مخطوطة ومطبوعة باللغتين العربية والفرنسية لكن ملاحقه تحتاج إلى عنايته.

2- بن جبور، محمد. **<u>الاحتلال الفرنسي للجزائر ومقاومة الأمير عبد القادر 1830- 1847 من خلال وثائق الأرشيف المغربي</u>.** أطروحة دكتوراه في التاريخ الحديث والمعاصر، إشراف: محمد موفق، جامعة وهران، **2013**. **348** ورقة.

عالج الباحث في هذا الموضوع موقف المغرب الأقصى من الاحتلال الفرنسي للجزائر سنة **1830**، ومن مقاومة الأمير عبد القادر بين **1832- 1847**، استنادا إلى الأرشيف الفرنسي من جهة والأرشيف المغربي من جهة أخرى، ويعد هذا الموضوع في غاية الأهمية العلمية خصوصا عندما نجده يحتاج إلى أقلام جزائرية وطنية، وقد حدد الباحث إشكالية البحث في سبعة وعشرين سؤالا مباشرا، بعضها مكرر بصيغة تعبيرية أخرى، نذكر

أهمها كالآتي: ما هي النتائج الأولية للاحتلال الفرنسي لمدينة الجزائر؟ وكيف كان رد فعل السلطة المغربية من جهة والتشكيلات الاجتماعية المغربية من جهة أخرى؟ وإلى أي مدى نجح المغاربة بما فيهم السلطان في الاستجابة لنداء الجزائريين؟ وما هي مرامي الأمير عبد القادر من وراء تبعيته للسلطان المغربي؟ وما موقف السلطة الاستعمارية الفرنسية من دولة الأمير الجديدة ذات الولاء للمملكة المغربية؟ وكيف ضغطت على المغرب ليبقى محايدا؟ وما دور القبائل المغربية الحدودية في مقاومة الأمير ؟ وما هي آثار اتفاقيتي طنجة **1844** ولالة مغنية **1845** على المقاومة الجزائرية؟ ونشير أن هذه التساؤلات كان يمكن لها أن تتفرع من إشكالية رئيسية وأن تكون مصحوبة بفرضيات حل مناسبة .

وللإجابة على هذه التساؤلات المطروحة، وزع الباحث موضوعه إلى مدخل تاريخي وأربع فصول؛ ففي المدخل الذي سماه: الوضع في الجزائر قبيل عام **1830** تناول الأوضاع الداخلية في المجالات؛ السياسية، العسكرية، الإدارية، الاقتصادية، الاجتماعية، والثقافية، معتمدا على مراجع باللغتين العربية والفرنسية، ولم يظهر توجه الباحث وهو يؤسس لموضوعه، فنجده يبرز مفاسد الوضع السياسي من جهة، ويتحاشاها في باقي المجالات من جهة أخرى، ولم يبين بوضوح بأن الاحتلال الفرنسي الذي تسلط على الجزائر سنة **1830** استغل أمراضا على شتى الأصعدة، نخرت كيان الدولة الجزائرية، التي كانت تنتظر الضربة القاضية. وفي اعتقادي كان من الأنسب أن يخصص المدخل للروابط الحضارية التي تجمع بين الجزائر والمغرب، ما دام الموضوع يحلل تقلب المواقف المغربية من تطورات شهدها الميدان الجزائري بدءا من سنة **1830** إلى غاية **1847**.

وفي الفصل الأول الموسوم: الغزو الفرنسي لمدينة الجزائر وانعكاساته سنة **1830**، تطرق الباحث إلى سقوط مدينة الجزائر في **05** جويلية **1830** ، والمحاولات المغربية لضم مدينة تلمسان وامتداد النفوذ

المغربي إلى التيطري، وكذا المراسلات المغربية- الفرنسية بخصوص الجزائر، وتضمنت معلومات تاريخية مفصلة، هامة ومفيدة. أما الفصل الثاني فكان عنوانه حول ظهور الأمير عبد القادر وتسارع الأحداث بين **1832- 1834**. وفيه نجد مبايعة عبد القادر بن محيي الدين أميرا للجزائر وموقف السلطة المغربية من ذلك، وموقف المولى عبد الرحمن من معاهدة الأمير عبد القادر –ديميشال وأخيرا سياسة الاحتلال الواسع ومقاومة الأمير لها والتي أعقبت نقض فرنسا لمعاهدة **1834**، وقد نجح الباحث في ترتيب أفكار الفصل وتوصل إلى استنتاجات مفيدة. وفي الفصل الثالث تعرض الباحث لتجدد الحرب بين الأمير وفرنسا بين **1835- 1839**، وأول ما تطرق إليه هو معاهدة التافنا سنة **1837** بين الأمير عبد القادر والجنرال بيجو وموقف المغرب الأقصى منها ثم نقض المعاهدة والعودة للحرب بين **1839- 1843** وكذا نشاط الأمير في شرق المغرب بين **1844- 1845** وهنا نلاحظ أن الباحث لم يلتزم بالإطار الزماني الذي وضعه لفصله فهو بحاجة إلى تعديل الزمان وتحديده بين **1835- 1845**.

أنهى الباحث موضوعه بفصل رابع سماه: بداية تراجع المقاومة الجزائرية وتخلي السلطة المغربية عنها. وفيه تناول الباحث الضغط المغربي وعودة الأمير عبد القادر إلى الأراضي الجزائرية بين **1845- 1846**، ودور السلطان في إضعاف المقاومة الجزائرية وإعداد فرنسا لحملتها العسكرية الأخيرة ضد الأمير عبد القادر سنة **1847** التي على إثرها سلم سلاحه وقرر توقيف القتال.

ختم الباحث موضوعه في سبعة أوراق تقريبا بين صفحتي **265 – 271**، يغلب عليها التلخيص، وأهم ما توصل إليه من نتائج أن الكتابات المغربية قد أنصفت الأمير عبد القادر، في بداية مقاومته للاستعمار الفرنسي، واحترمت مكانته العلمية والعسكرية، بيد أنها سرعان ما بدأت تتهجم على شخصه وتتحامل عليه خاصة كتابات المخزن المغربي،

التي كانت تتم بين السلطان وعماله أو مع القادة الفرنسيين، وبعض زعماء القبائل المغربية، التي كانت تؤيد الأمير. وهنا نصادف تساؤلا للباحث كان من المفترض أن يطرحه في مقدمته ويتعلق بتشكيكه في الكتابات المغربية، هل هي كتابات موضوعية أم متحيزة لجهة سياسية في الداخل المغربي أو خارجه؟

وقد زود الباحث أطروحته بملاحق؛ كان بعضها وظيفيا وبعضها الآخر يحتاج إلى عنايته، ومصادر الموضوع متنوعة وثرية؛ بين مصادر مغربية من مخطوطات ووثائق أرشيفية، ومصادر فرنسية من كتب مطبوعة ووثائق، وكذا المراجع والرسائل الجامعية باللغتين العربية والفرنسية.

<u>ثالثا- الأطروحات الجامعية في الفلسفة:</u>

1- بلغراس عبد الوهاب. **<u>الحدث التاريخي في اللحظة الصوفية من خلال تجربة الأمير عبد القادر.</u>** أطروحة دكتوراه في الفلسفة، إشراف: عبد اللاوي محمد، جامعة وهران، **2011**. **238** ورقة.

أثار هذا الموضوع علاقة التاريخ بالتصوف، ويرى الباحث أن الحديث عن التاريخ مرتبط بالحديث عن الزمان، بينما التصوف قد يرتبط بما يمكن تسميته باللازماني، أو الأبدي، ومع ذلك فإن التصوف استطاع أن يدخل الحقل التاريخي أي أن المتصوف يمكن له تفسير التاريخ، وفق المنظور الصوفي.

ارتبط الفضاء الصوفي عبر العصور بالديانات المعاصرة له، فهو من أبرز الفضاءات التي احتضنت فكرة التاريخ، ولما كان كل تصوف يحمل بصمات الدين الذي ارتبط به، فإن التصوف الإسلامي قد شكل نمط حياة ونظام تفكير منتظم وقابل التجديد. ويعيش الصوفي نوعا من العزلة الداخلية وقد يحدث ذلك انقلابا في ذات الصوفي الذي يصير يتحدث عن

الأبدية والخلود والسرمدية وغيرها من المفاهيم التي قد تتعارض مع ما هو زماني.

وإذا كان الأمير عبد القادر المتصوف، من خلال تجربة المواقف، قد شكل عزلة أو خلوة على غرار العزلة المعروفة عند المتصوفة، فقد تساءل الباحث عن عزلة الأمير، هل جعلته خارج التاريخ أي خارج الزمان والمكان؟ وإذا كان الوجود الإنساني، لا يتحدد إلا في إطار زمان ومكان محددين؛ فهل للمتصوف ونقصد الأمير عبد القادر مكان وزمان خاصين به يشكل من خلالهما صيرورته وماهيته؟ وكيف يجسد كل هذا إن كان موجودا في اللحظة الصوفية؟

أنجز الباحث موضوعه في أربعة فصول؛ الأول يتناول الزمان واللحظة: قراءة في المفاهيم. وقسمه إلى محورين؛ محور الزمان الفلسفي من عهد الإغريق إلى العصر المعاصر، ومحور الزمان الصوفي. وفي الفصل الثاني يقدم الباحث الخطاب الصوفي عند الأمير عبد القادر، ويدرس التصوف والتجربة الصوفية بشكل عام ثم يتخصص في تصوف الأمير عبد القادر متناولا مصادر معرفته وشيوخه، أسلوبه في التدريس والكتابة، مؤلفاته، وتجربة الأمير مع التصوف. ويستمر الباحث في فصله الثالث في دراسة التصوف عند الأمير فيسلط الضوء على فكرتين هما: الوجود ومراتبه عند الأمير عبد القادر. واللحظة الصوفية في تجربة الأمير. أما الفصل الرابع فخصصه لقراءة الأمير عبد القادر للحدث التاريخي؛ فدرس الحدث التاريخي ووحدة الوجود مبينا معاني الحدث التاريخي المختلفة ومعنى وحدة الوجود، ثم طرح سؤالا وشرحه مفاده؛ لماذا تقبل وحدة الشهود ولا تقبل وحدة الوجود؟ ثم انتقل إلى الوَلاية الصوفية والحدث التاريخي محددا لمبحثه هذا ثلاثة عناصر هي: الولاية والقضاء والقدر، الحقيقة المحمدية والإنسان الكامل والتاريخ، والحدث التاريخي بالمنظار الصوفي. ونشير إلى أن الباحث كان ينهي كل مبحث من كل فصل بخاتمة.

وقد اعتمد الباحث في سبيل إنجاز موضوعه على مادة بيبليوغرافية هامة بالعربية والفرنسية ولاحظناه أن انطلق من كتب الأمير عبد القادر في التصوف وهي :

- - كتاب المواقف في التصوف والوعظ والإرشاد.
- - كتاب المواقف الروحية والفيوضات السبوحية.
- - بغية الطالب على ترتيب التجلي بكليات المراتب.
- - ذكرى العاقل وتنبيه الغافل.
- - المقراض الحاد لقطع لسان منتقص دين الإسلام بالباطل والإلحاد.

وتوصل الباحث في خاتمته إلى أن الزمان الصوفي هو زمان شعوري وزمان غيبي ميتافيزيقي يقوم على إحساس الفرد بشعوره الداخلي، ويشكل الحاضر عند الأمير عبد القادر والمتصوفة بشكل عام، الجزء الوحيد من الزمان الذي نعرفه بالإحساس، وهو الزمان الوحيد الذي نعيشه بأجسادنا وأنفسنا. ولما كان حاضر الصوفي مرتبطا بلحظته الآنية أي أن الصوفي هو ابن وقته فإنه يعيش حاضره ويعيش وقته الحداثي لكن بصورة مغايرة، فالصوفي يعمل على تمديد لحظته لدرجة ربطها بالأبدية.

ويجد الباحث، الأمير عبد القادر، في تجربته الأنطولوجية، يتمثل اللحظة من خلال الجمع بين المفهوم والمعيش، وكان حديثه عن اللحظات الصوفية في كتابه المواقف، هو حديث مستنبط من آيات قرآنية وهو في وقفته ووقوفه مع الحق حيث الآية هنا تصله وكأنها تنزل عليه من جديد، كأن يعيش لحظته الآنية. واللحظة الصوفية تتقرب من الله وهي لحظة اللقاء، شبيهة بلحظة الصلاة التي يكون فيها المصلي مع خالقه في لقاء مباشر يشعر بسعادة، يرغب في أن لا تزول، وهي المرحلة التي يتجاوزها كبار الصوفية لأنها بمثابة السُّكْر والذي يحتاج إلى صحو، فكبار

الصوفية على غرار الأمير، يعودون للصحو وللعالم الحسي؛ عالم الشهادة، بصورة مختلفة. ويلاحظ في اللحظة الصوفية أثر الحضور الإلهي في الهنا (المكان) والآن (الزمان). والأمير عبد القادر، لم يعبر عن لحظته الصوفية مثل البعض بل قال عنها : " قيلت لي ولم أقلها." وهي لحظة دائما تتجدد مع الإنسان ومع اللّه.

ومع ذلك نجد الأمير عبد القادر في الموقف **44**، يؤكد على التمسك بالأسباب، والحدث التاريخي في لحظة الأمير الصوفية يدل على الجمع بين الظاهر والباطن، بين الغيب والشهادة، بين الحق والخلق، وهنا تنتقل قوانين الطبيعة من عالم الحس إلى عالم الخيال وهو خيال مبدع. والتاريخ عند الأمير من الناحية الميتافيزيقية، عبارة عن دورة وجودية أساسها أسماء اللّه الحسنى، والآية تدل على ذلك : " كما بدأتم تعودون". والحدث التاريخي في اللحظة الصوفية عند الأمير يرتبط بالزمان الحاضر وبالمكان الرمزي وبعالم الملكوت أي باطن الشيء وحقيقته. وفسر الأمير عبد القادر تأثر المسلمين بالغرب المتفوق، في كون المغلوب دائما ينظر إلى الغالب بعين الكمال فيقتدي به في كل شيء ويتكلم بلسانه. لكن الحقيقة المحمدية هي الكمال؛ فالأمير يسع قلبه كل الأسماء الإلهية فيجسد الكمال ويجسد الإرادة الإلهية فيصبح هو اللحظة الصوفية. والرؤية الصوفية للأمير ترى بأن هذا العالم كله وهْم ومجاز، والحديث عن الفرد يدل على أن في الحدث التاريخي لا معنى للفرد. والحدث لا يرتبط بعلاقة أفقية بل له علاقة بالمطلق أي علاقته عمودية بين الإنسان واللّه. وهذا المنظار العمودي للأمور هو الذي يطوي الصوفي في ذاته، الكل. ومن خلال كتاب المواقف للأمير نقف على رؤية مغايرة للتاريخ، يفترض أن تتجاوز إلى حد بعيد الرؤية السائدة، نصل من خلالها إلى رؤية تحاول الاقتراب من أن الوجود الإنساني، ينطوي على بعد روحاني لا يمكن تجاهله.

2- بلخير خديجة. **<u>الغياب في الخطاب الصوفي –الأمير عبد القادر نموذجا–</u>** أطروحة ماجستير في الفلسفة، إشراف: بهادي منير، جامعة وهران، **2010**. **191** ورقة.

كان لزاما على الطالبة أن تدرس التصوف بشكل عام للولوج إلى التصوف عند الأمير عبد القادر انطلاقا من كتابه "المواقف"، وماهية الغياب في خطاب الصوفية والأمير، وذكرت في مقدمتها أن التصوف هو علم من العلوم الشرعية، وأصله العكوف على العبادة والإعراض عن الدنيا وزينتها، وهو معرفة ذوقية كشفية إلهامية باطنية، تأتي القلب مباشرة دون إعمال العقل والحواس، وهي تعد معرفة ذاتية شخصية يعيشها الفرد دون إشراك الجماعة معه. والتصوف قسمان: قسم فلسفي، يقوم على طلب المعرفة. وقسم ديني، يقوم على تصفية النفس بالعبادة والانقطاع عن الدنيا، وقد يمتزج القسمان ليشكلا مذهبا واحدا، مثلما نجده عند ابن عربي. ولم يثق الصوفية بالعقل كثيرا لأن المعرفة الحقيقية عندهم تقوم عن طريق القلب، وهذا النوع من المعرفة يسمونه بعلم المكاشفة أو علم الباطن. وغاية المتصوفة هو معرفة الله والفناء فيه، والفناء هو حالة وجدانية يعانيها العارفون الواصلون إلى ذروة المعرفة الإلهية، وفي حالة الفناء، يطلع الإنسان بعين بصيرته على عالم الغيب أو عالم الملكوت، وهي نوع من الغيبة، أي غيبة المرء عن إحساسه بنفسه وبغيره، وتتخذ في ذلك أشكالا مختلفة، فقد يغيب المرء عن نفسه وعن الخلق وأحيانا يغيب عن نفسه فقط، وأحيانا يغيب عن غيره دون نفسه؛ فالغياب حالة يعيشها الصوفي بمجرد تفكر ثواب أو غياب، وقد تكون هناك عوامل مساعدة في حدوثها، وفسره علماء النفس أنه نوع من المرض أو الهروب من واقع يعيشه المرء، غير أن الواقع يبين غير ذلك؛ فالدور الذي ولدته الظروف خصوصا في عهد الاستعمار، أدى بكثير، اللجوء إلى هذا النوع من الزهد والاعتزال والخلوة، وهو الجو الذي وفرته الزوايا التي كان الأثر على من سلك طريق التصوف مثل الأمير عبد

القادر، الذي عُرف بشجاعته ونضاله الطويل ضد المستعمر الفرنسي ولم تمنعه الظروف من التفرغ للعلم وقراءة كتب القوم، وانطلق مشواره الصوفي في بالمشرق العربي، فألف كتابه " المواقف" فكان عبارة عن شروح لبعض آيات القرآن وأحاديث نبوية إضافة إلى ذكر بعض المواقف بما فيها الغياب.

وطرحت الطالبة إشكالية الموضوع بالصيغة الآتية: كيف يكون الغياب حضورا في التجربة الصوفية؟ فمن خلال هذا السؤال، لا يصبح الأمر يتعلق بالغياب فقط، بل بالحضور أيضا، وهذا يعني أن غياب الذات هو حضور للآخر في هذا الوعي الذي يسعى إلى الكشف عن الهوية الحقيقية.

وبنت الطالبة موضوعها على ثلاثة فصول؛ تناولت في الفصل الأول: التجربة الصوفية والتصوف الفلسفي، فبعد أن قدمت مفهوما للتصوف تطرقت إلى أدوات التجربة الصوفية ثم عرجت على شرح التصوف الفلسفي بناء على نظرية الاتصال والاتحاد أولا وعلى وحدة الوجود في مذهب ابن عربي ثانيا.

وفي الفصل الثاني، استهلت الطالبة تجربة المواقف وفلسفتها مبرزة النزعة الصوفية للأمير عبد القادر الجزائري في نقطتين هما: - مفهوم التصوف عند الأمير عبد القادر حيث أبرزت نزعته الإنسانية، وانتمائه إلى آل البيت النبوي، وتربيه الدينية والصوفية، وإيمانه الشديد بالقضاء والقدر، ومحاربته للتقليد والمقلدين، واعتزاله للحياة السياسية والعسكرية بعد استسلامه، وعزلته في أسره بامبواز في فرنسا.

- التطور الروحي للأمير عبر أربع مراحل هي: مرحلة التلقين والتعلم (**1807- 1830**)، ومرحلة الفتوة والمرابطة (**1830- 1847**)، ومرحلة

التأمل والتفكير (**1848- 1852**)، ومرحلة النضج والتعبير (**1853- 1883**).

وبعد ذلك انتقلت إلى تجربة الغياب في المواقف للأمير عبد القادر الجزائري، شارحة ذلك وفق ثنائية الغياب والحضور، والغياب وتجربة الكشف. واستمرت الطالبة في دراسة الغياب الصوفي في فصلها الثالث الموسوم: الغياب بين التأويل والمجاز، وتناولت بصدده علاقة الغياب بالنص أي الكتابة، وعلاقته بالتأويل، ثم بينت رمزية الغياب الصوفي.

واعتمدت الطالبة في سبيل إنجاز موضوعها على مصادر ومراجع باللغتين العربية والفرنسية، وموسوعات فلسفية وصوفية ومعاجم لغوية دون أن تهمل الطالبة كتب الأمير عبد القادر مثل المواقف في الوعظ والإرشاد، والمواقف في بعض إشارات القرآن إلى الأسرار والمعارف، ومذكرات عبد القادر، ورسالة إلى الفرنسيين، وذكرى العاقل وتنبيه الغافل.

وختمت الطالبة موضوعها بتقديم مفهوم فلسفي للتصوف والغياب الصوفي وخصوصية هذا الأخير عند الأمير عبد القادر؛ فبالنسبة للتصوف فقد اعتبرته مسلكا يحقق للفرد طمأنينة النفس واستقرارها، حيث يمكنه من الاتصال بالعالم العلوي الروحاني، ولا يتأتى ذلك إلا بمجاهدة النفس والجسم معا لأن لا صفاء للنفس إلا بالقضاء على شهوات البدن. والتصوف هو تجربة خاصة لأنها لا تكون إلا لفئة معينة من الناس أي خاصة الخاصة، وهو خبرة ذاتية ذلك أن الصوفي وإن كان يتعلم على شيخه إلا أنه يبقى هو الوحيد الذي يحدد مساره الصوفي من خلال ما تعلمه وما اكتسبه وما اكتشفه بتجاربه بنفسه بمعنى أن التصوف يقوم على أولوية الفرد دون الجماعة. كما يشكل التصوف نظرية في الأخلاق من حيث فناء الصوفي عن الصفات المذمومة، والبقاء بالصفات المحمودة، وأكبر من ذلك هو ذلك الحب الذي يجمع بين المحب والمحبوب، فهو الركيزة والنقطة

المحورية التي يدور حولها التصوف كله، لأنه يولد في الإنسان تعطشا وميلا نحو التسامي إلى المراتب العليا، وشوقا إلى رؤية الحبيب والفناء فيه، ويستخدم الصوفية في ذلك، الذوق، كمنهج للمعرفة. والمعرفة الصوفية؛ معرفة تجريبية لا عقلية ولا منطقية وتحصل بالمشاهدة، وهي حالة عرفانية لا يتم الوصول إليها إلا بتغييب الوعي.

والغياب هو شعور يتملك قلب الصوفي فيحس وكأنه في قبضة قوة عليا، فيرتقي ويتعالى بروحه وأحاسيسه، مغيبا لذاته، للفناء في الحضرة الإلهية فتتكشف له أمور غيبية وأسرار ربانية. وقد لاحظت الطالبة بتفكيرها الفلسفي هذا الغياب عند الأمير عبد القادر ورأت أن غيبته تختلف عن غيبة بعض الصوفية؛ فغيبة الأمير لم تكن طويلة وهي مصاحبة للذكر ولم يكن مجرد ترديد باللسان وإنما التفكير في عظمة الخالق، ولاحظت أن الأمير لم يستعن بالوسائل الأخرى المساعدة على الغيبة كالسماع والرقص وغيرهما، فكانت غيبته غيبة تدبر يحددها الزمن. واستغربت الطالبة في كون أن الظروف التي مر بها الأمير لم تدفعه إلى التوجه إلى الغياب وممارسته إلا بعد نفيه واستقراره بدمشق مما يعني أن تجربة الغياب لا تكون تحت ضغوطات يعيشها المرء، حيث ينعدم الهدوء واستقرار النفس، كما أن تجربة الغياب لا تكون إلا في حالة الخلوة.

3- درويش أحمد. **<u>المصطلح الصوفي في شعر الأمير عبد القادر (دراسة معجمية دلالية).</u>** رسالة ماجستير في اللغة، إشراف: درار مكي، جامعة وهران، **2005**. **243** ورقة.

تناول الطالب في موضوعه؛ الشعر الصوفي للأمير عبد القادر الجزائري الذي تضمن مصطلحات لم تنل حقها من البحث، وحاول سد هذه الفجوة مركزا على المصطلح وباحثا في الأصول المرجعية لتكوينه، وعارضا ضروبه؛ المركب بأنواعه والمفرد؛ ثم بين طرق استعماله شارحا في

ذلك نمطية الاستعمال الجديد ومقارنتها بالدلالة المعجمية أو الاجتماعية الأصلية.

وخصص الطالب لموضوعه؛ مدخل بدون عنوان، أوجز فيه الطالب رحلة اللغة العربية إلى المغرب الأوسط، وذكر عوامل انتشارها قبل الفتح الإسلامي وبعده، وبين نمو الحركة الثقافية في الجزائر، وأهم المراكز العلمية، وأشهر العلوم، وموقعية المباحث المصطلحية من كل ذلك، وأنهى الحديث بوقفة في حياة الأمير الصوفي لإبراز معالم حياته العلمية والفكرية خاصة.

وجاء تقسيم الموضوع إلى بابين؛ باب أول موسوم بـ: المصطلح: تنظير ووظيفة. وقد عالج ذلك في ثلاثة فصول؛ الفصل الأول حول المصطلح: تنظير وتحديد، وفيه عرف بالمصطلح بشكل عام لغة واصطلاحا، وبين المصطلح في العصر الحديث وخصائصه ومشاكل المصطلحات، ثم ضيق بحثه وركز على المصطلح الصوفي مبينا مراحل نشأة التعبير الصوفي وخصائص العبارة الصوفية. وفي السياق نفسه تدرج الطالب إلى فصله الثاني حول المصطلح الصوفي: وصف وتأصيل، واستعرض فيه مفاهيم الحال والمقام ويرصد جدول إحصائي عام للمصطلحات ويصنفها إلى مصطلحات مركبة ومصطلحات مسندة ومصطلحات مضافة ومصطلحات موصوفة ثم تطرق إلى الأسس المرجعية لتوليد المصطلح وكذا القياس وأسلوب التمثيل والأخذ. وفي الفصل الثالث، تواصلت دراسة المصطلح الصوفي لكن هذه المرة من زاوية المعجم الوظيفي، فبين الطالب، الحال النفسانية وخصائص مجال مصطلحات الحال النفسانية والحال الربانية بنوعيها المؤقتة والدائمة كما لم يغفل ذكر المصطلحات المشتركة بين الحال الربانية والحال النفسانية. ومن مصطلحات الحال انتقل الطالب إلى مصطلحات المقام وخصائصها مركزا على مصطلحات مجال المدح الصوفي.

أما الباب الثاني فعنوانه: المعجم اللغوي ودلالة الاستعمال؛ ويشتمل على أربعة فصول:

الفصل الأول يدور حول مصطلحات الصيغ الاسمية وفيه تعريف بالاسم واسم الذات وجدول إحصائي للصيغ الاسمية والذوات المقيسة وغير المقيسة وأسماء المدركات العقلية والمصطلحات الحيادية. وتناول الفصل الثاني المصطلحات ذات الصيغ الحديثة؛ وفيه نجد تعريف للفعل وأهميته، جدول إحصائي عام للصيغ الحديثة، أحداث الحركة، أحداث الموقف، أحداث العمل، أحداث الحالة، مكونات الفعل البنيوية، والزمن. أما مصطلحات الصيغ الوصفية فقد تناولها الطالب في فصله الثالث؛ بالتعرض إلى ماهية الوصف وعلاماته، جدول إحصائي لمصطلحات الوصف، اسم الفاعل، الصفة المشبهة، الاسم الجامد المؤول بمشتق، النسبة، اسما الزمان والمكان، المصدر والظرف.

وانتهى العمل بطرق المصطلح الصوفي ودلالته في الفصل الرابع وركز الطالب على الدلالة عند القدامى والمحدثين وتطورها عند الصوفية التي انتقلت من سمة الحركة المحسوسة إلى الحركة السيكولوجية ومن مجال العمل الحسي الإرادي إلى مجال موقف اليقين، ومن دلالة المكان المحسوسة إلى سمة الزمان التخيلي، ومن سمة العمل اللفظي إلى سمة الحالة العارضة، ومن المحظورات الحسية إلى مجال المرجوات المعنوية ومن سمة الميل إلى الآخر إلى سمة الميل إلى الذات.

وقد اعتمد الطالب في إنجاز موضوعه اللغوي هذا على كتب في التاريخ والنحو والبلاغة والصرف والبيان والتصوف والشروحات والمعاجم اللغوية والصوفية والفلسفية وفي المصطلح كما كان ديوان الأمير عبد القادر الذي حققه ممدوح حقي ثم زكريا عبد الرحمن صيام، محور عمله.

ختم الطالب موضوعه بالأفكار التالية:

❖ ثبت اتصال سكان المغرب الأوسط باللغة العربية قبل الفتح الإسلامي بفضل عامل التجارة خاصة، أما بعده فقد توطدت هذه اللغة بنشر تعاليم الدين الإسلامي. وظل سكان الجزائر على اتصال بالمشرق يفيدون منه شتى العلوم ومختلف المذاهب؛ فمما أخذوه، الطرق الصوفية كالطريقة القادرية التي حمل لواءها في الجزائر محي الدين والد الأمير عبد القادر.

❖ إن النشأة الصوفية التي تربى عليها الأمير عبد القادر جعلت منه ذلك الرجل صاحب الفكر الخصيب والمواقف الجليلة التي تشهد له بالعظمة في السيف والقلم والإدارة.

❖ أثرت انفرادية السلوك الصوفي في خطاب أهل الطريقة، إذ تنوعت المفاهيم، وتداخلت المصطلحات، كشأن لفظي الحال والمقام، ولما كانت المنابع المعرفية للأمير متنوعة؛ فإن مصطلحاته تنوعت بين المصطلحات الفلسفية والفقهية وألفاظ المحبة، ويبدو جليا أخذه بالقَصَص القرآني والحديث الشريف وتعابير الناس كأسس مرجعية في توليد المصطلحات بمدلولاتها الجديدة.

❖ اعتمد التعبير الصوفي على المجاز الناتج عن التطور الفكري والحضاري في حياة الأمة لا عن المجاز الذي تنسجه الأخيلة وتحيكه العواطف، لذا عُد مجازا مميزا يسير جنبا إلى جنب الحقيقة اللغوية المعروفة عند أهل البلاغة.

❖ لقد نوع الأمير في توليده للمصطلحات، حيث عمد إلى القياس على ما استعمل في المدونة الصوفية كما هو واضح في (ماء الأرض)، وفي (أرواح سعاد) المقيسين على مصطلحي (ماء القدس) و (أرواح لقمان).

❖ اعتمد الأمير عبد القادر في شعره على استعمال المترادفات انطلاقا من تقارب الدلالات المعجمية الأصلية للصور السمعية كشأن مصطلح (الأناقة، الجمال، والحسن) وظهر جليا مدى مراعاته للفروق اللغوية الدقيقة بين تلك المترادفات.

❖ كانت الدلالة اللغوية هي المنطلق الأساسي في وضع الأمير للمصطلحات وتعامله معها، فقد أضفى عليها مسحة تصوفه الروحي كما تجلى في مصطلح (الطمس). وتعبيرا عن الفناء الدائم، وظف الأمير مصطلحات كثيرة تعبر عن ذلك مثل (الحمى، اليقين، المشاهدة، والجمال). وعليه يشكل الأمير عبد القادر الجزائري مرحلة تجديدية في التعبير الصوفي لما يتسم به من سهولة الفكرة وانضباط معنى الاصطلاح.

خاتمة:

يبقى موضوع اهتمام الجامعات الجزائرية وحتى الأجنبية بالأمير عبد القادر الجزائري، من المواضيع المفتوحة، لذا اكتفينا في هذه الورقة العلمية باختيار جامعة وهران، كنموذج، وتحصيل الرسائل والأطروحات الجامعية التي تمت مناقشتها، كشكل من أشكال الاهتمام الجامعي، برمز المقاومة الجزائرية " الأمير عبد القادر". وللأمانة العلمية ينبغي أن نشير في ختام حديثنا أننا لم نتمكن من فحص أطروحة دكتوراه للباحث منور الصم بعنوان **الأمير عبد القادر وأحداث 1860 من خلال الوثائق الفرنسية**، والتي نوقشت بجامعة وهران سنة **1971**. كما لا يفوتنا أن نشير إلى أننا عثرنا بمصلحة الرسائل الجامعية بوهران على مذكرة ماجستير في الأدب العربي، بعنوان: **الأمير عبد القادر أديبا،** أعدها الطالب عبد الرزاق بن السبع، وأشرف عليها الدكتور محمد زكرياء عناني، وقد نوقشت بجامعة الاسكندرية سنة **1988**، وتصل إلى **400** ورقة. ولما فحصناها وجدنا أن الطالب قد وزع موضوعه إلى ثلاثة أبواب؛ لكل باب فصلين؛ بحيث خصص الباب الأول لتاريخ الجزائر في عهد الأمير عبد القادر ثم انتقل إلى دراسة حياة وثقافة الأمير، والباب الثاني للأمير عبد القادر أديبا (شعرا ونثرا) والباب الثالث للسمات الفنية في أدب الأمير عبد القادر، وتوصل الطالب إلى أن الموسيقى الشعرية عند الأمير، تقليدية وأن شعره هو امتداد للشعر العربي التقليدي، وثقافته دينية وله قدرة على المناظرة والمجادلة والدفاع عن أفكاره.

الفكر السياسي والدبلوماسي عند الأمير عبد القادر

د. سعد طاعة، جامعة معسكر

مقدمة:

إن الأعمال المختلفة السياسية و الاقتصادية والاجتماعية والثقافية والإنسانية، التي قدمها الأمير عبد القادر لوطنه و العالم ككل ،تحتم على الدارس والقارئ للتاريخ أن يقف عندها لأخذ العبر من عظمة هذه الشخصية المتكاملة، فالأمير الذي ولد أوائل **1808**م « قد أبدى منذ نعومة أظفاره نباهة و نجابة ،جعلت والده يفضله على غيره من أبنائه، وفي سن مبكرة حفظ القرآن الكريم وتعلم مبادئ العلوم اللغوية والدينية، وتربى على ركوب الخيل كما تلقى علوم الحساب والجغرافيا والتاريخ على يد الشيخ أحمد بن طاهر قاضي أرزيو ،ثم أرسله والده إلى وهران لإتمام تعليمه» (العربي، إ.**1982**:**38**) .

تمكن الأمير من أن يجمع في شخصيته القوية صفات كثيرة فكان مثقفاً، متديناً، متخلقاً، سياسياً بارعاً، ودبلوماسياً شجاعاً، أشتهر بالمحافظة على الوفاء بالعهد وصدق الوعد فكان حريصاً أن « الأسير المسلم إذا سرحه العدو وشرطوا عليه أن لا يغزوهم يلزمه الوفاء »(الأمير، ع.ب ت:**223**) .

كما كانت ميزته رجاحة العقل، فبالرغم من صغر سنه،تمكن من تأسيس دولة فتية، وفاوض فرنسا ، وهي أكبر قوة سياسية وعسكرية في حوض البحر الأبيض المتوسط آنذاك، وهو عن نفسه يقول « العقل منبع العلم ومطلعه وأساسه، والعلم يجري منه مجرى الثمر من الشجر و النور من الشمس، والرؤية من العين فكيف لا يشرف من هو وسيلة للسعادة في الدنيا والآخرة؟»(الأمير، ع.ب ت، ص**10**) .

فكان لا يفرق بين الدين و السياسية، فجعل من الإسلام ومبادئه السمحة مشروعاً لدولته الداخلية ومعاملاته الخارجية. كما كان الأمير يذهب بعيداً في طريقة الترضية، لإحلال السلام محل الحرب فيقول:«لا يحصل الاتفاق إلا إذا عرّفتموني شروطكم وما تطلبونه مني، وأنا أعرفكم بمثلها »(العربي، إ.**1982:51**) .

<u>أولا : الفكر السياسي عند الأمير</u>

يقوم الفكر السياسي عند الأمير عبد القادر على ثلاث مبادئ رئيسية هي:

أ/ اتخاذ القرارات الصعبة من أجل مصلحة الوطن : سواء كانت هذه القرارات في حالة الحرب أو السلم،كان ديمقراطياً يحاور مشاوريه حول كل المسائل التي تهم الأمة، مع مجلس الشورى الذي أنشأه « ومن مهامه النظر في معظم قضايا الدولة، ومصالحها كصياغة المناشير التي ترسل إلى القبائل ،ومراجعة أحكام القضاة في كل مقاطعات الدولة ،وفرض الضرائب، والنظر في القضايا الجنائية وكان على رأس الجهاز القضائي أحمد الهاشمي المراحي (بوسليم، ص. **2012** : **81**) .

هذه المؤسسة الديمقراطية الممثلة في مجلس الشورى الذي استحدثه الأمير. فكان يتخذ قرارات كثيرة كلها في صالح الشعب مما جعل« حوالي ثلثي مساحة الجزائر تخضع لسلطته، وقانون دولته، وحتى المناطق البعيدة التي كانت تحت سلطة الاحتلال فإن سكانها يخضعون لقرارات الدولة الأميرية »(**Dinssen, A. 2001:.53**)

لم يكن الأمير متعصباً بل أدرك أن رجل الدولة لابد أن يكون سياسياً، محاوراً، مرناً، كما لم يكن من السهل قيادة هذه الدولة، وقد واجهتها النكبات ، فالحملة الاستعمارية كانت ما تزال مستمرة مع التصدي للقبائل الثائرة، ومحاولة نقل السلطة من الأتراك، و وجود فراغ

سياسي نتيجة هذا التغيير . ومع ذلك فإن الأمير تحلى بالصبر، وبرجاحة العقل، و بالحنكة السياسية المعهودة، فكان يدرك عدم التزام الحكومة الفرنسية بالعهود، فهيأ دولته لكل طارئ. فهو نفسه قال لما نقضت فرنسا معاهدة التافنة :« جرت لهم علينا ولنا عليهم جولات ودولات، مرة لنا ومرة علينا ، ونكبات لا تكاد توصف في الفريقين وحشرنا بتلك النواحي من قبائل ترارة والساحل، وعساكر بني بزناسن وفرسان صناديد أنجاد ،وصرنا كما قال أبو سفيان يدال علينا مرة وندال أخرى والحرب دول وسجال »(بن التهامي، ح.**1995** : **107**). واعتمد الأمير عبد القادر في سياسته الداخلية على تطبيق الشرع الإسلامي، وأصر أن يكون التشريع مصدره القانون الإلهي وليس الوضعي، واستجاب الشعب لذلك استجابة قوية، خاصة في مسألة جمع الضرائب. أما فيما يخص المعاملات الخارجية فإن الأمير اتخذ قرارات هامة لا تضر بمصالح الأمة لما وقع اتفاقيات الصلح مع الاحتلال الفرنسي، فرأى مصالح الجزائر في ذلك، كاعتراف فرنسا بسيادة الأمير على إقليم وهران، وحرية التجارة، واحترام الدين الإسلامي.

ب /تسيير أمور و أجهزة الدولة : ظهرت قوة شخصية الأمير وفكره السياسي من خلال تسيير الدولة اقتصاديا واجتماعيا ،حيث لما وطد أركانها وضع نظام اقتصادي حداثي مغاير تماما للفترة العثمانية في الجزائر ، هذا النمط يسير وفق متطلبات ورغبات المجتمع المعيشية ووفق ما تمليه ظروف الحرب « فظهر التوجه الوطني لدى الأمير عبد القادر خاصة في عملية تحويل المجتمع الجزائري من شكل نظام قبلي إلى نظام الدولة الحديثة ،و أراد إحداث قطيعة تخص بالدرجة الأولى البعد القبلي لنظام الحكم في الجزائر ،في إطار مشروعه الكبير لبناء دولة المؤسسات الحديثة تلغى فيها الممارسات السياسية و الاجتماعية ذات الطابع الطائفي و العرقي والقبلي و نجح في إرساء قواعد بناء مؤسسات تشرف على إدارة دواليب الحكم الجديد، في إطار تنظيم سياسي لا مركزي يفتح المجال

لمشاركة السكان المحليين في شؤونهم الاقتصادية والاجتماعية » (مجاود ، م.**2012** : **18**).

وفي ظرف قصير تمكن من خلق نظام اقتصادي واجتماعي مغاير تماما لما كان موجودا في الفترة العثمانية ويعود ذلك بالدرجة الأولى إلى قوة شخصية الأمير و نزاهته، فكان لا يطمع في مال المسلمين، و لا يستغل نفوذه لخدمة أغراضه الخاصة. وها هو أحد قادة فرنسا آنذاك الضابط سكوت يعترف بشخصية البطل فيقول: « هدفي الوحيد من كتابة هذه المذكرات هو أن أبرئ شخصية الأمير عبد القادر من الشكوك و الشبهات التي تقذفه بها الصحافة الفرنسية، بحيث يراه العالم الخارجي بشخصيته الحقيقية شخصية بطل شاب ذي عقل مستنير، و قلب نبيل،إنه بطل غير قادر على الخيانة و سياسة حكومته المتحررة، خليقة لو أتيح له التربع على عرش الجزائر كلها بأن يجعل من هذا البلد في وقت قصير أكثر بلدان العالم الإسلامي تقدمًا وازدهاراً » (اسكوت، ك**1981** : **16**).

تميز الأمير بالحزم و العزم لخلق هذا النظام الاجتماعي والاقتصادي ،فلم يكن متساهلا على دفع الناس الزكاة لبيت المال وتسديد الضرائب والغرامات، و بذلك ضمن موارد مالية إضافية مستقرة للدولة حيث« أعطى تعليمات دائمة لخلفائه بأن يقبلوا مواد الاستهلاك مثل البغال و الخيل و الجمال والحبوب لتسديد الضرائب والغرامات المفروضة على القبائل ،و بذلك كانت الطرق الإدارية للجباية تتسم بالذكاء والمرونة ». (العربي ،إ، **1982**.ص**219**).

حاول خلق مجتمع متماسك و مترابط وفق المبادئ الإسلامية، واستغل بذلك الظروف المحلية والخارجية للبلاد ومعرفته الدقيقة بعقلية شعبه، كما حاول أن يجمع هذه الأمة على كلمة الجهاد لمناهضة الاستعمار « فقد استغل الأمير الهدنة مع الفرنسيين لتقوية سلطاته ونشر نفوذه و بناء

دولته على أسس متينة استناداً إلى معرفته بطبيعة شعبه وكان ميالا إلى الاستفادة من الأوروبيين ومزاياهم» (دينزن، ا.ف.**2009**.ص**10**).

ج/ فوائد وايجابيات المعاهدات على الدولة الجزائرية : هذه من المبادئ الهامة التي توضح فكر الأمير الثاقب في المجال السياسي، حيث كان التساؤل ماذا استفاد الأمير و الدولة الجزائرية من الاتفاقيات التي وقعها مع الاستعمار الفرنسي؟.

و القول في ذلك كثير فإضافة إلى السلام الذي حققه مع الفرنسيين، فانه استعد للحرب كما تمكن من إيجاد شخصية سيادية وقانونية لدولة الجزائر، هذه السيادة التي انعدمت منذ سقوط دولة الزيانيين « و الفرنسيون لم يستفيدوا من معاهدة التافنة استفادة حقيقية و إنما قدموا في مقابل ذلك تسديدات عديمة الأهمية ،كل المكاسب التي حصلوا عليها مثل تلمسان والمدية و منبع التافنة ،ولم تتم المبادلات التجارية مع الداخل، والتي كان الفرنسيون يعدونها مكسبا حققوه بفضلها ،لأن الأمير لم يلبث أن منع رعاياه من إقامة علاقة مع وهران من أي نوع كانت»(كارلبيرنت،ي.**2009**م: **121**).

هذا بالنسبة لمعاهدة**1837**م أما معاهدة دي مشال**1834** م فإنه ضمن مكاسب كثيرة منها توسيع حدود سلطته ،و مقاومته لاسترداد أراضي الاحتلال كما جعل من الإدارة الفرنسية تعترف لأول مرة بعد سقوط مدينة الجزائر **1830**م بزعامته على كل الأراضي المحررة ،كما أنه فاوض هذه الإدارة من موطن قوة لا ضعف، وعن هذه المعاهدة الموقعة في **26** فيفري **1834**م يقول تشرشل: « أما عبدا لقادر ضمن حقه أن يهنأ على أكاليل الغار فقد أرغم عدوه على طلب السلام ووضع شروطه الخاصة ،ولم يدفع أي جزية ،ولم توضع أية حدود على منطقته وقد اعترف له الجنرال الفرنسي بالاستقلال يعرضه عليه تعيين واستقبال القناصل،

وكان على الفرنسيين أن يشحنوا من ميناء واحد فقط، وأن يخضعوا لضريبته الجمركية» (تشرشل، ش.ه**2009**م:**113**).

قد سمحت الفترة الممتدة مابين**1837**م إلى غاية **1939**م ، لتوجه جهود الأمير نحو بناء الدولة، من حيث الجيش، والشرطة والقضاء، والاقتصاد، والمدارس وغيرها من الشؤون التي تهم السكان آنذاك.

ثانيا: الفكر الدبلوماسي عند الأمير

ويظهر ذلك في ثلاث أمور رئيسية وهى:

أ/ إدارة الاتفاقيات والمفاوضات:إن تعريف الدبلوماسية «هي عملية التمثيل والتفاوض التي تجرى بين الدول والتي تتناول علاقاتها ومعاملاتها ومصالحها. والدبلوماسية العالة هي التي تدعمها كل أدوات السياسة الأخرى التي تملكها الدولة، سواء كانت هذه الأدوات سياسية أو دعائية أو اقتصادية أو عسكرية وهدف الدبلوماسية الأول هو التوفيق بين خلافات الدولة وإيجاد مسالك للاتصال» (مقلد، ص.**391**:**1985**).

فالأمير إضافة إلى فكره السياسي فقد كان دبلوماسيا محنكاً شهد له العدو قبل الصديق حيث «قاد ذكاءه – الأمير- المفاوضات مع أعدائه، فكانوا هم أنفسهم الذين بنوا له العرش الذي كان يريد اعتلاءه» (دينيزن ،ا.ف .**2009**: **61**).

وتظهر عبقرية الأمير الدبلوماسية في نشاطه و اتصالاته الخارجية مع الدول العربية، والإسلامية، والأوروبية، وحتى الأمريكية، بغرض طلب المساعدة والاعتراف بدولته. « فجرت بين الأمير وسلطان المغرب مراسلات دبلوماسية أسفرت عن تعيين الحاج طالب سفيرا فوق العادة بفاس، ثم راسل الأمير باي تونس وتبادلا بينهما الهدايا والرسل، وكاتب خديوي مصر، وشريف مكة و حكومة بريطانيا. وبعد نقض معاهدة التافنة راسل

الأمير من جديد بريطانيا والولايات المتحدة الأمريكية عن قناصلها في جبل طارق كما راسل الدولة العثمانية » (بوعزيز.ي.**2002**: **88**).

تميز الأمير في مراسلاته ونشاطه الدبلوماسي بالخبرة السياسية والدبلوماسية، وبُعد النظر، وقراءة الحاضر والمستقبل، في علاقته مع الدولة الفرنسية. كما كان الأمير حريصا على تطبيق السلم معها، ولم يكن مراوغًا أو مخادعًا أو متحايلا كما فعلت هي.كان الأمير صريحاً وواقعيًا واضحا في بنود الاتفاقيات التي وقعها مع الإدارة الفرنسية ،وبعد سنة**1834**م تبادل التمثيل الدبلوماسي مع الحكومة الفرنسية «وعين من قبله لدى فرنسا سفراء يمثلونه في كل الشؤون و أوكل إليهم مراقبة العدو وتحديد الأماكن التي وضع يده عليها، وهؤلاء السفراء هم مردخاي بن دراب الموساوي في الجزائر، ومحمد بن يخو في وهران ومحمد خليفة بن محمود في أرزيو وعينت فرنسا من قبلها لدى الأمير في معسكر الكومندان عبدالله ويسون سفيرًا لها » (بوعزيز.ي.**2002**: **88**).

نجحت دبلوماسية الأمير في تحقيق مكاسب كثيرة سياسية، وعسكرية ،واقتصادية ،و باعتراف الكثير من قادة فرنسا وساستها فالأمير شخصية قوية ومحاور صلب حقق الكثير من المكاسب لوطنه «فلقد شكلت معاهدة دي ميشال التي عقدها الأمير مع الإدارة الفرنسية عائقًا أمام سياسة الاحتلال بمعناها الاستغلالي والتوسعي،لاسيما بعد أن عزم الأمير وشرع بالفعل في مد نفوذه خارج إقليم وهران نحو إقليمي الجزائر و المدية، تمهيدا لتوسعه في اتجاه شرق البلاد، طبقا لنص معاهدة السلم المذكورة ووفقا لنظرة الأمير الخاصة حول الوجود الفرنسي بالجزائر » (زوزو،ع.**2009**: **8**). ونفس الأمر بالنسبة لمعاهدة التافنة **1837**م فإن الأمير «أراد من هذه الاتفاقية و بذكائه الدبلوماسي الخارق،أن يبسط سيادته على ثلثي مساحة الجزائر وأن تمثل حكومته في هذه الأقاليم. » ((KHAWAM,R.SANSDATE : **41**

تمكن الأمير عبد القادر و بحكمته العالية من إدارة الاتفاقيات والمفاوضات، و حقق من خلالها انتصارات على كافة الأصعدة سياسيا وعسكريا، ويعود ذلك إلى حنكته ورجاحة عقله و قوة ذكائه و لقد كانت«معاهدة ديمشال **1834**م و معاهدة التافنة**1837**م دليل انتصار دبلوماسي مزدوج ، وقد كانت نتيجة جهود جبارة بذلها عبد القادر بن محي الدين على الصعيد العسكري » (الأميرة بديعة ، ح.**2000**: **30**).

ب/ رعاية مصالح الجزائر في السلم والحرب: تظهر هذه الرعاية من خلال بنود الاتفاقيات التي عقدها الأمير عبد القادر مع الحكومة الفرنسية ،حيث كان جادًا في الحفاظ على مصالح الأمة، ويظهر ذلك من خلال الرسالة التي بعث بها إلى الملك لويس فيليب لمناقشة فحوى اتفاقية ديميشال وجاء فيها «أما فيما يخص المعاهدة فإنني اجتمعت بكبار شيوخ القبائل وخلفاء المقاطعات، والعلماء، لتدارس فحوى مشروع المعاهدة لغرض إيجاد إجماع حولها ،وتوفير كل الوسائل لإعلان السلم » (EMERIT, M.**2002**:**153**) وهذه صورة من صور الشورى التي حرص الأمير على تطبيقها وتكريسها لمصلحة الوطن.

لم يكن موضوع السلم يهم الأمير ولم يكن من أولوياته في ذلك الوقت، بل الإدارة الفرنسية التي تلقت نتيجة المقاومة الكثير من الضربات، لذا حاول الجنرال دي مشال من جهته دراسة مسألة السلم مع المجلس الأعلى العسكري وفق المنظور الفرنسي و من خلال ثلاث نقاط :

1 - خضوع العرب تحت سلطته

2 - الحرية العامة للتجارة

3- تحرير الأسرى من الطرفين (**55** : **2002** . DINSSEN , A)

اهتم الأمير بشؤون المسلمين والجزائر في الشروط المتعلقة بالسلم وفي الرغبة القوية لاسترجاع الكثير من المناطق الموجودة في الغرب الجزائري

والمناطق المطلة على الساحل ثم التفكير في توسيع حدود الدولة نحو الوسط والشرق.

ومن أجل رعاية مصالح الأمة فإن الأمير كان مستعدا للحرب ،كاستعداده للسلم، حتى لا يفرط في شبر واحد من أرض الجزائر، وهو ما توضحه الرسالة التي بعث بها إلى الجنرال بيجو يقول فيها :« أما بعد فان كانت دولة فرنسا ليس عندها من الأرض ما يكفى رعاياها ،وأرسلتكم لتغتصبوا أراضينا وتبذلوا في ذلك نفوسكم وأموالكم ، فنحن نتخلى لها عما هو في أيدينا الآن من السواحل ونبقى معها في حال جيران ينتفع بعضهم من بعض، وإن أبت إلا أن تستولي على جميع وطننا فنحن نبذل وسعنا في مدافعة وحماية أرضنا منها» (بوعزيز، ي. **2002**: **91**). فمصالح الوطن و الأمة كانت من مصالح الأمير وهدفه الأسمى الذي عاش من أجله و كرس حياته لغرض تحقيقه.

3- احترام القانون الدولي العام وممارسته : وهو مبدأ آخر من مبادئ الدبلوماسية التي اعتمدها الأمير وبرهنت على فكره الناضج فبالرغم من أن الدولة التي أسسها الأمير كانت في طور النشأة و أراد من خلالها أن يحي سيادة الجزائر المفقودة ،إلا أننا وجدنا الأمير يمارس القانون الدولي العام من خلال الكثير من النقاط أهمها:

1- احترام الأسرى، وهذا ما أوصى به جيشه و شرطيته عندما يسقط أسير حرب بينهم.

2- مجابهة التعذيب ومنعه، وهذا ما دعا الأمير رجاله ويظهر ذلك في كثير من رسائله.

3- احترام المعاهدات والاتفاقيات الدولية ،ويظهر ذلك من خلال بنود وثيقة دي مشال والتافنة.

4- محاولة بعث دور الجزائر الإقليمي والعالمي من خلال تبادل القناصل، وهذا ما تبينه عدد المراسلات بين الأمير والدول التي تعامل معها بهذا الصدد.

5- حرية التجارة، من خلال بنود وثيقة دي مشال والتافنة.

وهناك الكثير من الرسائل التي وجهها الأمير عبد القادر إلى العالم الخارجي، أراد من خلالها ممارسة هذا القانون حيث « راسل كبار الملوك وعظماء الرجال و قادة الحروب سواء منهم العرب أو غيرهم وتمتاز رسائله السياسية التي تبادلها مع رؤساء حكومات فرنسا وقوادها الحربيين بالخبرة السياسية» (بوعزيز، ي. **2002**: **90**).

كما كان الأمير يلتزم كثيرا ببنود المواثيق والعهود الموقعة بينه وبين الدولة الفرنسية، وهذا نابع من أخلاقه العالية واحترامه للقانون الدولي، الذي يلزم الأطراف المتنازعة احترام المعاهدات والاتفاقيات.

لقد ذكر الأمير الإدارة الفرنسية لما قررت غزو قسنطينة في المرة الثانية ، ببنود الاتفاق الموقع بينهما سنة**1837**م برسالة بعث بها إلى بيجو يقول فيها :« إن كان مرادكم أن تفعلوا ذلك على وجه المحبة والمودة التي بين المتجاورين والمتصالحين فلا ضرر علينا فيه، وإن كان المراد أن تتخذوا ذلك ذريعة إلى أن تعدلوا هذه المواضع من حدودنا فان ذلك يخالف شروطنا المذكورة فيه، إن تلك الأمكنة منحازة لجهتنا بقبائلها كما هو مسطر من قدم » (الأمير، ع.**2010** : **117**).

كما بعث الأمير عبد القادر برسائل كثيرة إلى فرنسا والولايات المتحدة الأمريكية و السلطة العثمانية و إسبانيا التي استقبلت لوحدها من الأمير حوالى**23** رسالة يطلب فيها الاعتراف بدولته وتبادل القناصل.

كان الأمير عبد القادر رجل دولة من خلال فكره السياسي والدبلوماسي، فاق زمانه الكثير من الرجال خاصة في المنطقة العربية

والإسلامية عدا مصر التي كانت قد أسست دولتها الحديثة على يد محمد علي ، وكان فكر الأمير يقوم على مبادئ تصب كلها في مصلحة الوطن ومصلحة الأمة، وتمكن من تسيير أمور الحكومة والدولة وبّين قدرته على تحقيق مطالب الشعب آنذاك. كما كان دبلوماسيا حازما وعازما على تحقيق الأهداف لإنشاء دولته الحديثة ورعاية مصالح الجزائر في السيادة والاستقلال وتطبيق القانون الدولي.

الهوامش:

1- الأميرة بديعة الحسني الجزائري، فكر الأمير عبد القادر الجزائري حقائق ووثائق. دار الفكر للطباعة والتوزيع

والنشر، الجزائر.**2000**م

2- الأمير عبد القادر، مذكرات الأمير عبد القادر. تحقيق محمد الصغير بناني وآخرون ،شركة دار الأمة، الجزائر

الطبعة السابعة. **2010**م

3- الأمير عبد القادر الجزائري ، المقراض الحاد لقطع لسان منتقض دين الإسلام بالباطل والإلحاد . محررها محمد بن عبد الله الخالدي المغربي. منشورات دار مكتبة الحياة، بدون تاريخ

4- ابن التهامي الحاج مصطفى، سيرة عبد القادر وجهاده. تحقيق يحي بوعزيز ،دار الغرب الاسلامي **1995**م

5- بوعزيز يحي ، الأمير عبد القادر رائد الكفاح الجزائري . مؤسسة ابن خلدون للنشر والتوزيع. الجزائر **2002**م

6- بوسليم صالح والزين محمد ، مبدأ الشورى في نظام الحكم بدولة الأمير عبد القادر الجزائري . المجلة المغاربية للدراسات التاريخية والاجتماعية ، الرشاد للطباعة والنشر والتوزيع عدد خاص، الجزائر مارس **2012**م

7- تشرشل شارلز هنري ، حياة الأمير عبد القادر .ترجمة أبو القاسم سعد الله ، عالم المعرفة .الجزائر **2009**م

8- صبري مقلد إسماعيل ،العلاقات السياسية الدولية دراسة الأصول والنظريات .منشورات ذات السلاسل الكويت .**1985**م

9- العربي إسماعيل ، المقاومة الجزائرية تحت لواء الأمير عبد القادر. الشركة الوطنية للنشر والتوزيع الطبعة الثانية الجزائر **1982**م

10- الكولونيل أسكوت، مذكرات عن إقامته في زمالة الأمير عبد القادر **1841**م. ترجمة وتعليق إسماعيل العربي

الشركة الوطنية للنشر والتوزيع .الجزائر**1981**م

11- كارل بيرنت يوهان ودينيزن .أ. ف، الأمير عبد القادر . ترجمة أبو العيد دودو ،دار هومة للنشر ، الجزائر**2009**م

12- مجاود محمد، الفكر الوطني والتحرري عند الأمير عبد القادر. المجلة المغاربية للدراسات التاريخية والاجتماعية .

الرشاد للطباعة والنشر والتوزيع عدد خاص، الجزائر مارس **2012**م

13- A.V.DINSSEN, L'émir Abed-el-Kader chevalier de la foi. ANEP**2007**

14-KHAWAN RENE, Abed-el-Kader lettre aux français, édition RAHMA .ALGER -Sans Date-

15-EMERIT MARCEL, L'Algérie À L'époque d'Abed-el-Kader. Édition BOUCHENE, PARIS **2002**

الفلسفة الأخلاقية عند الأمير عبد القادر الجزائري

د. بشير خليفي،
جامعة معسكر

خصوصية الإنسان أنه الكائن الوحيد الذي يدرك حاضره، يستدعي ماضيه ويستشرف مستقبله، فالأبعاد الثلاثة تتشكل عنده داخل سياق يمده بالفرادة والتميز، بوصفه كائنا واعيا ومدركا لهذا الوعي.

والواقع أن حضور الإنسان وخصوصيته أثناء التعامل مع الوقائع تنظيرا وممارسة شكل دافعا أساسيا للمهتمين والمدققين بطرح جملة من الأسئلة يكون الإنسان محورها بالنظر إلى عسر القبض على لحظة الفهم النهائية التي تحدد لنا طبيعته وكذا حقوقه و واجباته.

وفق ما سبق تأتي مقاربة الأمير عبد القادر الجزائري (**1808-1883**) بوصفها محاولة لفهم الإنسان داخل سياق فلسفة جاءت معبرة عن حمولته المعرفية التي أدركها بكونه عارفا مسلما يمتح أفكاره من المدونة المعرفية للدين الإسلامي، وكذا مما اختبره تأملا ومطالعة.

والحال أن الأمير على مستوى الفكر والممارسة عبر أشد تعبير عن خصوصية في فهم الإنسان في تعدديته بالرغم مما اعترى عصره من نقص كبير للدوافع الثقافية المؤججة للحراك المعرفي، زاد وطأتها رغبة المستعمر الشديدة في إدامة التخلف.

الإنسان في نظر الأمير: شرف الخلافة في الأرض

يحتفي الأمير بتكريم الخالق عز وجل من منطلق شرف الخلافة في الأرض التي حازها الإنسان بصفات كينونية يفترق فيها عن الحيوان والنبات والجماد وتجعله مرتفعا في ملكوت "العالم الرضواني والملأ الرحماني" (الأمير عبد القادر، د. ت: **210**).

فالإنسان عند الأمير مخلوق يحوز على خاصية شريفة ممثلة في العقل تمكنه من التعرف على العالم الخارجي، وتساعد حواسه على الاستيعاب والتصويب في معرفة الأشياء، ولن يكون الإنسان قادرا على هذه المعرفة إلا إذا طلعت عليه أنوار التوفيق والهداية الربانية (الأمير عبد القادر، **1966** : **36**).

لقد أقر الأمير بأن الإسلام جاء معليا ومعلنا لتكريم الإنسان (ولقد كرمنا بني آدم وحملناهم في البر ورزقناهم من الطيبات وفضلناهم على كثير من خلقنا تفضيلا) (سورة الإسراء الآية **70**)، كما جاء مسقطا للفوارق بين الأجناس بالدعوة إلى وجوب العدل واحترام الآخر بما في ذلك بل وخصوصا "المخالف في الملة".

كما يرى بأن الأحكام الشرعية في الدين الإسلامي معللة أساسا بمصالح الناس واللطف بهم بالشكل الذي يضمن أمنهم وسعادتهم بعيدا عن الدوغمائية والتوقف المستميت عند شكليات الأمور، من منطلق أن فكرة الإسلام صالح لكل زمان ومكان تدفع بالأحكام إلى وجوب كونها محايثة لمقاصد الشريعة في حفظ الإنسان أولا، مما يحيل إلى إمكانية اختلاف المصالح تبعا للأوقات "فتختلف الأحكام بحسبها كمعالجة الطبيب فإنه قد يأمر بشرب دواء خاص في وقت دون وقت "(الأمير عبد القادر، **1966** : **98**).

فلسفة الإنسان : القول والممارسة في المقاصد النافعة

الواقع أن الأمير اهتم كثيرا بموضوع الأخلاق فكرا وممارسة، واستمر هذا الاهتمام في نموه وتصاعده تماشيا مع المراحل التاريخية لسيرة حياته، حيث أن الاشتغال الفكري للأمير كان مرتبطا على الدوام بالبحث عن صفاء أخلاقي من خلال جلب الراحة النفسية والطمأنينة، مقابل واقع متبدل عاشه الأمير في المجاهدة على مستوى الهوية ومبررات الوجود ومثال ذلك تأليفه للمقراض الحاد الذي عده دفاعا على اتسام

الإسلام بقيم المحبة والتسامح (الأميرة بديعة الحسني الجزائري، **2000**: **52**)، إضافة إلى كتاب المواقف الذي يعد مدونة أخلاقية بامتياز، من منطلق أن الباطن و الخفي في نصوص المواقف توحي بالجهاد، ولكنه جهاد من نوع آخر، يحوز على الأهمية والخطورة ، بوصفه الجهاد الأكبر المرتبط بجهاد النفس عن طريق التخلية، التحلية والتجلية، خصوصا وأن جهاد العدو – في نظر الأمير– لا يكون خالصا إلا بجهاد النفس(الأمير عبد القادر، **2005**: ج **1**، **209**).

لقد ركز الأمير على عنصر الأخلاق من زاوية اعتباره الأساس والمقصد الذي تبنى عليه مختلف المعاملات، مفرقا في ذلك وعلى المستوى المفاهيمي بين الخلق في عمومه بوصفه هيئة النفس وصورتها الباطنية التي يصدر عنها الوفاء والغدر والصدق أو الكذب (الأمير عبد القادر، د. ت:**192**)، وبين الخلق الحسن أي ذاك السلوك الذي يضفي قيمة الاستحسان على الفعل الأخلاقي، خصوصا وأن قناعة الأمير الفكرية كانت تماهي الدين بالأخلاق من خلال الدعوة إلى توحيد الله وتعظيمه من منطلق نظرته إلى الدين بوصفه مصدر للأخلاق الحسنة. (الأمير عبد القادر، **1966**: **97**).

كما أن الممارسة الأخلاقية في نظر الأمير لن تتسم بأي معنى بدون ملكة المعرفة المتمثلة في قوة العلم، إذ أن الممارسة الأخلاقية للعمل الصالح تقتضي من صاحبها أن يكون عارفا بخاصية ومقصد فعله، قادرا على التمييز بين "الصدق والكذب في الأقوال والحق والباطل في الاعتقادات والقبيح والجميل في الأفعال "(الأمير عبد القادر، د . ت: **193**).

مما يؤدي إلى ثمرة الحكمة التي تؤدي بدورها إلى تحقيق "الإنسان الكامل" بتعبير الأمير، وهذا التماهي بين العلم والعمل له مزاياه من زاوية تأهيل الفرد لكي يكون واعيا بفعله و مسؤولا عن تبعاته،

خصوصا وأن السلوك الحسن قابل للإدراك الخارجي ومرتبط بالغير في غالب الأحوال، زيادة على اعتباره وسيلة للسعادة التي يرى الأمير أنها نتاج خلق العدل من زاوية البحث في أساس تحسين الفعل الأخلاقي، فالأمير يقر بأن الخلق يشمل الوفاء والغدر وكذا الصدق والكذب، بيد أن سمة الأخلاق الحسنة في نظره نابعة من أساس ديني صرف، يهدف في نهاية المطاف إلى بلورة الاتصال بين الحقيقة والشريعة، وبالتالي الدعوة إلى توحيد الله وتعظيمه من منطلق نظري مفاده أن الدين لا يعقل إلا بوصفه مصدرا للأخلاق الحسنة (الأمير عبد القادر، **1966**: **97**).

وينتقد الأمير التزمت عند ممارسة الخلق الحسن، إذ ليس الإنسان مطالبا بقمع شهواته في إطلاقيتها، يقول الأمير: "ظنت طائفة أن السعادة في قطع الشهوة والغضب، ثم أقبلوا على المجاهدة على أنفسهم حتى أهلك بعضهم بشدة الرياضة"(الأمير عبد القادر، د. ت :**26**).

ثم إن تصريف السلوك الحسن وممارسته بوصفه عملا صالحا لن يتأتى في نظر الأمير إلا تحت سلطة أربعة شروط: قوة العلم والغضب والشهوة بحضور قوة العدل التي تحسن الفعل وتحقق فيه السمة الأخلاقية(الأمير عبد القادر، د. ت:**192**).

وتبقى الإشارة إلى أن نصوص المواقف تطفح بالدعوة إلى جهاد النفس بهدف تنمية قدراتها، مما يدل على أن انسحاب الأمير العسكري لم يمس الجانب الروحي الذي بقي وهاجا من خلال إشراقات روحية كانت تروم الصلاح في الحال و الفلاح في المآل على مستوى القول والفعل(الأمير عبد القادر، **2005**: **150**).

وينبغي الإقرار أيضا بأن الفلسفة الأخلاقية للأمير نابعة بالأساس من ثقافته التي اجترحها من مطالعاته وحضوره مجالس العلم وكذا من المراحل التاريخية في نموها وتصاعدها، خصوصا وأن الأمير شهد– من

خلال الوظائف المنوطة به ومواقفه اتجاه إشكالات الحياة – تقلبات عسيرة وحالات بالغة التعقيد، شكلت فلسفتة وتصوراته عن الكون والوجود ملاذا آمنا أعطاه الطمأنينة والدعة من تقلبات العصر وأهواله(Yacine Kateb, **17 : 1983**).

الآخر في نظر الأمير: الإنسانية زمن الحرب

رغم اعترافه في رسالة وجهها لأسقف الجزائر بأنه لم يولد ليكون محاربا، ولم يكن يتمنى هكذا مآل(Hani Abdelkader, **2004:160**)، يتضح ذلك من خلال مدونة خطابه المعرفي التي تحيل إلى المحبة والجنوح للسلم من زاوية تفضليه لمعالجة المعضلات بالحكمة من منطلق أن الإنسان كائن عاقل، وكذا تمجيده للخلق الحسن الذي يعطي للإنسان مرتبة الرفعة.

فإن ذلك لم يعن أن الأمير قد تبنى موقف الانسحاب في شكله النهائي، إنه لا يستمرئ مثلبة التعدي على حقوق الغير، ولا يعترف بأي مبرر لاستباحة دماء الآمنين، بمقابل ذلك لا يتقبل أن يكون محلا للاحتقار والتهوين، هذا ما أبانت عنه شخصيته التي اتسمت بالتفهم والعزيمة ورفض الاستبداد.

وحتى يعطي لمقاومته بعدا روحيا كان في كل مرة يذكر جيشه بالأخلاقيات التي ينبغي أن تلازم المحارب من منطلق أن الحرب حل أخير، وممارستها لا يجب بأي حال من الأحوال أن تنفصل عن الفعل الأخلاقي في غاياته النبيلة. هذا ما دفعه إلى إيحاء وتصميم رسالته المعنونة بوشاح الكتائب(الأمير عبد القادر، **25:6819**).

لم يكن الأمير يساوم في تبني أفراد جيشه للأخلاق الحسنة بالرغم من حملهم للسيوف والبنادق، إذ كان يشترط على جنوده "تصفية العقيدة

وتطهير الإيمان"، بغرض المشاركة في الدفاع عن الوطن (Sahli Abdelkader , 1984: 90).

إن الحرب في نظر الأمير شر معلن تجافي كرامة الإنسان وقدسية جوهره، خصوصا حينما تكون إمكانية الحل السلمي واردة ، وليس المقصود منها – إن كانت جهادا أو حرب مقدسة – في نظره "إتلاف العباد ولا تخريب البلاد ولا الرغبة في الأموال وإنما المقصود رفع ضرر الأمة المخالفة (..) ولو توهم حصول ذلك من غير قتال ولا دفع ما وجب القتال لأن الحكم يدور مع العلة وجوبا وعدما (الأمير عبد القادر، د .ت: **200**).

إن الوعي بهذه المحاذير جعلت من تاريخ الأمير أثناء الحرب مآثر بطولية نالت الإعجاب من الأعداء أولا، نظرا لتماهيها مع معاني الرجولة والصدق ودرئها للمكر والخديعة.

لقد شكلت أخلاقيات الحرب التي تبناها الأمير على مستوى القول والفعل ضمانا لتحاشي كل الرذائل التي تبقى لصيقة بأي حرب لا تجد مصوغاتها انطلاقا من مقاصد نبيلة. فقد اشترط الأمير على جيشه ألا يقتل الصبيان والنساء والضعفاء وأهل الصنائع والمطيعين وكذا القسيسين والرهبان، بل ينبغي أن تسد لهم الحاجة بإعطائهم ما يكفيهم وعشيرتهم من اللباس والمعاش، كما لا يجوز القتل لأخذ أموال العدو، ولا يجوز القتل غضبا أو غيضا. بل أكثر من ذلك "إن الأسير المسلم إذا سرحه العدو وشرط عليه عدم الإغارة ثانيا فعليه الوفاء". "وإن قتل المسلم معاهدا فينبغي لأمير المسلمين قتله ولا يجوز العفو عنه"(الأمير عبد القادر، د .ت: **223**).

وتصل المعرفة إلى أوجها، ما يمكن لنا اعتباره اجتهادا أصيلا من لدن قائد عارف، وهي اللحظة المفارقة التي تتجمع فيها الدراية بكل معانيها، حين تتخذ الآخر المفارق في الملة صديقا ينبغي تقديره ، ما دام ملتزما بحسن التعامل وأواصر المحبة.

وحتى في ظل التمكن من العدو، فإن معاملات المقدرة في نظر الأمير ينبغي أن تبقى قائمة في تصريفات جيشه الذي سماه بالجيش المحمدي الغالب في تعاملاته مع الأسرى والمعاهدين من الأعداء "الذين ينبغي أن تؤمن حياتهم وحتى موتهم في بلاد الإسلام، فإن الضرورة تقتضي إرسال متاعهم وأموالهم لورثتهم وفي ظل غياب الورثة يرسل المال لبلادهم ولا حق للمسلمين فيه "(الأمير عبد القادر، د. ت:**227**).

شرف النظر العقلي : الإنسان كائن عاقل

يرى الأمير أن العقل جوهر وأصل، جوهر لأنه يمثل الخواص التي تميز بها الإنسان عن الحيوان وأصل لأنه مطلع العلم وأساسه. وتكمن أهميته البالغة في نظر الأمير "أنه يعرف الإنسان بعواقب الأمور ويقمع الشهوة"(الأمير عبد القادر، **1966** :**86**) .

لقد أولى الأمير للعقل شأنا بليغا بالنظر إلى التماهي الحاصل بين أنسنة الإنسان واعتباره عاقلا، خصوصا وأن تأليفات الأمير الفكرية الأولى نعني كتاب المقراض الحاد وذكرى العاقل كانت معبرة عن هذا الاحتفاء.

فنظرية المعرفة عند الأمير في مرحلة تفكيره الأولى عقلية بالأساس، بالمعنى الذي يجسد حضورا غالبا للعقل في ضوء التمييز بين وسائل المعرفة العقلية والحسية، واعتبار العقل مسربا للتواصل، يقول الأمير: " إن نظر العقل أشرف من نظر العين المدركة للأصفر والألوان، لأن العين التي لا تدرك نفسها لا تدرك إدراكها" (الأمير عبد القادر، د. ت: **14**).

هذا ما تبنته تلك الفلسفات العقلانية التي راحت تنظر بعين الريبة إلى الحواس بوصفها مصدرا للمعرفة بمقابل العقل، ولتبرير هذه الريبة يعطي الأمير دليلين اثنين: الأول مرتبط بخاصية القوة الحسية التي لا تدرك من الأشياء إلا ظواهرها، والثاني مفاده بأن البصر يخطئ ولولا العقل لما تبين خطأ البصر من صوابه.

ويفرق الأمير بين عقل نظري يرتبط بعالم المفاهيم والتصورات وآخر عملي ينظر في مسألة الممارسة على أرض الواقع(الأمير عبد القادر، **1966**: **65**). وطالما أن العقل خاصية إنسانية فإن الإنسان يحوز على شرف النظر العقلي الذي يمكن من الفوز بالمطالب العقلية، وبالتالي معرفة الصانع والوقوف على الأشياء بقدر الطاقة(الأمير عبد القادر، **1966**: **24**).

وتجدر الاشارة أننا نلمح في هذه الفكرة الأخيرة تأثير ابن رشد في معرفة الصانع، وتأثير الكندي في الإشارة إلى علم الأشياء بحقائقها بقدر طاقة الإنسان، هذا ما يبين أن الأمير كان مهتما بالفلسفة بوصفها موقفا ومبحثا، وقد أشار إليها باعتبارها حبا للعلم (الأمير عبد القادر، **1966**: **146**).

وقد استمر تقدير العقل في كتاب المواقف بوصفه مزية لكفل السداد في الشأن الدنيوي وباعتباره أيضا نعمة تجسد من خلالها مستوى التكريم الإلهي للإنسان(عشراتي سليمان، **2002**: **36**).

الإنسان و العلم : شرف الثمرة وقوة الدليل

يقول الأمير: "لا شيء أقبح في الإنسان في إهمال نفسيته وتعريتها من فضيلة طاب العلم" (الأمير عبد القادر، **1966**: **39**).

فالباحث عن المعرفة في نظر الأمير يستجلب المنفعة في سياقها النظري والعملي وكذا في بعدها الفردي والاجتماعي، بينما التقاعس عن طلبه يولد القبح النفسي والحرمان الأكيد من لذته المثلى، إذ لا لذة فوقها من منطلق ارتباطها بالروح.

ويؤكد الأمير على شرف طلب العلم من زاوية أهميته المتمثلة في شرف الثمرة بالنظر إلى الحاصل المتأتي من الاستغراق في البحث والتأمل، وكذا قوة الدليل الذي يبرهن على اتسام الفرد والمجموع بهذه الخاصية إما من خلال محاججة وتأكيدات لمواقف أو منجزات تعبر عن الحاصل في التطور العلمي.

لا مشاحة أن الأمير يدرك أهمية العلم باعتباره محصلا للنهضة أو ما أصبح يعرف بالحداثة عبر قيمها المتعالية، خصوصا وأنه جسد هذا الحاصل المعرفي الذي متحه من جراء المجالسة والمطالعة في مدوناته المعرفية ومواقفه الإنسانية.

بل أن خطابه المعرفي حاز على نصوص أوجدت حضورها في سياق العلم بمعناه الباحث عن الدقة، وإن كانت أهم أسسه مستمدة من الخطاب التراثي، فيمكن القول بأنه قد شكل إرهاصا لميلاد خطاب علمي يحتاج إلى قابلية التحقق، وكذا خطاب فلسفي علمي ما يعبر عنه بالخطاب الابستمولوجي الذي يتمظهر من خلال الإيحاء المتمثل في إبراز القيمة.

ولم يفترق إرهاص الخطاب العلمي عند الأمير بحضور الإنسان، بل أن مختلف المواضيع العلمية التي عالجها خصوصا في كتابه المقراض الحاد ارتبطت بالإنسان إما بشكل مباشر أو ضمني، مثل حديثه عن تأثير الجغرافيا والمناخ في شخصية الإنسان من خلال نمط الاستجابة.

أما في كتاب المواقف فإن الأمير يستحسن مختلف العلوم ذات المقاصد النبيلة ويشير إلى ضرورتها في الدنيا ، بمقابل علم حقيقي يحلق فوق كل إحالة موضعية تجعله رهينا للشبهة وليس ذلك كما يقول الأمير: "إلا في علم الأذواق الحاصل بالتجليات" (الأمير عبد القادر ، **2005**: **279**).

خطاب الإنسان : في التمكن والاقتدار

الواقع أن ثمة إشراقات عديدة تبين اعتبار الأمير للإنسان بوصفه فردا يمتلك حقوقا وواجبات تجعله مؤهلا لعمارة الأرض، وبوصفه مجموعا في إحالة إلى الخطاب الإنساني الذي يدعو إلى التفاهم والتثاقف بين البشر.

إن فهم الأمير للمسألة الأخيرة عائد بالأساس إلى حاجة الإنسان لغيره، إذ لا يمكنه أن يعيش منفردا من منطلق المعاش في مقام أول، فأنى

له أن يضمن كل ما يريد من مأكل وملبس في ظل تنوع الأعمال وتعدد المواهب والقدرات؟

لا يحلم الأمير بإنسان طوباوي يحلق فوق الوقائع والأوضاع، وإنما يراه عاقلا مؤهلا لإدراك المعارف والحقائق، متسما بملكة الاستعداد على فعل الخير أو الشر من خلال امتلاكه لميزة الطهارة والطاعة وكذا الغضب، الحقد والحسد (الأمير عبد القادر، د.ت : **93**)، في إطار رؤية تنسجم مع فهم الإنسان الكامل الذي طالما احتفت به مدونة المواقف، فالكمال الإنساني في نظر الأمير مرتبط ببلوغ مرتبة التمكن والاقتدار – رغم وجود الاستعداد على فعل الخير أو الشر – بواسطة العرفان الذي يؤهل الفرد لامتلاك حقيقة اليقين، هذا ما يمكن ملاحظته بشكل أولي في شخصية الأمير نفسه، إذ قدمت له الإمارة بالنظر إلى مؤهلاته، زيادة على مكابدته لعذابات كثيرة لم تشكل بالنسبة له حاجز الإعاقة.

وتفسير ذلك عائد إلى الإيمان بالقضية والاقتناع العميق والجاد الذي أهله أن يكون مدافعا عن الحياة، مع الاستماتة في تبني خطاب حداثي منفتح، يرى في الإنسان المقصدية من الكينونة والوجود، ويدعو إلى عدم انتهاك حقوقه وآدميته حتى حينما يقع هذا الإنسان أسيرا من جيش جاء لممارسة الغزو والانتهاك.

إن ممارسات الأمير تحيل إلى تلك المظان المعرفية التي استقى منها الأمير ثقافته، ما أهله أن يكون إنسانا مستنيرا يكتب عن الإنسان في شكله العام بكثير من المحبة والفهم، بل أن الشيء المميز عنده هو إيمانه العميق بالوصول إلى مرتبة الإنسان الذي يحلم به كثير من الفلاسفة من خلال الجمع بين القول السديد والفعل السوي، وكذا إيمانه بضرورة المبادرة والاجتهاد ليكون الإنسان فاعلا مضيفا، خصوصا وأنه لا يستمرئ تلك العبارة التي تقول: "ما ترك الأول للآخر شيئا" بوصفها مبررا للخمول

والانسحاب، ويرى بالمقابل أن القول الصحيح هو "كم ترك الأول للآخر" لأن الجملة السابقة في نظره تقطع الآمال على زيادة العلم والفهم عن علم المتقدمين وفهمهم، بالاقتصار على ما قدمه الأوائل (الأمير عبد القادر، 1966 :12 9).

الإنسان الكامل: احتفاء بالتكريم الإلهي

يرى الأمير أن الإنسان الكامل هو العارف الذي يتسم بامتلاك حقيقة اليقين، لا يحيل هذا الفهم إلى اعتباره معصوما بل إن تقدير ذلك ينبني على أشياء عديدة تتأسس كلها على التماس الحق عن طريق تطهير النفس وإعدادها لقبول الإلهام الإلهي، حيث يرى أن النفس في أصلها طاهرة شريفة بيد أن تجسدها جعلها تختلط بأدران المادة، وفعل "التخلية والتحلية" يرتبط بعملية استعادة الطهارة المفقودة عن طريق تقفي سمت الحق (السيد فؤاد الصالح، 1966 : 36).

بيد أن الإنسان الكامل في نظره لا يرتبط بالشطط والمباهاة بل إلى فعل مستمر في تصفية العقيدة و تقوية الإيمان عن طريق المجاهدة بالشكل الذي يحيل إلى تلك الصفات التي ينعت بها عباد الرحمن، والتي يتمظهر من خلالها الارتباط بين الذات المفارقة الحاضرة ومشتقاتها من الأفراد (Nicholson . R. .A .1921 : 78).

كما يحيل الكمال أيضا إلى المرتبة التي يصل إليها الإنسان العاقل، من منطلق اعتبار العقل نعمة يتجسد من خلالها مستوى التكريم الإلهي بما يجعل الانسان قمينا بتحمل المسؤولية. وهذا ما يمكن ملاحظته في حياة الأمير نفسه، إذ أن فترة الاعتقال على سبيل المثال لم تدفع الأمير إلى الاستسلام لليأس والقنوط، بل جعل من سجنه فرصة للاستزادة والتأمل محولا المحنة إلى منحة، داخل هذا السياق يرى الباحث سليمان عشراتي أن

الإنسان الكامل حالة تجسدت في شخصية الأمير من خلال عذاباته الروحية ومكابدته للمحن هذا زيادة على اعتداله وإنسانيته العميقة.

الإنسانية عند الأمير : مدخل إلى حوار الحضارات

يرى الأمير أن الإنسان بحاجة إلى غيره من الناس بسبب التنوع الحاصل في تقسيمات العمل التي لا يستطيع الفرد لوحده أن يقوم بها، وكان لزاما أن يحضر علم القانون الذي ينبغي أن يضبط به الخلق، ويلزموا الوقوف على حدوده حتى لا يكثر النزاع.

ويحيل علم القانون إلى القوة العادلة وكذا وسائل الإقناع التي تؤهل الإنسان لكي يكون عضوا فاعلا في مجتمعه، قادرا على التعامل الندي مع المجتمعات الأخرى المختلفة في الدين واللغة، لذلك اقتنع الأمير بأن مسألة التواصل مع الآخر المختلف تحتاج إلى فكر وإلى لغة و إلى وعي بمضامين المعنى، فمعرفة لغة الآخر في نظره واجب ديني وإنساني صرف. يقول الأمير: "يتحتم على الإنسان أن يحوز القدرة على أن يعرف الآخر باللغة التي هي إما إشارة أو لفظ أو كتابة" (الأمير عبد القادر، **1966** :**103**).

ولم يكن الأمير متبنيا للذاتية بوصفها منطلقا رئيسا و وحيدا لإصدار الأحكام، بل كان ينظر إلى فحوى الحق و إلى مضمون القول وعلاقته بالواقع، لذلك يعد الأمير أنموذجا للإنسان الحضاري على مستويات عديدة، إذ أن محاربته للعدو الفرنسي بالسلاح لم تنف تلك التعاملات الحضارية التي عبر بها الأمير عن وعي ونبل أخلاقي خصوصا وأنه قضى خمسين سنة في الحوارات والكتابات المتبادلة من أجل شرح قضيته وإثبات عدالتها (Hani Abdelkader , **2004**: **09**).

وقد كان هاجسه في ذلك تحقيق الصفاء الأخلاقي الذي يبرر للإنسان كينونته ويجعله قمينا بأن يعبر عن مجتمعه ومعتقده، ليكون هذا الصفاء أرضية انطلاق لكل تقدم منشود، على اعتبار أنه لا مجال للحديث

عن التأسيس والتأصيل من دون صدق يعطي للأمور نصابها، فالأمير كان صادقا ونزيها، إذ لم تدفعه الخصومة مع الجيش الفرنسي أن يستعمل الاستقراء في نوعه الساذج المثبط لكل معرفة تروم الاستمرارية، والدليل على ذلك شهادته لصالح علماء فرنسا الذين استعملوا العقل العملي، واستخرجوا بذلك الصنائع العجيبة والفوائد الغريبة (الأمير عبد القادر، **1966** : **65**).

لقد اعترف الأمير في رسالة أرسلها للأسقف ديبوش أنه لم يولد ليكون محاربا، بل أن رهانات الواقع المتعددة ألزمته بحمل السلاح، حينما انعدمت فرص الحلول الحكيمة التي تعطي للتداول في البحث عن المخارج أهمية كبيرة.

لقد توصل الأمير بفضل المجاهدة في صعد مختلفة إلى وعي حضاري متعال جعله يعطي حضورا وافرا للعقل أثناء إصدار الأحكام، بل أن عبارته الشهيرة: "يلزم العاقل أن ينظر في القول ولا ينظر إلى قائله ، فإن كان القول حق قبله سواء كان قائله معروفا بالحق أو الباطل" (الأمير عبد القادر، **1966**: **31**)، يمكن أن تكون مدخلا لحوار حضارات من خلال بناء أواصر الثقة والتركيز على مضمون الخطاب ومدى تحققه، بهدف الوصول إلى عولمة إنسانية ترفع من شأن الفرد وتعطيه أحقيته في الكينونة بدل التزمت الأعمى المولد للضغينة والمهدد للأنسنة.

إن خطاب الأمير الإنساني كان أخلاقيا بامتياز، فالأمير لم يتكلم عن الإنسانية بخطابات رنانة وبيانات بليغة وإنما أقر القول بالفعل، بداية من توليه الإمارة التي عرضت عليه عرضا، وصولا إلى حله لمعضلات عويصة خصوصا ما تعلق بتلك الفتنة التي كان يمكن أن تؤدي إلى قتل وتشريد آلاف المسيحيين.

ويتجلى الخطاب الإنساني في شكله الوهاج من خلال فقه الجهاد الذي استوعب الأمير مقاصده في أنه دفاع عن النفس بطرق أخلاقية، لا ينبغي أن تنفصل ممارسته عن فكر سوي يأخذ على عاتقه تمثل خطابات العقل في مواءمتها مع الخطاب الديني السمح. وهذا ما يمكن اعتباره نموذجا لتأصيل حقوق الإنسان، كحال معاملة الأسرى، والواقع أن الأمير لم يكن مهادنا في هذه المسألة، لقد كتب إلى أسقف الجزائر مطالبا إياه أن يرسل إلى الأسرى الفرنسيين كاهنا يسليهم ويخفف عنهم مصائب الأسر، وان يكتب ما يريدونه لعيالهم، هذا زيادة على سماحه للأسرى بممارسة شعائرهم الدينية (المرابط جواد، **1966** : **43**).

من حق فكر الأمير من منطلق المواءمة التي أحدثها في مفهوم القوة بين شده للقلم للكتابة التي مست صعدا كثيرة، وحمله للبندقية بغرض تحرير الوطن أن يكون نموذجا للفكر الواعي الذي يتأسس على استراتيجيات مدروسة، وفي الوقت نفسه يعقد العزم على التجدد حين الاقتضاء، من منطلق تذكير الآخر بأن المسألة لا تتوقف عند حدود القوة العسكرية وإنما المقصدية من وراء الحياة برمتها حرمة الإنسان وضمان حقوقه ليتحقق فعل الكينونة بكثير من المحبة والاقتدار.

سؤال الإنسان: في أمداء الإمكان

الأمير مفكر استثنائي على طريقته، اقتنع بمسلكه، أحب مقصده واستغرق ليقدم واجبه ويبرر وجوده، إنه مثال حي لتلك الإرادة الوهاجة التي لا تسقط إلا مع آخر الأنفاس، والتي كان نتاجها لحظة واقعية تمثلت في دولة جنينية اتسمت بالتنظيم الجيد إداريا وعسكريا، وإرث فكري بالغ الأهمية في حقول معرفية متعددة، في ظل ظرف تاريخي اتسم بالتشرذم والانحطاط.

التركة هنا ذات أبعاد متعـددة على صعيد الموقف الحضاري، الذي يمكن استدعاءه في أي لحظة ، بل أننا في مسيس الحاجة إليه في حوار الحضارات والأديان (Bouamran Cheick, **2001**: **121**)، خصوصا مع افتقار الحوار مع الآخر للندية وكذا شيوع ما يسمى "بالاسلاموفوبيا" نتيجة الدعاية الإعلامية التي وجدت سندا لها من ممارسات منحرفة و خاطئة.

إننا أحوج إلى فكر الأمير بالشكل الذي يعطي الوجاهة في تسيير أمور السلم والحرب على مستوى الموقف والمعرفة مع إمكانية العمل الإستراتيجي لتحقيق مصالح أسمى. خصوصا وأن الأمير لم يقابل معادلة الأنا والآخر بنكوص وانزواء، وإنما قام في البداية بتوطين أساليب المقاومة فكرا وممارسة، وذلك بتقديم خطاب معرفي يحصن من خلاله مواطنيه و يمدهم بالأمصال التي تساعد في الشحن والاستجابة، وكانت المسألة تأصيلا يدفع المقاوم إلى أن يشعر بالاعتزاز حينما يدافع عن قضية تعايش عمق وجدانه ، ويملك لها كل القناعات المؤسسة التي تدفعه للمقاومة المستمرة بكل اندفاع وتحضر، بعيدا عن ذاك الخطاب الغارق في عزلته واغترابه، المحلق فوق معايير الواقع، هذا ما يتضح من جنوحه للسلم في وقت أدرك فيه استراتيجيا التفاوت في إعداد القوة.

لقد ناست حياة الأمير الفكرية بين قطبين تمثل الأول في استيعابه للحالة الصوفية بوصفها لحظة شاعرية استمرت منذ ميعة صباه، لتتأجج في المرحلة الثانية من تفكيره التي سعى فيها إلى تقليص مساحة الجراحات والأحزان التي خلفها فراق الوطن ورحيل الأم ، من خلال تأملات تجلت نفحاتها في خطاب معرفي يحوز على كثير من الصدق والجمال.

بينما تجلى القطب الثاني في واقع مضن على مختلف الصعد، عانى فيه الأمير مجاهدات الأسر والكيد، وكان لزاما عليه أن يتعامل مع الرهانات التي فرضها عليه الواقع بكثير من الفاعلية والحصافة، هذا ما

أعطى الأمير قوة إيمانية أهلته ليكون استراتيجيا بانتقاله من الجهاد الأصغر إلى الجهاد الأكبر المتمثل في جهاد النفس.

إن حل الأمير للمعادلة الصعبة في إحداث المواءمة بين شاعرية الإبداع المتمثلة في الحضور الدائم لمظان التخليق المعرفي حتى في أحلك الظروف من خلال تزكية النفس وإبداع نصوص تهدف في غايتها القصوى إلى تمثل قيم الأنسنة من حق ومنطق وجمال على مستوى الفهم والممارسة.

وفي جانب ثان بين تلك الرهانات التي لا يمكن تجاوزها إلا من خلال تحليق معرفي ينطلق أساسا من فهم هذا الواقع واستيعابه، بغرض تحقيق الفاعلية في القول والفعل، وهذا ما يظهر من خلال منجزات الأمير في كل صنوفها والتي ما كان بامكانها أن تتم لو بقيت رهينة للواقع بمعناه الحرون.

إن هذه المواءمة التي تشكلت في ضوء البينية بين مجال يدرأ الاستغراق اللامحدود في الخطاب الشاعري، ومجال يفهم الواقع ثم يعمد إلى التعامل معه بالشكل الذي لا يرهن الممارسات الفعالة التي أوجدت عند الأمير القابلية للتحكم في إدارة آليات القول والفعل، وبالتالي إبداع خطاب حداثي تغلب عليه السمة الأخلاقية التي تأخذ على عاتقها تطوير أداءات الإنسان على مستوى الظاهر والباطن ، بالشكل الذي يضمن حقوقه ويصون كرامته.

إلماعة أخيرة : الإنسانية عند الأمير وأسئلة الراهن

لقد طلب الأمير من المسلمين والمسيحيين الإصغاء إليه، والحال أن نماذج الحوار التي قام بها، وإنسانيته التي طالما عبر عنها على مستوى الموقف والكتابة، تقتضي استدعاء فكره بهدف درء الكثير من التطاحنات المفتعلة.

إن فكر الأمير يذكرنا في كل مرة بمبادئ حقوق الإنسان كمجال للفهم والتطبيق، من زاوية السعي لإبقاء قيم التسامح والمحبة بين أفراد البشر ، وحينما سئل الأمير عن الدافع الذي سعى من خلاله إلى درء الفتنة بالحفاظ على حياة المسيحيين في دمشق أجاب: "لقد قمت بعملي استجابة لواجبي كمسلم وكذا حماية لحقوق الإنسان".

لقد عمد الأمير إلى بناء الإنسان من الداخل بعيدا عن تلك البهرجة والطلائية التي أبانت عن نسبيتها الكبيرة، حينما اقتنع بأن المعركة المصيرية تتمحور حول الجهاد الأكبر الممثل في تصفية الخاطر ومراقبة السلوك حتى يتحكم الإنسان في نفسه ليحقق تلك الفاعلية في الأفهام والمواقف، هذا ما جعل من الأمير شخصية عالمية كرست لخطاب معرفي معمق للتجربة الإنسانية.

المصادر و المراجع

أ – بالعربية:

1- الأمير عبد القادر الجزائري، (**1966**) **ذكرى العاقل وتنبيه الغافل**،تحقيق ممدوح حقي، مكتبة الخانجي، دار اليقظة العربية، بيروت، دط.

2- الأمير عبد القادر الجزائري، (د .ت) **المقراض الحاد لقطع لسان منتقص دين الإسلام بالباطل والإلحاد** ، منشورات دار الحياة، بيروت، دط.

3- الأمير عبد القادر الجزائري، (**2005**) **المواقف؛ في بعض الإشارات القرآن إلى الأسرار والمعارف**، تحقيق عبد الباقي مفتاح، دار الهدى للطباعة والنشر، عين مليلة ن الجزائر، ط**1**.

4 - الأمير عبد القادر الجزائري، (**1968**) **وشاح الكتائب وزينة الجيش المحمدي الغالب**، كتابة: قدور بن رويلة، تقديم وتحقيق: محمد بن عبد الكريم، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر.

5- الأميرة بديعة الحسني الجزائري، (2000) **فكر الأمير عبد القادر حقائق ووثائق**، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، دمشق، ط1.

6- السيد فؤاد صالح، (1985) **الأمير عبد القادر الجزائري متصوفا وشاعرا**، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، د. ط.

7- المرابط جواد، (1966) **التصوف والأمير عبد القادر الحسني الجزائري**، دار اليقظة العربية، بيروت، د.ط.

8- عشراتي سليمان، (2002) **الأمير عبد القادر المفكر؛ مساجلات في قضايا اللغة والمعرفة وفقه الخطاب القرآني**، دار الغرب للنشر والتوزيع، الجزائر.

ب – بالفرنسية:

9- Bouamrane Cheick (2001), l'emir **Abdelkader résistant et Humaniste,** édition Hamouda , Alger .

10- Hani Abdelkader(2004), **Correspondances de l'émir Abdelkader (1833-1883)** Edition Dar el Gharb.

11- Sahli M.CH(1984), **Abdelkader le Chevalier de la foi,** Enap , Alger.

12 - Yacine Kateb(1983), **Abdelkader et l'indépendance Algérienne,** Société National d'édition et de diffusion, Alger.

ج – بالإنجليزية:

13- Nicholson. R. A(1921), **Studies in Islamic Mysticism**, Cambridge University Press , first published.

استراتيجية الأمير عبد القادر في التعامل مع القبائل المتمرّدة

أ. محمد شاطو، جامعة معسكر

تبنى الأمير عبد القادر خلال مرحلة جهاده للمستعمر الفرنسي استراتيجية واضحة تنمّ عن مدى حنكته السيّاسية في التعامل مع مختلف الأحداث التي كان يمر بها ، والأزمات التي كانت تواجهه ؛ ومن ذلك التدابير التي كان يتخذها مع القبائل، ولا سيما المتمرّدة منها ؛ رغبة منه في توحيد الصفوف الوطنية ورصها لمواجهة الخطرالذي كانت تواجهه الجزائر يومذاك على المستوى الداخلي. خطر دفع بالأمير الى بذل قصارى جهوده لتقريب القبائل ببعضها حول قيادته ، مشعراً إياها بالمسؤولية العظمى التي تتحمل عواقبها إن هي تخلّت عن أداء واجبها تجاه دينها ووطنها .

في الوقت ذاته كان الأمير يراسل الحكام والملوك والقناصل على المستوى الخارجي؛ يطلعهم على واقع القضية الجزائرية ، والممارسات الإستعمارية اللاّ إنسانية ضد شعبه ، فيوسّع بذلك دائرة تعامله مع الخارج ؛ ويوطّد أركان دولة جزائرية على أسس حديثة انطلاقاً من أصالة عريقة .

<u>المبايعة :</u>

تظهرالإستراتيجية التي عزم الأمير على اتباعها وملازمتها في مقاومته بوضوح منذ الوهلة الأولى التي تحمّل فيها المسؤولية أثناء المبايعة الأولى، حيث أكّد للحضور وجهة نظره . يُعلم الجميع بما ينتظرهم من مسؤوليات تجاه مبايعته بقوله: " أمّا بعد : " فإن أهل معسكر وغريس الشرقي والغربي ومن جاورهم واتحد معهم قد اجتمعوا على مبايعتي ، وبايعوني على أن أكون أميراً عليهم ، وعاهدوني على السمع والطاعة في العسر واليسر ، وعلى بذل أنفسهم وأولادهم وأموالهم في إعلاء كلمة اللّه.

وقد قبلت بيعتهم وطاعتهم ، كما أني قبلت هذا المنصب مع عدم ميلي إليه ، مؤملاً أن يكون واسطةً لجمع كلمة المسلمين ، ورفع النزاع

والخصام من بينهم ، وتأمين السبل ومنع الاعمال المنافية للشريعة المطهرة وحماية البلاد من العدو ، وإجراء الحق والعدل نحو القوي والضعيف.

فلذلك ندعوكم لتتحدوا وتتفقوا جميعًا ، واعلموا أن غايتي القصوى : اتحاد الملّة المحمدية والقيام بالشعائر الأحمدية ، وعلى الله الاتكال في ذلك كله . فاحضروا لدينا لتظهروا خضوعكم وتؤدوا بيعتكم، وفقكم الله وأرشدكم .>

حرر عن أمر ناصر الدين عبد القادر بن محي الدين من معسكر في الثالث من رجب سنة ثمان وأربعين ومائتين وألف ، وفي السابع والعشرين من نوفمبر سنة إثنتين وثلاثين وثمانمائة وألف ميلادية . [1]

إنّه يدشّن مسيرته بوضع استراتيجية يوضح من خلالها القواعد الأساسية للعمل الذي سيباشره مع من يبايعه من القبائل .

إنّه يشترط على المبايعين بأسلوب جاد قوي وذكي لا يرفضه عاقل ، بل يتفاعل معه كل مخلص لدينه ووطنه ، ويرضى بتبعات ما يتوجب عليه من تضحيات بالمال والنفس ، والولد ، والطاعة للأمير، في العسر واليسر ما ظلّ ملتزماً بما بويع عليه . بادئاً بنفسه وهو يتوجه الى زوجته قائلاً : " إن أردت أن تبقي معي من غير التفات الى طلب حق، فلك ذلك ، وإن أبيت إلاّ أن تطلبي حقك، فأمرك بيدك . لأني تحملت ما يشغلني عنك . [2]

[1] - **الأمير** محمد : تحفة الزائر في مآثر الأمير عبد القادر وأخبار الجزائر ، ج1، المطبعة التجارية - غرزوني و جاويش - الاسكندرية 1903 ، ص 101 .

[2] - أنظر فؤاد صالح السيد : الأمير عبد القادر الجزائري متصوفاً وشاعراً ، المؤسسة الوطنية للكتاب ، الجزائر 1985 ، ص 52 .

يشرك الجميع في تحمل المسؤولية التي تتطلبها المرحلة العويصة التي تمر بها البلاد ، وأنّ الأمر ليس بالهيَن ، بل يحتاج الى التضحية ، وبذل الجهد ، ونبذ الخلافات ، وتوحيد الصفوف ، والتعاون المتين لمواجهة الغزاة .

ويراعي في الوقت ذاته بعض المعطيات الظرفية في اختيار اللقب الذي يظهر به في تمثيل دولته وشعبه . إنّه يتحاشى حمل لقب الخليفة ، مرعاة منه للخليفة العثماني الذي يمثل رمز العالم الاسلامي يومها ، وقبل بالسلطنة أولاً ، ولكنه تحاشى لقبها مراعاة لسلطان المغرب الأقصى ، مكتفياً بالإمارة [1]

ومن أول وهلة بويع فيها الأمير شرع في بسط نفوذه على معظم الناحية الغربية من البلاد ، وعلى أجزاء من الوسط جنوب سهل متيجة . وعندما حاول أن يمد سيطرته الى شرق البلاد اصطدم بمقاومة أحمد باي وأنصاره . [2]

وضمن مناطق نفوذه واجهته عقبات جمّة وأزمات حادّة عبر مسيرته الجهادية ؛ ولعلّ من أشدها عليه تلك المتعلّقة بالقبائل التي تمرّدت على طاعته ، رافضة الولاء له والدخول تحت سلطانه كالتيجانيين ، أو تلك التي خرجت عن طاعته ، طالبة حماية الفرنسيين والدخول تحت طاعتهم ، كالدواير والزمالة .

وتتجسّد إستراتيجية الأميرالتي أعلنها أثناء جلسة المبايعة بوضوح أكبر في تعامله مع هذه الأحداث وغيرها من الأزمات التي توالت عليه .

---

[1] ـ فؤاد صالح السيد : المرجع السابق ، ص 52 .

[2] ـ د. يحي بوعزيز : جهود الأمير عبد القادر وخلفائه في دعم الجبهة الشرقية القسنطينية ، الأصالة ، عدد 48 ، وزارة الشؤون الدينية ، الجزائر 1977 ، ص 3 .

أزمة الدواير والزمالة :

يقول الأمير محمد : " لما فرغ الأمير من هذه الأعمال ، صرف همته الى تمهيد القاصية من البلاد ، وردع أهل البغي والفساد كالدوائر والزمالة ومن شايعهم ... وكان الأمير لما تقلّد أمر الأمة واشتغل بالجهاد نظر فيما يلزمه من النفقات فراى أنّ ما يجبى من أموال الزكاة والأعشار لا يفي بواجباته ، فطرح المسألة في مجلس الشورى للنظر فيها فاتفقت آراؤهم على فرض ضريبة على الرعية تسمى معونة ، وبنوا ذلك على أساسات شرعية مؤيدة بنقول فقهية وأعمال سلفية ؛ فلما تمّ أمر المعاهدة قام أولئك الظلمة وبثوا دسائسهم في أفكار العامة ، بأنّ البيعة إنما كانت على الجهاد ، وحمل أثقال الضريبة إنما كان لنفقاته ، وحيث أنّ الجهاد طوي بساطه ، والأمير ركن الى مسالمة العدو ، فلنا أن نرجع عن بيعتنا ونمتنع من دفع أموالنا . فأثرت دسائسهم في بعض القبائل كبني عامر فامتنعوا عن دفع المعونة ... فسار اليهم الأمير بجموعه فأراهم الوجوه التي بعثته على أخذها

منهم ثم قال: " اعلموا أنّ الغاية الوحيدة من قبولي لتقليد هذا المنصب : أن تكونوا آمنين على أنفسكم وأعراضكم وأموالكم ، مطمئنين في بلادكم متجمعين بوظائفكم الدينية ، ولا يمكن أن أبلغ ذلك إلاّ بمساعدتكم مالاً ورجالاً ، وبهذا تعلمون أنّ المنافع الحاصلة منكم عائدة عليكم ، ولا أظن أن يخطر ببال أحدكم أنّ الأموال التي تؤخذ منكم أبتغيها لنفقاتي الشخصية لعلمكم وتحققكم أنني غني بما خلفه لي والدي . وبالجملة لا نطلب منكم إلاّ ما تجبركم الشريعة على دفعه ، وتجبرنا على أخذه . فراجعوا أنفسكم وسدّوا آذانكم ممّا يلقيه أهل

الفساد اليكم .وكونوا على كلمة واحدة وصفقة متحدة فيما ينفعكم ويصلح شؤونكم ، ولا يتم لكم ذلك إلاّ بطاعتنا قال تعالى : " يأيها الذين آمنوا أطيعوا اللّه وأطيعوا الرسول وأولي الأمر منكم " ألا فليبلغ الشاهد منكم الغائب . (1) [1]

لكن ورغم كل ذلك تمردوا على طاعته ، وطلبوا الدخول في حماية العدو . حيث إلتجأت قبيلتي الدوائر والزمالة (نحو ألفي **2000**خيمة) قادمتين من ضواحي تلمسان في اتجاه وهران طالبين من حاكمها الجنرال تريزيل الدخول تحت الحكم الفرنسي ، وأن يأذن لهم في النزول بأرض مسرقين ، وأن يعيّن لهم فرقة من العسكر لحمايتهم فأجابهم لذلك .

كيف كان موقف الأمير تجاه هذا الحدث ياترى ؟

لما أُبلغ الأمير بذلك كتب إليهم : " **أمّا بعد فليكن في علمكم جميعاً أنّه قد طالما نصحناكم ووعضناكم وبيّنا لكم ما يجب عليكم شرعاً أن تفعلوه أو تتركوه، فلم تقبلوا ذلك ولم تلتفتوا إليه، والآن بلغ السيل الزبى فلا بد أن ترجعوا عن غيّكم وتسلكوا جادّة الإسلام الذي مضى عليه أباؤكم وتتركوا منازلكم التي أنتم فيها الآن وترجعوا إلى منازلكم الأولى بقرب تلمسان وإلاّ فلا تلوموا إلا أنفسكم بما يحل بكم من الإنتقام بحول اللّه وقوته** " .

عندما نتأمل ملياً في هذه الإستراتيجية التي واجه بها الأمير هذه الحادثة نكتشف عبقريةً قلّما نجدها عند نظرائه في مثل سنّه وحداثة تجربته العسكرية والسياسيّة .

---

[1] ـ الأمير محمد : المصدر السابق ، ص 119 .

إنّه يلزم أبناء شعبه على الخضوع لقيادته الوطنية والإلتفاف حولها ، وترك العدو وشأنه، لأن التقرّب منه ، والإذعان إليه ، وطلب الحماية منه : هو الضعف بعينه ، والمذلّة والهوان .

فكتب الأمير إلى حاكم الجزائر يحتج عليه فيما أجراه تريزيل ويقول له : " قد ارتكبتم ما يؤذن بنقض المعاهدة التي عقدناها مع الجنرال دي ميشال وارتبطت بها دولة فرنسا واعتمدتها ومن جملتها أن لا تقبلوا من يلتجيء إليكم من العرب كما أننا لا نقبل من يفر إلينا من الفرنسيس ... فإن قبائل الدوائر والزمالة جملة رعيتي التي أحكم فيها بموجب شريعتي ، والآن أبلغك البلاغ الأخير

أنك إن رفعت الحماية عنهم فنحن على ما كنا عليه من المعاهدة و إلا فإنني لا أستطيع مخالفة شريعتي في التخلي عنهم وميادين المعامع تقضي بيننا ومسؤولية إرهاق الدماء وإتلاف الأموال راجعة إليك وعليك والله يخلق مايشاء ويفعل ما يريد ". [1]

ثم انتظر أياماً جواب حاكم الجزائر فلما تأخر عنه وأيقن الأمير بأنّ المعاهدة قد طوى بساطها إستشار خاصّته ودعى رؤساء الجند وأعيان الحضرة الى الجامع وطلع على المنبر وخطب عليهم بقوله " أما بعد فلا يخفى أن الله تعالى قال في كتابه المجيد (يا ايها الذين آمنوا قاتلوا الذين يلونكم من الكفار وليجدوا فيكم غلظة) [2] ، وقال (قاتلوهم حتى لاتكون فتنة

---

[1] ـ الأمير محمد : المصدر السابق ، ص ص 149 ـ 150 .

[2] ـ سورة (التوبة) الآية 123 .

ويكون الدين كلّه للّه) [1]. وهؤلاء القوم قد عاهدناهم فنكثوا وصادقناهم فغدروا وصابرناهم فلم يصبروا وإن تركناهم وشأنهم فلا نلبث أن نراهم قد فتكوا بنا على حين غفلة . وهاهم قد خدعوا الدوائر والزمالة وغيرهم من ضعفاء الدين حازوهم إليهم . فما الذي يمنعنا من دفاعهم ومقاومتهم ، ونحن موعودون بالنصر على أعدائنا . فهيا بنا أيها المسلمون إلى الجهاد وهلموا إليه باجتهاد وارفعوا عن عوانقكم برود الكسل وأزيلوا من قلوبكم دواعي الخوف والوجل ؛ أما علمتم أنّ من مات منكم مات شهيداً ومن بقي نال الفخار وعاش سعيداً ، ثم هزّ سيفه في يده ثلاثاً فضجّ القوم عندها بالتكبير وقالوا نحن على السمع والطاعة لسيدنا ومولانا ناصر الدين .

ونودي بالجهاد فكانت معركة المقطع في الفاتح جويلية **1836** التي أذاق فيها تريزيل وجيشه شرّ هزيمة خلّد التاريخ تفاصيلها .

اختارالأمير مواصلة الجهاد وبذل الأنفس والأموال على التنازل للعدو عن شيء تمّ الإتفاق عليه في المعاهدة التي أبرمها مع دي ميشيل في **26** فيفريي **1834**.

لقد كان موقف الأمير حازماً مع الفرنسيين حين تجاوزوا شرطاً من شروط المعاهدة ، وقبلوا بدخول الدواير والزمالة تحت حمايتهم . وكان صلباً في اتخاذ قرار المواجهة العسكرية من جديد ضد الفرنسيين بعدما أعذرهم وأنذرهم ولم يبالوا .

[1] ـ سورة (الأنفال) الآية 39 .

موقف كهذا ؛ كانت الغاية منه إبراز قوته للمستعمر حتى لا يتلاعب بالمواثيق والتعهدات التي تتم بينه وبين الأمير . هذا من جهة ، و كي لا تحذوا قبائل أخرى الدواير والزمالة . ولذلك كان موقفه

من هاتين القبيلتين صارماً كذلك .

وحول قضية الدواير والزمالة التي أخذت جهداً كبيراً من تفكير الأمير ؛ كتب رسالة يجيب فيها عن حيثيات القضية وكيفية التعامل معها من الوجهة الشرعية تحت عنوان : " حسام الدين لقطع شبه المرتدين " .

الرسالة هي عبارة عن إجابة عن سائل سأله عن الحكم الشرعي حول التعامل مع من دخل في حماية المستعمر الفرنسي فيقول الأمير عبد القادر في هذا الشأن : " ...وبعد ، يا أخي : فإني رأيتك متعطشاً لسماع كلام سادتنا في هؤلاء الذين ركنوا الى الكافر ، ودخلوا تحت ذمته ، شعوباً وقبائل ، أصاغر وأكابر ... ويستدل بقوله تعالى : " بشر المنافقين أنّ لهم عذاباً أليماً ، الذين يتخذون الكافرين أولياء من دون المؤمنين ، أيبتغون عندهم العزّة ؟ فإنّ العزة للّه جميعاً " [1]

كما يستدل بقوله تعالى : " يأيها الذين آمنوا لا تتخذوا عدوي وعدوكم أولياء ، تلقون اليهم بالمودة وقد كفروا بما جاءكم من الحق ... ". [2]

[1] ـ سورة (النساء) الآيتين 138 ـ 139 .

[2] ـ سورة (الممتحنة) الأية : 01 .

ثم يستأنف كلامه عنهم فيقول : ومن شنيع حمق هؤلاء ، وضعف عقولهم أنهم يسمون طاعتهم للكفار مهادنة ، وهل يسوغ لمن له أدنى عقل أن يتلفظ بذلك ؟ كيف وأحكام الكافر وشرائعه وتصرفاته جارية على شريفهم ووضيعهم ، ويؤدون المغارم ، ويحملون أثقاله إذا أراد الغزو على المسلمين ، ويقاتلونهم معه . هذا والله لهذيان لا يعقل.

ثم يستدل بقوله تعالى : " ترى كثيراً منهم يتولون الذين كفروا ، لبئس ما قدمت لهم أنفسهم ، أن سخط الله عليهم ، وفي العذاب هم خالدون " . [1]

وفي نفس الموضوع يستدل الأمير بفتوى لأحد علماء الأندلس كان معاصراً لابن رشد ، وهو ابن الحاج الأندلسي القائل : " من أقام من المسلمين تحت ذمتهم - يعني الكفار - وأعانهم بماله بأن أخذوه منه مغرماً كرهاً ، أو بايعهم ، أو شاركهم ولو في أقل شيء ؛ يباح ماله ، وكذا إن أعانهم بنفسه ؛ يباح دمه ، وسبي ذراريهم ، ليعيشوا في دار الاسلام آمنين من الفتنة " .

ويختم الأمير رسالته بوجوب التصدي لكل من يدخل راضياً تحت حكم المستعمر الفرنسي ويرضى بوجوده وحكمه ، ويرفض محاربته . [2] وبالفعل كان موقفه مع هاتين القبيلين صلباً لا يقبل التراخي ، ولا الإنتضار .

---

[1] - سورة (المائدة) الأية : 51 .

[2] - محمد بن عبد الكريم :حكم الهجرة من خلال ثلاث رسائل جزائرية ، المؤسسة الوطنية للنشر والتوزيع ، الجزائر 1981 ، صص 43 - 66 .

كما واجه الأمير أزمة أخرى لا تقل عن سابقتها من حيث الخطورة على وحدة الصف ، ومواصلة المقاومة . إنها :

<u>أزمة التيجانيين بعين ماضي</u> :

يتعلق الأمر بحصارعين ماضي ؛ لما أقبلت على الأمير وفود من الأغواط الشراقة ، وقدّموا طاعتهم إليه ، ولّى عليهم السيد الحاج العربي وردّهم الى بلادهم . فقبل الناس ولايته ولم يشذ عنه الاّ السيد محمد الصغير التيجيني وأتباعه من الأغواط الغرابة ، فإنهم امتنعوا من أداء الطاعة وجاهروا بالعصيان فبعث الخليفة بالخبر الى الأمير ؛ فخشي أن يسري هذا الحال في الناس فتوجه الأمير اليهم في **07/12/ 1838** في ستة آلاف من الخيالة وثلاثة آلاف من المشاة في مسيرة دامت عشرة أيام ، وضرب عليهم حصاراً لمدّة ستة أشهر حتى استسلموا وأذعنوا خاضعين .

بعدما انتهى الأمر للأمير كتب الى خلفائه ووكلائه في الجزائر ووهران بما نصّه : " الحمد لله وحده وصلى الله على من لا نبي بعده ، وبعد : فإنّ الله تعالى منذ أن ولانا أمر المسلمين والنظر في مصالحهم لم نزل نجتهد ونسعى في تأليف قلوبهم على الإتحاد والخضوع لشريعة سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم لقوله عز وجل " ولا تنازعوا فتفشلوا وتذهب ريحكم " [1] ، وقد توجهنا هذه المرة الى بلاد الأغواط لجمع كلمتهم وإصلاح فسادهم فأظهر عامة أهلها غاية الطاعة والإنقياد إلاّ ما كان من التيجيني ومن انتمى إليه فإنهم تجاهروا بالشقاق وتظاهروا بالتصدي عن الوفاق فأمرناهم بالرجوع الى الحق وحذرناهم من شق عصا المسلمين غير

[1] ـ سورة (الأنفال) الآية : 46 .

مرة ، وناشدناهم الله في صون دمائهم وأعراضهم فلم يرجعوا ... فخفنا إن أهملنا أمرهم من سريان هذا الفساد الى غيرهم فيفوت المقصود الذي هو جمع الأمة على كلمة واحدة ، فأخذنا في حصار حصنهم والتضييق عليهم .

ولما استشرفوا على الرّدى ...طلبوا منّا الأمان ... فمنحناهم الصفح الجميل صوناً لدمائهم وحفضاً لأعراضهم ..." . [1]

إذا ماتأملنا موقف الأمير هذا من التجانيين نجده نابعاً من استراتيجية كانت مرسومة في ذهنه مفادها : أن لا سبيل للنّصر دون وحدة الصف ، وهو نابع من قناعته الدينية : " ولا تنازعوا فتفشلوا وتذهب ريحكم " وذلك ما تتطلبه مواجهة العدو.

لم تكن الغاية من حملته تلك إذلال التيجانيين والنيل منهم ، بقدر ما كان يصبو من ورائها الى التماسك ، وغلق الأبواب على كل من تحدّثه نفسه بشق عصا الطاعة وتشتيت الصف ؛ وهي مسألة تتطلّب من الحزم القوي ، والجرأة الكافية ، والحكمة الوافية مايحتاجه الإقدام على أمر كهذا . وهي مواصفات تجسّدت حقاً في شخص الأمير .

كما أن الأمير كان يعرف جيداً ويؤمن بأن بناء الدولة الحديثة والأمة القوية يبدأ برص وحدة الصف ، والحفاظ على القيم التي تصب في تماسك هوية الوطن ، وفي لملمة شتاته حول رمز من رموزه وقائد من قادته . وبما أنه

[1] ـ الأمير محمد :تحفة الزائر ، ص ص 196 ـ 197 .

فرضت عليه قيادة هذه الأمة عن طريق المبايعة فإنه كان يرى نفسه بأنه يمثل هذا القائد وهذا الرمز المجسد لارادة الأمة الجزائرية .[1]

لماذا سلك الأمير هذا السبيل ؟ ولماذا ألزم نفسه هذه الإستراتيجية ؟

وجد الأمير عبد القادر نفسه مضطراً لانتهاج هذه السياسة مع القبائل التي أظهرت تمردها عليه ؛ يقيناً منه بأنّ فعلها هذا يخدم المستعمر ، ويكون في صالحه ؛ ويضعف المقاومة الجزائرية . ويستشري سلوكها ذاته بين القبائل الأخرى ، فينتشر بذلك فقه الاستكانة ، والخنوع بين الناس من حيث لا يدركون عواقبه الوخيمة على وطنهم وعقيدتهم .

لقد وجد الأمير عبد القادر أنه من الأحوط محاربة هذه القبائل ، وكسر شوكتها ، والحد من تدخلها الى جانب المستعمر قبل مواجهته ، لأنها لن تتوقف عند الإمداد بالمؤن بل ستتعداه الى الإمداد بالرجال المقاتلين . وقد حدث ذلك فعلاً حينما شارك بعضهم في غزو القبائل الموالية للأمير واستبسل في الكيد بالمسلمين وإيلامهم ، لمعرفته بطبائع القبائل وعاداتهم وتنظيماتهم [2].

نخلص في نهاية بحثنا أنّه بالرغم من كل الجهود التي قام بها الأمير في سبيل تحرير وطنه من الاستعمارالفرنسي؛ بمواجهته للعدومن جهة، ومحاولاته الحثيثة لإقناع القبائل المتمردة على الانضمام الى صف المقاومة ؛

---

[1] ـ دبشير بويجرة محمد:الأمير عبد القادر رائد الشعر العربي الحديث، منشورات دار الأديب، وهران 2007، ص 29.

[2] ـ د.حبيب مونسي : " الآخر" في فكر الأمير عبد القادر . من خلال المراسلات ، المجلة المغاربية للدراسات التاريخية والاجتماعية ، عدد خاص ، مارس 2012 ، ص 147

وجد نفسه في نهاية المطاف عاجزاً عن تحقيق الطموح الذي لازمه طيلة سبع عشرة سنة من المقاومة التي أبلى فيها مع أنصاره وأتباعه البلاء الحسن ، وضرب خلالها أروع الأمثلة في التضحية . وجد نفسه أمام حلين لا ثالث لهما : إمّا المغامرة الخاسرة والهلاك المؤكد له ولأتباعه ، وإمّا توقيف المقاومة والاستسلام للقدر المحتوم والنجاة بمن تبقى من الأتباع المخلصين له وللدين والوطن .

إنّه التوقف عن مواصلة جهاده العسكري لمّا تقطّعت به السبل .

لم يكن في نيّة الأمير الإستسلام للعدو ، فلقد احتوت مراسلاته ، وخاصة تلك التي تعود الى السّنوات بل الشهور الأخيرة لمقاومته - طلبه الدّعم المادي والمعنوي من إسبانيا وبريطانيا والسلطنة العثمانية لمواصلة المقاومة؛ بل طلبه التعاون معهم في مجالات أخرى إيماناً منه بالبقاء والإستمرار على أرض وطنه حاملاً راية الجهاد في وجه الغاصبين . كيف لا وهو يراسل الماريشال بيجو بهذه الكلمات : " الحمد لله وحده ، من ناصر الدّين عبد القادر بن محي الدّين الى الماريشال بيجو . أمّا بعد : فإن كانت دولة فرنسا ليس عندها من الأرض ما يكفي رعاياها وأرسلتكم لتغصبوا أراضينا وتبذلوا في ذلك نفوسكم وأموالكم ... فنحن لا نترك قتالكم مادمتم في طغيانكم تعمهون وفي سبيل اعتدائكم تمشون، والحروب قد تربينا عليها وتغذينا بلبانها فنحن أهلها من المهد الى اللحد ". [1]

وظلّ الأمير عبد القادر يواجه القبائل غير الواعية بواجبها تجاه وطنها وعقيدتها الى آخر أيام مقاومته أين نالت منه بتعاونها مع الاستعمار الفرنسي

[1] ـ الأمير محمد: تحفة الزائر، المصدر السابق، ص ص 258 ـ 259 .

. وها هو يعبّر عن ذلك بقلب جريح بهذه الكلمات المؤثرة البليغة : " ولا زلت في أيامي كلّها أرى المنيّة ولا الدّنية ، وأشمر على أقوى ساعد وبنان . وأقضي حق الجهاد بالمهنّد والسّنان . الى أن فقدتُ المُعاضد والمُساعد وفني الطارف من أموالي والتالد . ودبّت اليّ من بني ديني الأفاعي . واشتملت عليّ منهم المساعي . والآن ، بلغ السيل الزُبى . فسبحان من لا يكيده كائد ، ولا يبيد ملكه وكل شيء بائد . " [1]

وهو القائل : أجلي تأخر لم يكـن .... يهواه ذلي والخضـوع

ما سرت قط الى القتا ...... ل وكان من أملي الرجوع

شيم الأولى أنا منهم ..... والأصل تتبعه الفـروع [2] .

ونرى في توقفه عن العمل العسكري وتسليمه بالقدر المحتوم - بعد أن صدمه الصادمون [3] وفقدَ كلّ سند ، من الداخل والخارج - استراتيجية لمواصلة جهاده ، وفاء لوطنه وشعبه بسبل أخرى لا تقل أهمية عن المواجهة المسلحة ، وهو ما أثبتته سيرة الأمير وهو في المنفى من خلال مواقفه الفذّة التي جعلت منه واحداً من زعماء العالم الذين خلّد التاريخ مآثرهم عبر الزمن .

---

[1] - الأمير محمد : تحفة الزائر ، المصدر السابق ، ص 498 .

[2] - الأمير محمد : تحفة الزائر : المصدر السابق ، ص 499 .

[3] - مولود قاسم نايت بلقاسم : نعيب الانسانيات والعيب فينا ❖❖❖ وما للانسانيات عيب سوانا ، الثقافة - عدد 95 ، وزارة الثقافة والسياحة ، الجزائر 1986 ، ص ص 17 - 45.

الأمير عبد القادر بين المعارضة والتأييد من خلال كتابات معاصريه:

- العربي المشرفي نموذجا

د. عبد الحق شرف

جامعة ابن خلدون تيارت

مقدمة:

عُرف عن العربي المشرفي مواقف كثيرة ومتباينة من الأمير عبد القادر خاصة أيام إمارة هذا الأخير، حيث تحامل عليه كثيرا، وعابه في كثير من المسائل في كتابه "طرس الأخبار في ما جرى للمسلمين مع الكفار في أواخر القرن الثالث عشر مع الكفار وفي عتو الحاج عبد القادر وأهل دائرته الفجار"، وهو ما مثّل إعلانا صريحا لمعارضته الكبيرة للأمير عبد القادر.

ولعل المشرفي بصنيعه هذا؛ لم يكن ليعارض الأمير عبد القادر ويلقي باللائمة عليه طوال حياته، بل كان ذلك في مرحلة معينة استمرت إلى سنة **1873**. لكننا وبعد هذا التاريخ تغير موقفه جذريا تجاهه حتى غدت مواقف تأييد لا غير.

وسنحاول من خلال هذه الورقة العلمية أن نتتبع أهم المسائل التي اعترض عليها المشرفي من خلال كتاباته، ثم نبين كيفية تغير موقفه من معارض إلى مؤيّد، والأسباب الدافعة لذلك.

1- التعريف بالمشرفي:

هو العربي بن عبد القادر بن علي المشرفي [1]، وقد وجد التباس كبير حول تاريخ ولادته، شأنه في ذلك شأن جل أعلام هاته الفترة، وبالتالي يصعب تحديده وضبطه بدقة. وقد وجد في نهاية كتابه "الحسام"، أنه بلغ سن الخمسين عند تأليفه، وبالاعتماد على ما جاء في "إتحاف المطالع" من أنه توفي سنة **1313**هـ/**1895**م عن عمر يناهز التسعين [2]، فإننا نستطيع أن نضع احتمال ولادته مع نهاية سنة **1804** وبداية سنة **1805**م، ومن المؤكد أن ولادته كانت بقرية الكرط ضواحي مدينة معسكر [3]، ولم يشذ عن ذلك سوى صاحب "إتحاف المطالع"، الذي أورد أنه ولد وتعلم بتلمسان [4].

وينتسب العربي المشرفي إلى أسرة المشارف [5] ذات الأصول الوثيقة بالعرهوبيين أبناء مشرِف (بكسر الراء وفتحها) بن عبد الرحمن بن مسعود. وقد تلقى تعليمه الأولي ببيت عائلته، فوالده عبد القادر بن علي المشرفي

---

[1]- عن تفاصيل أكثر عن هذه الشخصية راجع كتابنا: العربي بن علي بن عبد القادر المشرفي ت1895 حياته وآثاره، الجزائر: المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية، ط1، 2011.

[2]- عبد القادر بن سودة، إتحاف المطالع بوفيات القرنين الثالث والرابع، ضمن موسوعة أعلام المغرب، ج8، تنسيق وتحقيق محمد حجي، بيروت: دار الغرب الإسلامي، ص: 2805.

[3]- عادل نويهض، معجم أعلام الجزائر، بيروت: مؤسسة نويهض الثقافية، ط3، 1983، ص: 303.

[4]- ابن سودة، إتحاف المطالع، ص: 2805.

[5]- *Henri Pérès: l'Algérie vue par deux voyageurs musulmans en 1877–1878, R.A, N76, 1935, p: 261.*

الذي اشتهر بين جماعته بغزارة العلم الشرعي وسمعته الطيبة، فضلا عن تدينه وعدله، جعله قبلة لاحتكام الخصوم إليه.

وعلى غرار أبناء بلدته، التحق المشرفي بكُتّاب بلدته الكرط لحفظ القرآن. أما شيوخه الذين تتلمذ لهم في هذه المرحلة فهم: [1]

- سيدي عبد الله بن ديدة، وقد قرأ عليه أحكام القراءة في الرسم والضبط، والدرر اللوامع في مقرئ الإمام نافع، وسيدي محمد بن عبد الرحمن، والعربي بوروبة، ومحمد بن عدلة.

وبعد أن تلقى المشرفي تعليمه الأولي بمسقط رأسه الكرط، انتقل إلى مدينة معسكر ليتم مرحلة الجمع والتحصيل.

وفي هذه المدينة، تلقى تعليما على مستوى عال، لتتلمذه على ثلة من شيوخها الأجلاء، ذكرهم في مجموعة من كتاباته وعرّف بهم وبما أخذ عنهم، وهم كالتالي: محمد بن عبد الله سقاط المشرفي، الطيب بن عبد الرحمن، أحمد بن التهامي، مصطفى بن أحمد التهامي، محمد بوسيف العامري التراري، بن عب بن المصطفى، الطاهر المشرفي، عبد القادر بن مصطفى بن الأحمر، السنوسي بن عبد القادر.

وبعد أن أتم مسيرته الدراسية بمدينة معسكر، انتقل المشرفي إلى مدينة مستغانم ليتتلمذ على مشايخها وعلمائها، يستشف ذلك من

---

[1] - العربي المشرفي، ديوان نظم في من أيقظ للدين جفن الوسن مولانا الحسن، مخطوط بالخزانة الملكية بالرباط تحت رقم: 5310، و111ظ.

قوله:"كما قرأنا على غيرهم من علماء مستغانم" [1]، حيث تتلمذ لجملة من الشيوخ وهم: محمد بن صابر، محمد بن عامر البرجي، محمد بن عاشر، عبد القادر بن القندوز، خليل الفرندي.

ثم انتقل المشرفي بعد ذلك إلى تلمسان، بغية الاستزادة والتتلمذ على علمائها، وقد أشار عرضا إلى مقامه بها، وقراءته على يدي الشيخ الفقيه الحاج الداودي التلمساني، والشيخ محمد بن سعد التلمساني، وسيدي محمد الفخّار.

وفي نهاية المطاف، انتقل المشرفي إلى وهران سنة **1240**هـ/ ماي **1824**م [2]، ليواصل تعليمه بها على شيوخه الذين تتلمذ لهم بادئ الأمر في معسكر.

وقد كان للاستعمار الفرنسي الأثر السيء على حياة المشرفي العلمية، وهو ما ترك في نفسه تذمرا كبيرا. ذلك أنه وبعد الاحتلال قفل راجعا إلى معسكر، بعد أن أمضى ست سنوات من التحصيل بوهران، ليتولى تدريس الصبيان، حيث عبّر عن هذه المرحلة بقوله: " ففاجأنا خروج الإفرنس دمّره الله للثغر الجزائري، فلم يتم لنا المراد في قراءة التفسير ومتون الصحاح، فرجعت لغريس ظافرا بالنحويات والفقيهات والحمد لله، وانتصبت في حياة والدي للتدريس وقرت بي عينه" [3].

---

[1]- العربي المشرفي، ذخيرة الأواخر والأول فيما يتضمن من أخبار الدول، مخطوط بالمكتبة الوطنية المغربية تحت رقم: 2956، الرباط، ص: 09.

[2]- *Henri Pérès : op. cit. p : 261.*

[3]- العربي المشرفي، ديوان المشرفي، و111ظ.

وبعد رجوعه لمعسكر، والتخلي الاضطراري عن مزاولة الدروس، لم يضق المشرفي ذرعا بذلك، بل نجده ينطلق في رحلة جديدة، بحثا عن العلم والتحصيل، لينزل هذه المرة ضيفا على منطقة مجاجة سنة **1249**هـ/**1833**م، لكن خيبة أمله كانت كبيرة لما وجد بها سوى عالمين اثنين.

وهكذا تنتهي المرحلة الأولى من حياة المشرفي، التي عاش خلالها متنقلا بين معسكر ومستغانم وتلمسان ووهران، إلى غاية انهزام الأمير عبد القادر في معركة عين طاقين سنة **1843**م، حيث لم يقم بها طويلا، ويشدّ الرحال نحو المغرب في رحلة متعبة سنة **1844**.

وهناك بالمغرب، عاش العربي المشرفي حياة صعبة للغاية، وعرف تهميشا كبيرا وجفاء لا يطاق من لدن علماء عصره.

ورغم ما عرف عنه من كثرة التآليف والارتحال، فإنه لم يستطع أن يجد لنفسه موطئ قدم في أوساط النخبة العالمة هناك، وهو ما عبّر عنه بنفسه قائلا: "وكل هذا، أنني معدود من حزب الغرباء، وإن كنت عندهم من جملة الأدباء، وفي الطبقة الثانية من طبقات المدرسين، ومحروم من أحباس المحبسين، وهذا شأن من لفظته الأقدار من أوطانه، وانقلبت محاسني مساوئا، وأصدقائي أعاديا" [1].

وعلى الرغم من ذلك، فقد كانت له علاقات طيبة مع بعض علماء عصره بحاضرة فاس، ونخص بالذكر علاقته بمحمد الفاطمي بن

[1] - العربي المشرفي، الذخيرة، ص: 56.

الحسين الحسيني الصقلي والمهدي بن سودة، والحاج إدريس بن علي القرباوي المالكي السناني، والعباس بن أحمد الأبّار.

ترك المشرفي بعد وفاته سنة **1313**هـ/**1895**م [1]، ثلة من التلاميذ النجباء خلّدوا ذكراه، وقد كان معظمهم من عائلته، وأبرزهم: محمد بن محمد بن مصطفى المشرفي [2]، علي بن الحاج بن موسى الجزائري (**1244** – **1330**هـ/ **1829** – **1910**م) [3]، عبد القادر بن البشير، أبو العباس السيد أحمد.

موقف المشرفي من الأمير:

إن المتتبع لكتابات المشرفي يلمس شقّين في مواقفه تجاه الأمير عبد القادر؛ موقف معارضة ميزته مرحلة معينة من حياة الشخصين خاصة

---

[1]- محمد المنوني، المصادر العربية لتاريخ المغرب، ج2، الفترة المعاصرة 1730 – 1930، الرباط: منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية، سلسلة الدراسات البيبليوغرافية رقم 01، 1989م، ص: 91.

[2]- وهو ابن عمّه، تولى قضاء الحياينة، وكان أحد العدلين اللذين ذيّلا بختمهما على وثيقة المهاجرين بفاس سنة 1313هـ/1894م، تجديدا لبيعتهم للسلطان الحسن الأول، أمام إغراءات الفرنسيين لهم بالحصول على الحماية والدخول تحت سلطة الاحتلال الفرنسي بالجزائر. ينظر: محمد المنوني: "وثيقة عن المهاجرين التلمسانيين بفاس"، دعوة الحق، ع2، تصدر عن وزارة الأوقاف المغربية، السنة العاشرة، ديسمبر 1966، ص ص: 104 – 106.

[3]- **علي بن الحاج:** عالم محدث وقاضي. ولد بالجزائر، وبها أخذ العلم، ثم تولى القضاء وهو ابن الخامسة والعشرين من العمر في مليانة، ثم في تنس وأخيرا بتلمسان. له: ربح التجارة ومغنم السعادة. توفي مع بداية القرن العشرين. وقد أجازه العربي المشرفي سنة 1878م. ينظر: أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج7، بيروت: دار الغرب الإسلامي، ط1، 1998، ص: 72.

المشرفي، وموقف تأييد غذّاه كثيرا حالة الرجلين في المرحلة الأخيرة من حياتهما.

1- موقف المعارضة:

يلاحظ الدارس لمؤلفات المشرفي خلال الفترة الممتدة ما بين سنتي **1830** و**1873** نوعا من التهجم الكبير والمزاج العَكِر. ويبدو أن هذه الحالة التي اتسمت في غالب الأحيان بالانحطاط النفسي الرهيب كانت حالة آنية، وانعكست على كتاباته سلبا أحيانا، وإيجابا أحيانا أخرى.

ومن المؤلفات التي نلمس فيها هاته المعاني جليا، كتاب الحسام المشرفي لقطع لسان الساب الجعرفي، ورحلة إلى نواحي فاس، وكذا كتاب طرس الأخبار. هذا الأخير كان قد ألفه عشية تراجع قوات الأمير عبد القادر في معركة عين طاقين **1843**، وحمل فيه عليه كثيرا، ونعته بأسوأ النعوت، وعارضه معارضة كبيرة لأحكامه وقرارته في تسيير شؤون الدولة. حيث انتقده في جملة من المسائل، وعارضه فيها معارضة كبيرة، وهي كالتالي:

أ- مسالة البيعة:

مما هو معلوم للكافة على سبيل القطع واليقين، أن الشارع قد نزّل كتابا ناطقا باللغة العربية، قال تعالى: "إنا أنزلناه قرآنا عربيا لعلكم تعقلون" [1]. أي أن معاني الألفاظ هي نفسها التي استعملها العرب في مجرى حياتهم إلا ما استثناه الشارع، بنقل معاني بعض الألفاظ من معنى لها عند

[1]- يوسف، الآية 01.

العرب إلى معنى آخر لها في الشرع، كالصلاة والزكاة والبيعة [1]. وقد وردت كلمة البيعة في الكتاب والسنة كثيرا؛ منها قوله تعالى: "فاستبشروا ببيعكم الذي بايعتم به" [2]، وقوله: "إن الذين يبايعونك إنما يبايعون اللّه" [3]، وقوله: "لقد رضي اللّه عن المؤمنين إذ يبايعونك تحت الشجرة" [4].

وكل هذه الآيات تبين أن البيعة مطلوبة من المؤمنين، وهي فرض عليهم جميعا لقول النبي صلى الله عليه وسلم: "من مات وليس في عنقه بيعة مات ميتة جاهلية" [5]. وقد جاءت هذه الآيات بمعنى العهد والميثاق في مواقف كثيرة، أبرزها ما تم في بيعتي العقبة الأولى والثانية [6]. والبيعة تدل على موضوع تسليم الحكم والسلطان للرئيس مع بقاء حق الأمة في استخدام سلطانها بمحاسبة الحاكم إن هو خرج عن حدود البيعة [7]. وعلى هذا الأساس فقد تم اختيار الأمير عبد القادر أميرا لأهل الناحية الغربية، وقد تمت هذه البيعة على مرحلتين، أولى وثانية تأسّيا ببيعة المصطفى صلى اللّه

---

[1] - محمود الخالدي، البيعة في الفكر السياسي الإسلامي، الجزائر: شركة الشهاب، الأردن: مكتبة الرسالة الحديثة، ب ط، 1985، ص: 21.

[2] - التوبة، الآية 111.

[3] - الفتح، الآية 10.

[4] - الفتح، الآية 18.

[5] - رواه مسلم وغيره. ينظر: الألباني ناصر الدين، سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة وأثرها السيء على الأمة، الرياض: مكتبة المعارف، ط1، 1996، ج5، ص: 88.

[6] - الخالدي، البيعة، ص ص: 25 - 26.

[7] - المرجع نفسه، ص ص: 28- 29.

عليه وسلم [1].

وفي دعوة منه للدخول في هذه البيعة، جاء على لسان الأمير عبد القادر ما يلي: "ولذلك ندعوكم أن تشاركوا في هذا العهد أو العقد بيننا وبينكم، سارعوا إذن لإعلان ولائكم وطاعتكم، والله يجازيكم في الدنيا والآخرة، إن هدفي الأساسي هو الإصلاح وفعل الخير ما دمت حيا. إن ثقتي في الله ومنه هو وحده أطلب الثواب والنجاح" [2].

لقد تمت البيعة في ظروف حسنة، واتسمت بالشرعية الكبيرة. ومع ذلك؛ فإن بعض الروايات خاصة منها تلك التي أوردها صاحب طلوع سعد السعود، تفيد أن أهل غريس - الذين كان المشرفي من ضمنهم- قد ضاقوا ذرعا بهذه البيعة، حيث يقول: "ولما عقدوا البيعة بغريس، قال بعض علماء وأولياء الله بغريس: سبحان الله هذه البيعة لا يستقيم لصاحبها حال، ولا يهنأ له قرار ومنال. ولا شفقة له ولا رحمة في الأعيان وغيرهم من النساء والرجال، وإنما هو سفّاك للدماء، وليس من السادات الرحماء. لكون أول من بايعه اسمه الأعرج، والمحل المبايع فيه اسمه الدردارة، فلا ريب أن أيامه وأحكامه وأحواله عرجا، ولا تستقيم، وإنما تبقى مدردارة" [3].

---

[1]- عن تفاصيل البيعة الأولى والثانية ينظر: محمد بن الأمير، تحفة الزائر، ج1، ص ص: 154- 165.

[2]- شارل هنري تشرشل،حياة الأمير عبد القادر، ترجمة وتقديم أبو القاسم سعد الله، الجزائر: ديوان المطبوعات الجامعية، 2004، ص: 86.

[3]- المازاري، المصدر السابق، ج2،ص: 106.

ويُعتبَر المشرفي أحد أبرز دعاة هذا التيار. حيث يرى بأن ظهور فكرة وجود شخصية تقود المقاومة ظهرت بتلمسان، بعدما اتفق أهل غريس على أن يُدعم واحد من ساداتهم ويُلقوا عليه مشورتهم. وبعدما اجتمعت أكابر مغراوة ومرابطي المشارفة وامهاجة على اختيار الشخصية المناسبة، اتفقوا على محي الدين [1] الذي رفضها وألقاها في حجر ابنه الأكبر السعيد، الذي بدوره ألقاها في حجر أخيه عبد القادر مباشرة [2].

وفي رحى مسألة البيعة، تدور جل انتقادات المشرفي للأمير عبد القادر، حيث وصفه بأوصاف لا تتلاءم والشرع، بل لا تتلاءم حتى والعادات والأعراف، ويورد مجموعة من الروايات التي يطعن بها في إمارته، بل يصرّ على أن الأمير إنما بويع على إمرة الجيش ليس إلاّ. يقول المشرفي: "فنفر طبع المرابطين منه وأبوا ذلك، حتى كتب لهم أبوه بخط يده، وجملة ما في مكتوبه: إني قدّمته ليؤمّ الجيش المُعِين للجهاد الحسن مع العباد، وليكن عنده الكبير منهم أبًا، والمتوسط أخًا، والأصغر إبنًا، ويقوم بأمر الجميع للجهاد. وافقوه على ذلك بشروط، فأمّنوه على جيش الرباط، فنكثها جميعا قبل وفاته في تلك السنة التي قام فيها، وتغلّظ على العباد بأولياء

---

[1] - عن هذه المسألة راجع: أديب حرب، التاريخ العسكري والإداري للأمير عبد القادر الجزائري، ج1، الجزائر: دار الرائد للكتاب، ط2، 2004، ص ص: 79- 80.

[2] - العربي المشرفي، طرس الأخبار بما جرى آخر الأربعين من القرن الثالث عشر للمسلمين مع الكفار وفي عتو الحاج عبد القادر وأهل دائرته الفجار، دراسة وتحقيق: يوسف أخليص، دبلوم الدراسات العليا في التاريخ، كلية الآداب ابن مسيك، جامعة الحسن الثاني الدار البيضاء المغرب، 1999- 2000، ص: 174 وص:181- 182. راجع كذلك: أديب حرب، المرجع السابق، ج1، ص: 85.

الشيطان، حتى رشاهم وتسمى أميرا عليهم سفيها" [1].

ومما يزيد المشرفي تشبّثا بموقفه هذا، هو تلك الوصايا التي تركها محي الدين المختاري لابنه عبد القادر، التي تدلّ في مجملها على الحذر من أهل غريس على حد تعبير المشرفي إذ يقول: "وقد تواتر الخبر أنه أوصى ولده لما مات بوصايا منها: إياك ومشورة المرابطين من غريس، إنْ أدخلتهم في مشورتك خرّبوا ملكك، وفسدوا حكمك. بل أعرض عنهم، وعليك بأهل المخزن الذين كانوا مع الأتراك، يعرّفونك التأويل، ويكفون عنك الأقاويل" [2]. وقد علق المشرفي على هذه الوصية قائلا: "فلا حول ولا قوّة باللّه العظيم العلي، أوصاه بعمارة دنياه وتخريب أخراه" [3].

ومنها أنه قال له: "إني تركت لك الناس كلهم على حد سواء إلا مرابطي غريس، فأقول أنك لا تسلم منهم إلا بأن تتحذر منهم، أو تخرج من وطنهم بأهلك، وتشد عضدك بالقبائل" [4].

ومما زاد من حدّة المشرفي في التحامل على الأمير عبد القادر، أن هذا الأخير لما خاطبه أهل غريس بأنهم قد أمّروه على الجيش ولم يبايعوه على الجهاد لم يُجب لذلك. يقول المشرفي: "ولذلك تسبب على أهل غريس حين قالوا له: لم تبايَعْ إلا على الجهاد، وأمّرناك على الجيش فقط. خرج بأهله ونزل بساحة مليانة، وخرج بعض الوجوه من أهل غريس يريدونه، فلم

[1] - المصدر نفسه، ص: 174.

[2] - العربي المشرفي، طرس الأخبار، ص: 183.

[3] - المصدر نفسه، ص: 184.

[4] - نفسه، ص: 186.

يجب ذلك" [1].

ويختم المشرفي حملته على الأمير، بالإشارة إلى أن كل ما آلت إليه حالة السكان والمنطقة، إنما كانت بسببه، إذ يقول: "ولولا موافقتنا لمن يدعي الإمارة، وجلوسنا معه يمينه وشماله، لما صرنا إلى ما ترى، ولسلك الله بنا طريقا يُسرى، وتردّده في السحاري بالأعراش في تلك البراري..ولما صار القوي يأكل متاع الضعيف، وما سعاه الفقير لأولاده يأكله الشريف..." [2].

ومما يدل على امتعاظ المشرفي كثيرا لمسألة البيعة، تعبّر عنه بصدق تلك الرواية التي أوردها يوم التقائه بالأمير عبد القادر في جبال بني يزناسن في المغرب، بعد انهزام هذا الأخير في معركة عين طاقين **1843**، مما جاء فيها: "فوجدت الحاج عبد القادر بن محي الدين أمام جبال بني يزناسن بدائرته، وتحت الرحلى الذي به ينزل ويرحل؛ دخلت وجدة، بعث لي ننزل بدائرته فقلت له: لم يبق لي نزول معك، فقال لي: ولم؟ قلت: الشريعة المطهرة تأبى ذلك، لأنّ مَنْ دخل رعية ملك ونوى استيطانها دخل فيما دخل فيه المسلمون من البيعة، فأخّر بغضي. ولما سمع بي خرجت بنفسي قاصدا الانتقال لفاس، بعث خيلا في طلبي فلم يسلكوا طريقا سلكتها، إلى أن دخلت حاضرة فاس> [3].

[1] - نفسه، ص: 184.

[2] - نفسه، ص ص: 137- 138.

[3] - العربي المشرفي، ديوان نظم، و113و- و114و.

ب- مسألة جباية الأموال:

بعد مبايعته، بدأ الأمير عبد القادر بتنظيم البيت الداخلي، فضبط الأمور التي تتعلق بجباية الضرائب، ورفض الخصومات [1].

وتعتبر مسألة جباية الضرائب من الأمور التي أثارها المشرفي وحمل فيها على الأمير عبد القادر، واعتبرها من أهم عوامل فشله، حيث يقول: "وأهان العشير، وضرب المعونة على الرعية، ووظفها على القوم بالسوية، وأهمل المسكين، وأمّن الظالم عليه في الحين. فتراه يوصي الظالم بأن لا يترك شيئا من المظالم على هذا الفقير السائل، ولا يسمع لشكواه العامل، حتى نفرته الأعراب، وسعى بهم مسعى الخراب" [2].

ويذهب المشرفي إلى أبعد من ذلك إذ يقول: "ونادى في الأسواق يجمع الرعاة، وأجرى الخراج عليهم دون القضاة، وتلصص بهم على العباد حتى طغوا في البلاد فأكثروا فيها الفساد. وسلطهم أولا على الرؤوس يأمرهم بالدخول لبيوتهم ويفتحوا كل مخبّأ مدسوس، ويكلفونهم بتهيئة الثريد من الطعام..وأعياهم كل يوم التردد، وملّوا ضرب عليهم جزية عليهم المعونة، ووظفها على الأعراب كل سنة، وقال لهم عمارة بيت المال واجبة على المسلمين في الحال والمآل..والعلماء أهل التدريس تؤخذ منهم الوظيفة بلا تدسيس، إذ لا فرق عنده بين العالم والجاهل ولا بين الحق والباطل..ومنع أيضا الفقراء والمساكين من الصدقة الواجبة في

---

[1] - إسماعيل العربي، المقاومة الجزائرية تحت لواء الأمير عبد القادر، الجزائر: الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، 1982، ص: 43.

[2] - العربي المشرفي، طرس الأخبار، ص: 212.

الحين..وترك الفروض، فترى الفقراء تذهب للأغنياء يسألونهم الزكاة، فيطردونهم يبكون له حفاة عراة، ويقفون قبالته ولا يبالي بهم ولا بجوعهم..فكل يوم يأمرهم بطردهم ويقول الشرع أمرني، ببعدهم، فإن العشر والمعونة للمجاهدين. العسكر والخيالة اليوم هم المساكين وتحيّل بهم وملأ المطامير..وكل قبيلة من وجدة إلى تونس القيروان أكل مالهم بالحيل والبهتان" [1].

ويصرّ المشرفي على أن أخذ الضريبة هي بدعة أحدثها الأمير حيث يقول: "فاعلم أرشدك اللّه، أن من جملة ما أفسد الدين؛ بدع هذا الذي يدعي أنه ملكا. ومن جملة ما يدّعي التجبر على عباد اللّه والتلصص عليهم، وأخذ أموالهم وسفك دمائهم بغير الحق، واتخاذ الزكاة مغرما" [2].

كما اعتبر المشرفي أن مسألة قتال المسلمين على المغارم هي مما أحدثه الأمير، وأنها بدعة لم تكن على عهد الرسول صلى اللّه عليه وسلم، إذ يقول: "ومن جملة ما أحدث القتال مع المسلمين حتى يلتزموا له المغارم، وذلك حرام وبدعة لم يفعله رسول اللّه صلى اللّه عليه وسلم وأصحابه، ولم يغز المسلمين ولم يحاربهم على المغارم" [3].

ب- قتال القبائل الداخلة تحت ولاية النصارى:

لما فرغ الأمير عبد القادر من الأعمال الأولى لتنظيم الدولة الجديدة، نهض من معسكر في شوال **1248**هـ/ فبراير **1833**م في جولة

1- نفسه، ص ص: 226- 228.

2- نفسه، ص ص: 247- 248.

3- نفسه، ص: 251.

لتفقد الأعمال وأخذ البيعة من القبائل. وخلال هذه الجولة دخل في اشتباكات مع بعض القبائل ليحملها على الطاعة [1]، ونجح في فرض طاعته على أغلبها. بَيْدَ أن البعض الآخر منها نازعه سلطانه، خاصة قبائل الدواير والزمالة [2]. كما اضطرّ الأمير عبد القادر على أن يسلّ سيفه لقمع قبيلة فليتة، التي مارست السلب والنهب وقطع الطريق [3]، وأدّب قبائل عكرمة وبني مدين التي أظهرت العصيان والشقاق، وأغار عليهم واستولى على جميع ممتلكاتهم [4]. ورغم كل هذه المحاولات إلا أن بعض القبائل عرضت ولاءها على الفرنسيين ودخلت في طاعتهم [5].

ومما تجدر الإشارة إليه هاهنا؛ أنّ الأمير بعث برسالة حملها الشيخ سقاط المشرفي، إلى فقيه المغرب الأقصى الشيخ التسولي، يسأله في حكم هذه القبائل [6]. وقد جاء على لسان صاحب تحفة الزائر في هذا الموضوع: "كان الأمير يعاقب مَن يقع في أيدي ضباط الثغور من أشقياء المتنصرة، كالدوائر والبرجية وغيرهم..ممن يواصل العدو ويتسلل مدنه بما اختلسه من المسلمين، فكان يأمر بقتله" [7].

[1] - إسماعيل العربي، المرجع السابق، ص: 43.

[2] - المازاري، المصدر السابق، ج2، ص: 107. إسماعيل العربي، المرجع السابق، ص: 44.

[3] - محمد بن الأمير، تحفة الزائر، ج1، ص: 168.

[4] - إسماعيل العربي، المرجع السابق، ص: 45.

[5] - المازاري، المصدر السابق، ج2، ص: 113 وص: 117.

[6] - نص السؤال كاملا في تحفة الزائر، ج1، ص ص: 316- 317، وجوابه في المصدر نفسه، ج1، ص ص: 318- 329.

[7] - محمد بن الأمير، المصدر نفسه، ص: 316.

وقد كان رد فعل الأمير تجاه هذه القبائل سريعا، بردع كل من تسوّل له نفسه الدخول تحت ولاية الكافر، خاصة بعد توصله بفتوى من الإمام التسولي بقتال هذه القبائل [1]. هذه الفتوى أثارت حفيظة المشرفي كثيرا باعتباره أحد العلماء المعارضين لسياسة الأمير وقتها. حيث عبر ضمن نص طويل في "طرس الأخبار" عن معارضته الشديدة لسياسة الأمير تجاه هذه القبائل، مما جاء فيه: "وطال عليهم الهم وتردد الجفلات بالغم، فرت منه للنصارى، واستحلت الجلوس تحت رايتهم ليتوارى، فلم يبق معه إلا الحزب الملعون يدور معه للنهب ويكون له عون" [2].

ويرجّح المشرفي أن دخول القبائل تحت ولاية النصارى، إنما كان نتيجة من نتائج ظلم وجور الأمير عبد القادر، حيث يقول: "والدهر يستدعي التقصير وظلم هذا الأمير المتولي بهذا الوقت الشهير، وذلك هو السبب في رجوع الأعراب للنصارى" [3].

ويشدّد المشرفي كثيرا حين يحمّل الأمير مسؤولية الإيقاع بهذه القبائل، وإباحة دمها وأموالها حين يقول: "وقال لهم: هؤلاء المتنصرة مالهم حلال، اسفكوا دم الرجال، واستحيوا نساءهم، انكحوها بلا عدّة ولا آجال، تؤجرون من الكبير المتعال. فبذلك وقعت المعايرة بالتنصر لمن لم يهجر نحوه، ولم يعمل مثل عمله حذوه" [4].

1- عن هذه الفتوى، ينظر: تحفة الزائر، ص: 320 فصل 7.

2- العربي المشرفي، طرس الأخبار، ص: 240.

3- المصدر نفسه، ص: 192.

4- نفسه، ص: 240.

كانت هذه هي أهم ثلاثة مسائل رئيسة، عابها المشرفي على الأمير عبد القادر، وخلص في الأخير مستدلا ببعض الأحاديث وكلام السلف، وكبار العلماء أمثال القرافي والشاطبي، إلى خلع الطاعة للأمير عبد القادر حيث يقول: "واعلم أيها الناظر، أنّ من اتصف بهذه الأوصاف المذكورة، والبدع المشهورة، وجب عزله ومخالفته ومحاربته على كل مسلم. ومن أعانه وعظّمه، فقد أعانه على هدم الإسلام...وبالجملة أرشدك الله، إن هذا الظالم المجرم لا تجب طاعته ولا إعانته" [1].

2- موقف التأييد:

على الرغم من الموقف المعارض الذي تبناه المشرفي ضد الأمير عبد القادر، فإننا نجده في المرحلة التالية يلين شيئا فشيئا، ويقف موقف المؤيد له، موقف المعترف بشخصه، وانقلب موقفه رأسا على عقب. ثم إن هذا التغير الحاصل في موقف المشرفي حيال الأمير عبد القادر، ليطرح الكثير من التساؤلات، حول الأسباب التي دفعت المشرفي لِأَن ينحى هذا المنحى.

ولا شك أن الظروف الصعبة التي عاشها المشرفي غداة الاحتلال، وما خلّفته من آثار سيئة على نفسيته التي اتسمت في غالب الأحيان بالانحطاط الشديد، خاصة خلال الفترة الممتدة من سنة **1830** إلى سنة **1873**. وهي الفترة التي جاءت فيها جل كتاباته مليئة بالتهجم، هي سنوات عجاف عاشها المشرفي بكل مرارة وألم. فَمِنْ تعب الهجرة، إلى قلّة القوت وفقد المسكن، إلى السجن ثم الخروج منه، إلى حياة دون مأوى عانى المشرفي الأمرّين.

[1]- العربي المشرفي، طرس الأخبار، ص: 252.

وكثيرا ما كان يعبّر عن حالته تلك بأبيات من الشعر ينظمها ليسترقِّ القلوب، لكن لا حياة لمن تنادي، وكثيرا ما كان يكتب مستلطفا لكن هيهات. يقول المشرفي معبرا عن هذه الحالة: "إذ لا غرابة بأرض الإسلام وتقلب أحوال الإنسان وافتقاره، وذله واحتقاره، فهو بمثابة غريب حتى في أرضه، وبلده لمعني بتحرجه، ولا يتحرج الإنسان من ضيم لحقه من غير أبناء جنسه، وإنما الضيم الذي يلحقه من أبناء جنسه هو الذي له ضرر أعظم من ضرره والذي به يعد غريبا" [1].

لقد عانى المشرفي كثيرا خلال هذه الفترة، لكن تباشير الفرج قد لاحت في الأفق مع مطلع سنة **1873**، وهي السنة التي صادفت وفاة السلطان محمد بن عبد الرحمن بن هشام، وتولي السلطان الحسن الأول زمام أمور الحكم بالمغرب الذي كان المشرفي قد رحل إليه سنة **1843**. ويُعتبَر هذا الحدث الفرصة السانحة التي ظفر بها المشرفي، واستطاع بموجبه التقرب من السلطة الحاكمة بالمغرب، ويُعرض صفحا عن الأيام الخوالي، ويبدأ حياة كريمة جديدة. فكتب إلى السلطان الحسن الأول قصيدة مدحية جاء في مطلعها:

أتت بشائر بالتهاني كالعيد   والسعد لباك زال كل تنكيد

وقد كانت هذه القصيدة هي بداية دخول المشرفي المعترك السياسي بالمغرب، وحصوله تدريجيا على حياة كريمة، وهو ما انعكس إيجابا على كتاباته خاصة ما تعلق منها بالأمير عبد القادر. فبدأت تميل شيئا فشيئا إلى الاعتدال والخلو من التهجم. وخلال هذه الفترة (**1873**-

[1]- العربي المشرفي، الذخيرة، ص: 57.

1895) جاءت كل كتاباته خالية من التهجم عكس المرحلة السابقة، وسنلحظ ذلك جليا في مواقفه تجاه الأمير عبد القادر، والتي اتسمت في أغلبها بتأييده والثناء عليه.

ففي ذخيرة الأواخر الذي أتمّ المشرفي تأليفه سنة 1299هـ/1882م، نجده يثني على الأمير عبد القادر الثناء الحسن، فذكّر بمقاومته وانتصاراته على المستدمر الفرنسي، ضمن نص طويل مما جاء فيه: "فتعلقت أهل العقد والحلّ بأذيال شيخ الوسيلة سيدي محي الدين بن مصطفى بن المختار القادري المختاري الحسني، واختاروه للإمامة لخوفه من ربه وصلاحه ودينه..فأخرج لهم ولده عبد القادر وهو يومئذ صغير وبايعه بخط يده، فتبعه العلماء وأعيان الرعية من الحشم وغيره، فجلس للإمارة وأعطاها حقها، فتح الأصداف وجمع الأصناف، وركب الأكتاف، ومنح الأعراف، ونجع الأكتاف، ومرى الخلاف، فلم يدرك من تولى الإمارة شأوه ولا قاربه أو حاذى حذوه، قام بالأمر واستبد به، وهجر اللذات وأحوال الصبا والتفنن في الشهوات، وجاهد وأحسن السيرة وأمسك، فكانت لديه أسيرة" [1].

ويذهب المشرفي إلى أبعد من ذلك في مدحه للأمير عبد القادر والثناء عليه إذ يقول: "ولما كانت نية الحاج عبد القادر خالصة في دينه وملّة نبيه، لم يعاقبه اللّه في الدنيا، فكانت معيشته ومعيشة أهله على يد عدوه وصديقه، وأسكنه اللّه الأرض المقدسة، فصار يمشي بأرض تردد فيها جبريله على كل نبي ورسول، فيالها من مشية بين قبور الأنبياء وأهل

[1]- العربي المشرفي، الذخيرة، ص ص: 39- 40.

الصلاح والأولياء، بعد أن جرد سيفه على الأعداء، وناضلهم مناضلة الصحابة الأشداء" [1].

ثم إن المشرفي اتخذ من التأييد والثناء على الأمير سُنّة له، حيث نجده يذكّر بانتصاراته على العدو قائلا: "وكنا نحضر معه في الجهاد، وما فارقه مؤلفه في ثمانين وقعة وتقهقر العدو، ومهما فارق البحر بمائة خطوة أو بأكثر إلا وتخطفته الناس وغنمت سلاحه ورجاله" [2].

وضمن نص آخر في ذخيرة الأواخر، رصد لنا المشرفي أطوار مقاومة الأمير عبد القادر، وتحركاته، وعوامل نجاحه في الكثير من المعارك، حيث يقول: "فمشاهد قتالهم أمام وهران عديدة، جاءهم فيها بجنود عريضة طويلة مديدة. وخيله كم لها من غارة على السواحل والثغور، فكانت تصهل عليهم في النجد والغور، وكم فرّق من جموع وأخلى لهم من أماكن وربوع. وسل عن تردده في الميدان بيجو وأحبار الرهبان، وسل عن تردده في الصفوف أودية سيك وشعاب خروف، وسل نصارى مستغانم وكم أخذ لهم من أسارى في الغنائم، وسل ثنية مزايا وما نال في قتالها من المزايا، وسل بسيط متيجة، وكم ظهرت لهم فيه من نتيجة، وسل وادي الزيتون، وكم سفك من دم في روضة الهتون، وسل جبال ازواوة الشوامخ والأطواد الرواسخ، عن دخوله على العدو فيها دخول النواسخ، وسل جبال أحواز الجزائر وشرشال، وكم نال العدو في بلاد جندل معه أتراج وأوجال، وسل مليانة وجبال بني امناصر وكم فلّ فيها من جيوش الفراعنة والقياصر،

---

[1]- نفسه، ص: 40.

[2]- العربي المشرفي، ديوان نظم، و112ظ.

وسل أحواز المدية والبغار وكم نال العدو فيها من الصغار، وسل مدائن الزاب وكل موضع تخربت فيه الأحزاب، فجل الوقائع له لا عليه، واللّه وليه وسائق النصر إليه..فسبب سنة الجهاد التي أحياها أحيا اللّه ذكره، وبتقديم والده المذكور وحاز خمد اللّه وشكره" [1].

كذلك نجده في موضع آخر يثني عليه قائلا: "فأبى اللّه إلا أن ينصر عبده ويهزم الأحزاب وحده، ويأويه إلى برصة والشام، فهاهو بمن معه في حرم القدس وفي جوار الأنبياء مطهرا من الرجس وحسد الإنس، مكرما عند الناس معظما بين الأجناس، ويذكر ويتذكر، ويتعرّف ولا يتنكر، يأمر ولا يتأمّر، ويحج ويعتمر، يشكر ربه ويستغفر ذنبه، نصب نفسه للعبادة، وجعل التقوى ذخيرته وزاده، يصلي الرغائب، والغيب يكشف عن العجائب، واللّه على أمره غالب، ويجمع بين الحاضر والغائب" [2].

كما رد المشرفي في مؤلف آخر على الغالي بن محمد العمراني الحسني اللجائي، الذي كان يتنطع على الأمير عبد القادر والمشرفي كان ينتصر له.

وبيْنَ يدي رسالة أرسلها المشرفي إلى أحد معاصريه بمنطقة تيارت، أشار فيها إلى زيارته للأمير عبد القادر في الشام خلال حجته الثانية سنة **1877**م كتب فيها يقول: "والحاج عبد القادر، لا زال بدمشق الشام، والأمراء تدخل عليه من كل باب من عند الأجناس، وعاد عليه جهاده بالنفع

---

[1] - العربي المشرفي، الذخيرة، ص ص: 40- 41.

[2] - العربي المشرفي، الذخيرة، ص: 45.

في الدنيا" [1].

خاتمة:

إنّ مواقف المشرفي من الأمير عبد القادر، تأرجحت بين المعارضة والتأييد، وكل جانب من هذه المواقف اتسمت به حالته النفسية والاجتماعية في فترات مديدة من حياته. فجلّ كتاباته التي عارض فيها الأمير عبد القادر معارضة كبيرة، كان أغلبها في الفترة التي امتدت من سنة **1843** إلى سنة **1873**، وهي الفترة التي عانى فيها من ضيق العيش والسجن وفقد المأوى. مُحمّلا مسؤولية ذلك كلّه للأمير عبد القادر، وسياسته في تدبير أمور الدولة التي أجبرت المشرفي وعائلته وعائلات كثيرة على الهجرة، والفرار من الواقع الذي فرضته هذه السياسة. وبحلول سنة **1873** واعتلاء السلطان الحسن الأول عرش المغرب، استطاع المشرفي أن يتقرب من السلطة الحاكمة، حيث عرف هذا الحدث منعطفا هاما في حياة المشرفي التي بدأت تتحسن تدريجيا من الحسن إلى الأحسن، وهو ما انعكس إيجابا في كتاباته ومواقفه تجاه الأمير عبد القادر.

---

[1] – عبد الحق شرف: "رسالة أخوية من العربي المشرفي إلى السيد عبد القادر بن حليمة نهاية العقد الثامن من القرن التاسع عشر"، المجلة الجزائرية للمخطوطات، مجلة علمية محكمة تصدر عن مخبر مخطوطات الحضارة الإسلامية في شمال إفريقيا، العدد الخامس، 2008.

المصادر والمراجع:

1. إسماعيل العربي، المقاومة الجزائرية تحت لواء الأمير عبد القادر، الجزائر: الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، **1982**.

2. أديب حرب، التاريخ العسكري والإداري للأمير عبد القادر الجزائري، ج**1**، الجزائر: دار الرائد للكتاب، ط**2**، **2004**.

3. أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج**7**، بيروت: دار الغرب الإسلامي، ط**1**، **1998**.

4. الألباني ناصر الدين، سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة وأثرها السيء على الأمة، الرياض: مكتبة المعارف، ط**1**، **1996**، ج**5**.

5. العربي المشرفي، ديوان نظم في من أيقظ للدين جفن الوسن مولانا الحسن، مخطوط بالخزانة الملكية بالرباط تحت رقم: **5310**.

6. العربي المشرفي، ذخيرة الأواخر والأول فيما يتضمن من أخبار الدول، مخطوط بالمكتبة الوطنية المغربية تحت رقم: **2956**.

7. شارل هنري تشرشل، حياة الأمير عبد القادر، ترجمة وتقديم أبو القاسم سعد الله، الجزائر: ديوان المطبوعات الجامعية، **2004**.

8. العربي المشرفي، طرس الأخبار بما جرى آخر الأربعين من القرن الثالث عشر للمسلمين مع الكفار وفي عتو الحاج عبد القادر وأهل دائرته الفجار، دراسة وتحقيق: يوسف أخليص، دبلوم الدراسات العليا في التاريخ، كلية الآداب ابن مسيك، جامعة الحسن الثاني الدار البيضاء المغرب، **1999- 2000**.

9. عبد الحق شرف، العربي بن علي بن عبد القادر المشرفي ت**1895** حياته وآثاره، الجزائر: المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية، ط**1**، **2011**.

10. عبد الحق شرف: "رسالة أخوية من العربي المشرفي إلى السيد عبد القادر بن حليمة نهاية العقد الثامن من القرن التاسع عشر"، المجلة الجزائرية للمخطوطات، مجلة علمية محكمة تصدر عن مخبر مخطوطات الحضارة الإسلامية في شمال إفريقيا، العدد الخامس، **2008**.

11. عبد القادر بن سودة، إتحاف المطالع بوفيات القرنين الثالث والرابع، ضمن موسوعة أعلام المغرب، ج**8**، تنسيق وتحقيق محمد حجي، بيروت: دار الغرب الإسلامي، ص: **2805**.

12. عادل نويهض، معجم أعلام الجزائر، بيروت: مؤسسة نويهض الثقافية، ط**3**، **1983**، ص: **303**.

13. محمد المنوني، المصادر العربية لتاريخ المغرب، ج**2**، الفترة المعاصرة **1730 – 1930**، الرباط: منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية، سلسلة الدراسات البيبليوغرافية رقم **01**، **1989**م.

14. محمد المنوني: "وثيقة عن المهاجرين التلمسانيين بفاس"، دعوة الحق، ع**2**، تصدر عن وزارة الأوقاف المغربية، السنة العاشرة، ديسمبر **1966**.

15. محمود الخالدي، البيعة في الفكر السياسي الإسلامي، الجزائر: شركة الشهاب، الأردن: مكتبة الرسالة الحديثة، ب ط، **1985**.

16. محمد بن الأمير، تحفة الزائر في تاريخ الجزائر والأمير عبد القادر، شرح وتعليق: ممدوح حقي، بيروت: دار اليقظة، ط**2**، **1964**م.

17. Henri Pérès: "**l'Algérie vue par deux voyageurs musulmans en 1877–1878**", R.A, N**76, 1935**.,

الأهمية الاستراتيجية و العسكرية لتاقدمت في مقاومة الأمير عبد القادر

1836 - 1841

د. بوشناف محمد ، جامعة سيدي بلعباس

ارتبطت الفترة ما بين سنتي **1832**- **1847** من تاريخ الجزائر الحديث بشخصية الأمير عبد القادر، ذلك لأنها شكلت أهم مرحلة من مراحل المقاومة الجزائرية ضد الاحتلال الفرنسي في شقها المسلح، والذي طبع القرن التاسع عشر من خلال العديد من المقاومات الشعبية التي قادها رجال الزوايا و الأعيان –الأرسطوقراطية الدينية أو التقليدية- ، ويبقى الأمير عبد القادر أبرزهم لأنه عمل على بناء دولة جزائرية حديثة تقوم على كل المؤسسات التي تبنى عليها الدول، من سياسية وإدارية وعسكرية و اقتصادية و اجتماعية و ثقافية. و من هذا المنطلق فإن تجربة الأمير عبد القادر تعتبر جديرة بالدراسة والاهتمام، وتبقى بحاجة إلى دراسات معمقة و مفصلة لكل جوانبها، إلا أن اهتمامنا في هذه الدراسة سيتركز على العاصمة الثانية لدولة الأمير، إنها تاقدمت، فماهي أسباب اختيارها لتكون عاصمة خلفا لمعسكر؟ وماهي مظاهر الحياة بها؟ وكيف كان زوالها بعد أربع سنوات فقط من تأسيسها؟

ما تجدر الإشارة إليه في بداية الأمر، أن الأمير عبد القادر اعتمد في حربه ضد الفرنسيين على استراتيجية عسكرية محكمة، هدف من خلالها إلى محاصرة الفرنسيين في المدن الساحلية التي وقعت في قبضتهم كوهران، مستغانم، الجزائر و عنابة، و من هناك إجبارهم على الرجوع من حيث جاؤوا، و بعبارة أخرى رميهم في البحر، إن هذه الاستراتيجية دفعته إلى وضع مجموعة من الخطوط الدفاعية أو الجبهات لعرقلة تقدم جيوش العدو نحو الداخل كالآتي: (AZAN. P. **1925**: **136** -**137**)

1- فرض حصار على المدن الساحلية المحتلة بالاعتماد على القبائل الموالية للأمير و المقيمة قرب هذه المناطق، أوكلت إليها مهمة محاصرة ومناوشة قوات العدو باللجوء إلى الهجومات الخاطفة و المباغتة، إلى جانب فرض نوع من الحصار الاقتصادي بمنع وصول المؤونة إليها انطلاقا من المدن الداخلية، حيث دعمها بكل ما تحتاج إليه في تنفيذ هذا الحصار، فشكلت بحق جبهة متقدمة في الاستراتيجية الحربية للأمير، ففي الغرب وجدت قبائل الغرابة، و في نواحي الجزائر قبائل حجوط، أما في الشرق فحاول كسب تأييد عدد من القبائل.

2- التركيز على المدن الداخلية الموازية للمدن الساحلية كتلمسان، معسكر، مليانة والمدية التي كانت خاضعة لسلطة الأمير ، إلى جانب محاولته ضم قسنطينة إلى هذا المخطط، وهي مدن ذات أهمية استراتيجية بالنسبة إليه و في نفس الوقت للفرنسيين الذين عملوا بدورهم للاستيلاء عليها.

أمام هذا الخطر المحدق بهذه المدن، وضع الأمير خطة مضمونها تهديمها إذا ما حاول المستعمر الاستيلاء عليها، حتى لا يتخذها مناطقا للاستقرار ومنطلقا للتوسع في داخل البلاد، غير أن مشروعه قوبل بالرفض من السكان، لاعتقادهم بأن ذلك لن يجدي نفعا باعتبار أن الفرنسيين سيعيدون بناء هذه المدن، وحتى وإن غادروها فإن إعادة بنائها سيكلف الجزائريين أموالا طائلة. (BELLEMARE.A. **1863**: **224**)

3- إقامة عدد من المراكز المحصنة جنوب المناطق التلية على مشارف الصحراء في مناطق محصنة طبيعيا، تكون بعيدة عن مراكز استقرار الاستعمار. بنيت هذه المراكز جنوب المدن الداخلية الخاضعة للأمير، فأقيمت سبدو جنوب تلمسان، سعيدة وتاقدمت جنوب معسكر وبوغار جنوب المدية.

لقد تأكد الأمير، خاصة بعد وصول الفرنسيين إلى تلمسان ومعسكر، بأنه من الخطر تركيز وجوده بوضع عتاده و مؤنه في المدن والمراكز القريبة من الساحل، وهذا ما جعله يقرر نقل خطوطه الدفاعية إلى أقصى جنوب المناطق التلية، حتى تكون في منأى عن خطر الهجومات الفرنسية، فاستغل فترة الهدنة التي أعقبت التوقيع على معاهدة التافنة وبدأ في تنفيذ هذا المشروع (BELLEMARE.A. **154**:**1863**).

عن أهمية هذا الخط يقول الأمير عبد القادر للجنرال دوماس "DAUMAS" " كنت متأكدا بأن الحرب ستندلع من جديد – بعد معاهدة التافنة- و حينها سأكون مضطرا لأسلم لكم المدن الواقعة على الخط الدفاعي في الوسط، و لكنه سيكون من الصعب عليكم التوغل نحو الصحراء، لأن وسائل النقل لدى جيشكم سوف لن تساعدكم على ذلك" (BELLEMARE.A. **1863**: **223**)، و هذا ما يؤكد عليه دوق أورليان حين يقول " يحتسب الأمير للضراء في أيام الرخاء والسراء، ويعمل على اتقائها بالاستفادة من دروس التجربة و عبرها، ويختار لنفسه خطا دفاعيا يقع على بعد أربعين فرسخا جنوب سلسلة الأطلس الأولى" (بورويبة، ر. **1984**: **125**).

أصبحت المدن التي أقيمت على تخوم الصحراء تشكل ملجأ للسكان الذين احتموا بها بعد احتلال فرنسا لتلمسان ومعسكر، وبالتالي شكلت حلقة وصل تربط الطرق التجارية بين الصحراء ومدن التل، كما مكنت الأمير من إحكام سيطرته على القبائل المتمردة عليه وحماية الموالية له من الهجومات الفرنسية. و من المؤكد أن الأمير استغل فرصة الهدنة التي وقعها مع الجنرال "بيجو BUGEAUD" بالتافنة في يوم **30** ماي **1837** لبناء و تقوية هذه التحصينات، لأنه في قرارة نفسه كان متأكدا بأن الفرنسيين سينقضون المعاهدة و حينها يهاجمون المدن الداخلية، مما سيضطره إلى

إخلائها و اللجوء إلى الصحراء، و هذا سيكلف الفرنسيين وقتا طويلا و مجهودا كبيرا للوصول إلى هذه الحصون و تهديمها.

إن من بين أهم هذه الحصون التي بناها الأمير على مشارف الصحراء كانت تاقدمت، وهذا ما دفعه إلى اتخاذها عاصمة ثانية لدولته بعد سقوط معسكر، و قاعدة يلجأ إليها عند الحاجة أو الخطر، وفي هذا الإطار يبين الأمير أهميتها الاستراتيجية والحربية للجنرال دوماس فيقول " كانت تاقدمت ستصبح مدينة كبيرة، و مركزا تجاريا يربط بين التل والصحراء، و هذا ما أعجب به العرب، فتوافدوا إليها للاستقرار بها بإرادتهم، لأنهم سيجنون فوائدا و أرباحا كثيرة من ذلك، وإضافة إلى ذلك، كانت شوكة وضعتها في أعين القبائل الصحراوية المستقلة، فلم يصبح بإمكانهم الفرار مني أو أن يسببوا لي أي إزعاج، خاصة لما تحكمت في لقمة عيشهم، فهم مضطرون إلى المجيء عندي للحصول على المؤونة لأن الصحراء لا تنتج الحبوب، لقد بنيت تاقدمت فوق رؤوسهم، ولما تفطنوا إلى ذلك سارعوا إلى إعلان خضوعهم وطاعتهم" (**224** :**1863** .(BELLEMARE.A

و لما سأل " أدي فرانس"، أسير الأمير، هذا الأخير عن أسباب اختيار تاقدمت لتكون عاصمته، أجابه قائلا " أريد تشييد هذه المدينة وجعلها أكبر و أكثر ازدهارا مما كانت عليه أيام أسلافي السلاطين. فإني واجد فيها، أولا حصنا آمنا يقيني من هجمات الفرنسيين، ثم إنه بعد أن أجمع قبائلي و استكمل لتاقدمت الجديدة عظمتها و جلالها، و أجعل منها معقلا منيعا، سأنطلق كالنسر من هذا العش ذي الجنبات الوعرة المنحدرة، و أنقض على المسحيين، فأطردهم من جميع المواقع التي استولوا عليها" (بوروبية، ر. **1984** : **125**).

يستخلص من القولين السابقين أنه كانت وراء بناء تاقدمت مجموعة من الأهداف نلخصها فيما يلي:

1- موقعها الاستراتيجي، فهي تقع على هضبة في أرض صعبة المسالك قرب جبال الأطلس الصحراوي، مما يمكنها من صد أي هجوم فرنسي ضدها، كما أنها تقع في موقع وسط، فحسب الكولونيل "اسكوت Scott" فإنها تقع على "مسافة ثمانية أيام من حدود المغرب الأقصى، ونحو ذلك من مدينة الجزائر" (اسكوت، ك. **1981**: **87**)، كما أن هذا الموقع كان في الأصل مدينة رومانية ثم إسلامية، حيث عرفت ازدهارا كبيرا، غير أنها أصبحت بعد ذلك خرابا بسبب الصراع الحفصي- المريني (دردار، ف. **2001**: **97**).

2- اتخاذها مركزا تجاريا للتبادل بين قبائل الصحراء ومدن التل، خاصة وأن المناطق الواقعة على تخوم الصحراء عرفت نشاطا تجاريا منذ القدم، وبالخصوص خلال الفترة الاسلامية مثل تيهرت وقلعة بني حماد وأشير.

3- اتخاذها كموقع يراقب من خلاله تحركات القبائل الصحراوية ليبقيها تحت سيطرته ويضم أراضيها إلى دولته، و في هذا الإطار تندرج حملته ضد عين ماضي، ففي يوم **12** جوان **1838** انطلقت من تاقدمت قوة عسكرية تتشكل من ستة آلاف فارس و ثلاثة آلاف جندي من المشاة متجهة إلى عين ماضي التي وصلتها بعد عشرة أيام من السير، وتمكنت في الأخير من إخضاع المنطقة لسلطة الأمير (العربي، إ. **1982**: **172**).

أما فيما يخص تاقدمت، فإن عملية بنائها انطلقت بعدما تمكن الجنرال " كلوزال CLAUZEL" من دخول معسكر و تهديمها في عام **1836**، مما اضطر الأمير إلى نقل عاصمته إلى مكان بعيد لا يمكن الفرنسيين من الاستيلاء عليها بسهولة. و كان أول ما بني بها ثلاثة حصون عسكرية على أنقاض بقايا مدينة رومانية " **633** : GEORGE.**1912**. YVER"، ثم أعقب ذلك بناء المرافق الأخرى كالمباني الحكومية، المساجد و المنازل، و لعل أهم ما بني كان الشارع الرئيسي للمدينة و الذي

خطط على النمط الأوربي (اسكوت، ك. **1981**: **87**)، وحسب " دي فرانس" فإن الأمير اعتمد في بنائها على الأسرى الذين كانوا في قبضته (BELLEMARE.A. **1863**: **155**).

يصف أحد الفرنسيين تاقدمت فيقول "موقع رائع و مدينة جديدة مبنية على عجل..فيها أكثر من ستمائة منزل، ودار كبيرة مربعة الشكل يتخذها الأمير حصنا له و فيها مخازن و سجن و دار لضرب السكة وورش من كل نوع، إنها عبارة عن مصنع كبير أقيم فوق واد جار..تلك هي تاقدمت" (ماسبيرو، ف. **2007**: **190**). و يرجع بعضهم اختيار الأمير لتاقدمت حتى تصبح عاصمته بعد معسكر- إلى جانب موقعها الاستراتيجي- إلى أنها كانت في السابق موطن أسلافه ومركزا حضاريا هاما(المزاري، ب.**1990**: **170**) :

و بدا له في نقل أهله دخـــــــــره لتاقدمت الغد أحل بها و استقر

لكـــونها كانت مسكنا لأسلافــه فصيرها دارا للتعش بها أجـــدر

وعاد بها الإيوان للخير والرضى و أنواره تلوح بالعز والنصـــــــــر

و أهل التلول و الصحاري بنصره تنادي جهارا رائمة نيل الوطـــــر

و عدد الخلفاء لضـــــبط أمـوره في سائر ملكه فحق له الـــوقـر

كما عـــــــدد الآغات ثم قيــاده و رتب ملكه ترتيب من انتصـر

وهكذا أصبحت تاقدمت عاصمة حقيقية تتوفر علي كل الضروريات وعوامل الاستقرار، و خاصة الأمن، و هذا ما جعلها محطة جلب للسكان الذين توافدوا عليها من كل الأنحاء، و كان على رأس من أقام بها الأمير وعائلته، و سكان من معسكر و مستغانم والمدية و مليانة و غيرها، كما نقل إليها الأمير جماعة من الكراغلة الذين كانوا يستقرون في المدن الخاضعة للفرنسيين، و هناك فرض عليهم حراسة و رقابة مشددة، خوفا

من غدرهم لأنهم كانوا يتعاملون مع العدو، كما كانوا يعملون على التخلص من حكمه مما دفعهم إلى الاستعانة بالملك المغربي في البداية ثم بالفرنسيين المتواجدين بوهران، وكان موقفهم هذا من أسباب فشل مقاومة الأمير (سعيدوني،ن.**2000**: **342**- **344**)، ففي مطلع عام **1838** أرسل الأمير أربعة وعشرين كرغليا من المدية إلى تاقدمت بعدما قضوا مدة ثمانية أشهر مسجونين في مليانة – لا نعلم سبب سجنهم- ، على أن يلحق بهم أسرهم فيما بعد (**111**- **110** : YVER .GEORGE.**1912**).

كما جلب إليها اليهود الذين أبعدهم عن معسكر و تلمسان، لأنه تخوف من أن يصبح هؤلاء عيونا ينقلون أخباره إلى فرنسا، كما سكن المدينة أعداد من الفارين من المؤسسات و الجيش الفرنسي، إلى جانب الخبراء الذين استقدمهم الأمير للاستفادة من خبرتهم خاصة في مجال الصناعات الحربية، ويضاف إلى هؤلاء جماعة من الأندلسيين و الأسرى (اسكوت، ك. **1981**: **87**- **88**).

وبهذا الشكل أصبحت المدينة تضم خليطا من الأجناس الذين قدر عددهم حسب إحصائيات **1840** بألفي ساكن، منهم ما بين **200** و **300** عائلة كرغلية، وعدد من العمال الفرنسيين وحوالي مائة أسير (برينيان،أ. **1984**: **265**)، أما سكوت فيذكر في مذكراته أن عددهم لم يتعد في أحسن الأحوال خمسة آلاف ساكن، منهم ما بين **200** و**300** يهودي (اسكوت، ك. **1981**: **88**).

ويضاف إلى السكان القاطنين في المدينة بصفة دائمة، أولئك المقيمين بصفة مؤقتة كالتجار و الحجاج الذين كانوا يمرون بها خلال توجههم إلى بلاد الحجاز، فكانت تاقدمت مركز عبور لأولئك المتوجهين إلى المشرق العربي، وما يؤكد هذا الرأي ما ذكره الكولونيل اسكوت، من أنه أثناء توجهه من المغرب الأقصى إلى تاقدمت رافقته جماعة من الحجاج الذين كانوا "سينزلون بتكدمت و من هناك يتوجهون إلى طرابلس للالتحاق

بالقافلة التي تتجه من هناك كل سنة إلى مكة" (اسكوت، ك. **1981**: **59**)، وقد استدعى هذا الوضع بناء عدد من الفنادق لاستقبال هؤلاء القادمين، إلى جانب عدد من المقاهي و المخازن و الإسطبلات، فوجدت بها مقهيان، تعود ملكية إحداها لرجل عربي، كان قد زار باريس رفقة ابن عراش (اسكوت، ك. **1981**: **89**)

كما أصبحت المدينة تتوفر على كل المؤسسات و الهياكل الحكومية، التي بنيت في أعلى هضبة تقع في شرق المدينة و أحيطت بأسوار مربعة الشكل (اسكوت، ك. **1981**: **89**)، و في داخل هذا السور وجد مصنع الأسلحة و قاعة المحكمة أين كان الأمير يباشر النظر في القضايا بنفسه.

أما فيما يخص النشاط الاقتصادي فقد وصفت تاقدمت في سنة **1839** بأنها كانت " مستودعا كبيرا للآلات المصدرة من باريس، يوجد بها دار لضرب النقود، وأكبر مستودع لدقيق الحديد والرصاص والنحاس و الفضة والقذائف، وذخائر من لقمح والشعير والسمن ومخزن للخيام...ويوجد فيها فضلا عن القلعتين مبنى عظيم لتأسيس مصنع للأسلحة باستعمال آلات ميكانيكية...ومطحنة مائية ومنازل للأشخاص" (برينيان، أ. **1984**: **266**).

يستنتج من هذا الوصف أن تاقدمت عرفت حركة اقتصادية واسعة، فإلى جانب مصنع الأسلحة، عمل الأمير على إنشاء مصنع للورق، غير أن المشاكل المتعددة وقلة رؤوس الأموال وقفت عائقا أمام مشروعه هذا، كما وجد بالمدينة معمل للنسيج كان ينتج أنواعا من الأقمشة ذات الجودة العالية (دردار، ف. **2001**: **98**).

غير أن أهم معمل أقامه الأمير بتاقدمت، كان ذلك المتخصص لإنتاج الأسلحة، و الغرض من إقامته توفير العتاد الحربي لجيشه حتى يواصل

الجهاد، وقد استغل الأمير فترة السلم مع فرنسا التي وفرتها له معاهدة التافنة لتطوير هذه الصناعة الاستراتيجية، فجلب المواد الأولية من بعض المناجم كمنجم الكبريت المتواجد قرب تاقدمت، كما استورد كميات من هذه المواد من المغرب الأقصى، قدرها " ليون روش ROCHES LEON" ب**160** قنطار من البارود و **4500** بندقية إنجليزية وأربعة مدافع من عيار رطل، و عدد كبير من الخيام، وكميات كبيرة من الكبريت والسيوف" (روش، ل. **1990**: **30**)، ويظهر أن الكميات المستوردة من الأسلحة والمواد الأولية كانت كبيرة ، ويرجع ذلك إلى أسباب عديدة منها سوء التخزين الذي تسبب في إتلاف نصيب هام منها، ففي إحدى المرات أتلفت الأمطار كميات من مادة البارود مما دفع الأمير إلى عقد إتفاق مع أحد الإنجليز ليحضر له خمسمائة قنطار منه عن طريق ميناء تيطوان المغربي.:**1912**.GEORGE. YVER)**50** (**6**

أحضر الأمير خبيرا فرنسيا من باريس يدعى " دوكاس DUCAS" أوكل إليه مهمة الإشراف على معمل الأسلحة و تعليم العرب فنون صناعة الأسلحة، ويظهر أن هذا المعمل توفر على آلات ميكانيكية يعتمد في تحريكها على قوة المياه، حيث يذكر اسكوت أنه – أي معمل الأسلحة- " بني قرب جدول يهبط من الجبل و يصب في نهر مينا، وكان هذا الجدول يزود كذلك تكدمت و الزمالة بحاجتها من الماء" (اسكوت، ك. **1981**: **88**).

أما فيما يخص إنتاج هذا المعمل، فحسب رواية اسكوت أن أقصى ما كان ينتجه هو ثماني بنادق يوميا (اسكوت، ك. **1981**: **89**)، غير أن الجاسوس الفرنسي ليون روش يوكد أن هذا المعمل و غيره لم يكن ينتج شيئا ذا أهمية، فيذكر أنه لما التقى بالأمير في تاقدمت في شهر أكتوبر **1839**، أعلمه بأن المصنع قد تم إنجازه، وحتى يوهم العدو، قام بوضع بعض القطع من السلاح مدعيا أنها من إنتاج المعمل (روش، ل. **1990**: **32**).

منح الأمير ليون روش ثقة مطلقة، حيث كلفه بمهمة تفتيش معامل الأسلحة المتواجدة في مختلف المدن، فأمضى المدة الممتدة ما بين شهري مارس و جوان من سنة **1839** في زيارة هذه المعامل، غير أنه كان يعمل سرا على تحطيمها بمساعدة الفرنسيين الهاربين و الذين كانوا يشرفون على تسييرها. و لعل أخطر ما قام به هؤلاء كان توقيف الإنتاج بمعمل تاقدمت مباشرة بعد قرار المجلس الأميري استئناف الجهاد كرد فعل على نقض فرنسا لمعاهدة التافنة (روش، ل. **1990**: **32**)، وهذا العمل جعل الكولونيل اسكوت يلاحظ أن معمل الأسلحة كان معطلا عند دخوله إلى المدينة، ولكنه أرجع ذلك إلى قيام الأمير بنقل كل عتاد المعمل، لما وصلته أخبار عن بداية الزحف الفرنسي نحو المدينة (اسكوت، ك. **1981**: **89**)، كما يؤكد " دوماس" في مراسلاته أن هذا المصنع توقف تماما عن الإنتاج، بعدما صرفت أموال طائلة في بنائه و دعمه بالآلات، وقد جعل ذلك الوضع العمال الفرنسيين يتعرضون لكل أنواع الإهانات و التهم بإفشال المشروع، حتى أن مسؤول المصنع قتل وهو يحاول الفرار، في حين أن السبب الحقيقي وراء توقف الإنتاج –حسبه- كان قلة الوسائل .YVER .GEORGE). **1219**:**454**(

كان طبيعيا أن تزدهر تاقدمت كعاصمة ثانية بعد معسكر، و ذلك بفضل السياسة الرشيدة للأمير، فأصبحت تحتل أهمية خاصة في استراتيجيته الحربية على المدى الطويل، كما أنها كانت ستشكل صعوبات للقوات الفرنسية التي ستضطر إلى نقل قواتها وعتادها إلى مسافة بعيدة عن الساحل، كما سبق ذكره، و يستخلص هذا من قول الأمير للجنرال " دوماس" " كنت متأكدا بأن الحرب ستندلع من جديد –أي بعد هدنة التافنة- ، و حينها سأكون مضطرا لأن أتخلى لكم عن كل المدن الموجودة على الخط الدفاعي الداخلي، ولكنه سيكون من الصعب

عليكم التوغل نحو الصحراء، لأن وسائل النقل المتوفرة لديكم سوف لن تساعدكم على ذلك" (BELLEMARE.A. **1863**: **223**).

غير أن هذا المخطط أثبت فشله، كما قال الأمير " غير أن المارشال بيجو أثبت لي خطأ تصوري، و لكنني ارتكزت في ذلك على تجارب سابقيه. ولكن لو أن العرب وافقوا على اقتراحي القاضي بتهديم كل من المدية و مليانة و معسكر وتلمسان كلية، و بعبارة أخرى الوسائل التي كانت ستمكنكم من التقدم أكثر ، كنتم ستواجهون صعوبات جمة وستفشلون من الوصول إلى خط دفاعي الرئيسي". وهكذا جلبت المدينة أنظار المستعمر إليها بعدما تخوف من أن تصبح مركز قوة في مقاومة الأمير، فقرر تحطيمها و إنهاء دورها، إن هذا المسعى ارتبط بشخصية الجنرال " بيجو " الذي عينه الملك " لويس فيليب L. PHILLIPE" حاكما عاما على الجزائر في **29** ديسمبر **1840** خلفا للجنرال " فالي VALLY"، فوضع مشروعا للقضاء على مقاومة الأمير عبد القادر يقوم على حرب الإبادة التي ترتكز على السلب والنهب والحرق والتقتيل الجماعي دون رحمة أو شفقة، إلى جانب ملاحقة الأمير في كل مكان. لقد ارتكزت استراتيجيته، خاصة في مقاطعتي وهران و الجزائر، على تحطيم كل مراكز القوة التي يمكن للأمير أن يتحصن بها، و خاصة تلك التي جمع فيها كل مؤنه و عتاده وجنوده.

ركز بيجو هدفه الأول على تهديم تاقدمت التي كان الأمير يتمركز بها مع جيشه، و لذلك انطلقت حملة عسكرية ضخمة يوم **18** ماي **1841**، حيث قسم الجيش إلى قسمين، قسم تحت قيادة " لاموريسيير LAMORICIERE"، و قسم آخر بقيادة الدوق " دي نيمور NEMOUR DE" بن لويس فيليب (العربي، إ. **1982**: **210**)، بينما احتفظ بيجو بالقيادة العامة، وكان هدفها محو تاقدمت من الوجود معتمدة في ذلك على ما وصلها من تقارير الجواسيس، و خاصة ليون روش الذي قدم معلومات قيمة

و دقيقة حول الأمير ودولته، ومنها تاقدمت، و هذا ما جعل بيجو يثني عليه كثيرا (روش، ل. **1990**: **40**). وما تجدر الإشارة إليه أن هذه الحملة لم تعترضها أي مقاومة حقيقية من قبل قوات الأمير، ما عدا بعض المناوشات من فرسانه الذين كانوا سرعان ما ينسحبون تاركين الطريق مفتوحا للفرنسيين حتى يواصلوا زحفهم نحو تاقدمت).:Quesnoy, F. **1888** (**176**

في يوم **15** ماي وصلت الأخبار إلى تاقدمت عن انطلاق قوات فرنسية من وهران، و بعدما تجمعت في مستغانم فهي تتوجه نحو المدينة، ولذلك صدر أمر بإخلائها بأقصى سرعة مع حمل كل ما يمكن حمله وإحراق ما بقي هناك حتى لا يستفيد منه الفرنسيون، وحول هذه الأحداث يقول الأمير " ولسبع و خمسين **1257**هـ/ **1841**جمع المارشال بيجو جموعه وقصد تاقدمت في ربيع الثاني فهدمناها وحرقناها قبل وصوله إليها" (عبد القادر، أ. ب ت، **110**)، أما سكانها فلجأوا إلى الصحراء حتى يتمكنوا من الاختباء عن أعين بيجو وجنوده.

و عند دخول الفرنسيين إلى المدينة في يوم **25** ماي **1841** وجدوها خالية، فلم يشاهدوا إلا الخراب وألسنة النيران المشتعلة، فدمروا ما تبقى من تحصيناتها، و من بينها ذلك السور الذي يحيط بها و البالغ سمكه مترا واحدا، إلى جانب معمل الأسلحة و دار السكة و المخازن وكل المرافق التي كانت لا تزال قائمة (العربي، إ. **1982**: **210**). لقد كان ذلك اليوم بحق منعرجا خطيرا في مقاومة الأمير للفرنسيين، ففي الوقت الذي كان بيجو يدمر ما بقي من تاقدمت، تمكنت قوات أخرى من الاستيلاء على بوغار و تحطيم حصون تازة).:Quesnoy, F. **1888** (**178**

يذكر أحد الذين شاركوا في الحملة على تاقدمت أن المدينة كانت خالية على عروشها لما دخلتها القوات الفرنسية، فكل شيء كان يحترق كالبيوت الخشبية، والمعامل تهدمت، والحصن تحطم، وما لاحظه، وجود جثتي كلب وقط موضوعتان قرب باب دار القاضي، وبينهما وجدت ورقة

كتب فيها العبارة التالية "هذا هو الوفد الذي قررنا تركه لاستقبالكم، القط لابن ملككم –أي" نيمور" الذي كان من بين المشاركين في الحملة- والكلب للحاكم" (ماسبيرو، ف. **2007**: **191**)، غير أننا نجد تفسيرا آخر لوجود الكلب و القط عند المزاري الذي يذكر أن ذلك كان "إشارة من العرب إلى أن دولة الأمير كالكلب مع القط متقابلتين للفتنة و توريث القحط" (المزاري، ب.**1990**: **183**) .

و لما غادر الجيش الفرنسي المدينة، عاد إليها سكانها في يوم **28** ماي، غير أنهم لم يجدوا شيئا سوى الدمار و الخراب، و يقدم لنا اسكوت صورة عن بشاعة ما ارتكبته فرنسا في حق المدينة، فكان مما استرعى انتباهه وجود جثث لعدد كبير من الكلاب التي قتلها الجيش، حيث قدر عددها بنحو خمسين كلبا، و يذكر أن الفرنسيين صبوا جام غضبهم عليها، لدرجة أنه أطلق على هذه الحملة " معركة الكلاب" (اسكوت، ك. **1981**: **101**)، ويؤكد هذا الوضع ما ذكره "مونتانياك"الذي شارك في الحملة بأنهم لم يجدوا داخل تاقدمت إلا بعض الكلاب والقطط التي التهمها الجنود احتفالا بنشوة النصر. لقد اعتبر كثير من الضباط الذين شاركوا في هذه الحملة أنها كانت انذارا للأمير بأن "قواتنا سوف تدركه أينما حل و ارتحل و أن جميع ما نعزم على هدمه سوف يهدم لا محالة" (ماسبيرو، ف. **2007**: **191**).

وخلاصة القول، أن عام **1841** يمثل تراجعا خطيرا في مقاومة الأمير عبد القادر، يبرز في سقوط خطوطه الدفاعية التي أقامها لمنع زحف الفرنسيين نحو الداخل، هؤلاء الذين تمكنوا في هذه السنة من تشكيل خط دفاعي من المدن التي سقطت في أيديهم، و رغم محاولات الأمير إعادة بناء تاقدمت إلا أنه فشل، وبقي يعتمد على عاصمته المتنقلة (الزمالة)، التي سقطت بدورها في يد الجنرال " دومال DAUMAL" عام **1843**.

قائمة المصادر و المراجع

أ) باللغة الأجنبية

- AZAN, PAUL.(**1925**). L'émir Abd-El-Kader (**1808-1883**), du fanatisme musulman au patriotisme français. Paris.

- Bellemare, Alex.(**1863**). Abdelkader sa vie politique et militaire. Librairie de L.Hachette ET Cie, PARIS.

- Quesnoy, F. (**1888**). L'armee d'Afriq

-Yver, George.(**1912**). Correspondance du capitaine Daumas, consul a Mascara (**1837-1839**). Typographie Adolphe Joudan, Paris.

ب) باللغة العربية

- أندري بريان (و آخرون). (**1984**). الجزائر بين الماضي و الحاضر (ترجمة اسطنبولي رابح و منصف عاشور). الجزائر: ديوان المطبوعات الجامعية.

- بوروبية رشيد. (**1984**). "تاقدمت عاصمة الأمير عبد القادر"، تعريب بن مهيدي حسن. الجزائر: مجلة الثقافة، العدد **82**.

- دردار فتحي. (**2001**). الأمير عبد القادر بطل المقاومة الجزائرية (**1832- 1847**). الجزائر.

- ماسبيرو فرانسوا. (**1990**)سانت آرنو أو الشرف الضائع (ترجمة مسعود حاج مسعود، مراجعة أحمد بكلي). الجزائر: دار القصبة للنشر.

- اسكوت (الكولونيل). (**1981**). مذكرات الكلونيل اسكوت عن إقامته في زمالة الأمير عبد القادر**1841** (ترجمة و تعليق العربي إسماعيل). الجزائر: الشركة الوطنية للنشر و التوزيع.

- سعيدوني ناصر الدين. (**2000**). ورقات جزائرية، الطبعة الأولى. بيروت: دار الغرب الاسلامي.

- روش ليون. (**1990**). مهمة ليون روش في الجزائر و المغرب **1832- 1847** (تحقيق مناصرية يوسف). الجزائر: المؤسسة الوطنية للكتاب.- عبد القادر (الأمير). (بدون تاريخ). مذكرات (سيرة ذاتية كيبها في السجن **1849**)، (تحقيق بناني محمد الصغير، سماتي محفوظ، الجونن محمد الصالح). الجزائر: دار الأمة.

- العربي إسماعيل. (**1982**). المقاومة الجزائرية تحت لواء الأمير عبد القادر، الطبعة الثانية. الجزائر، الشركة الوطنية للنشر و التوزيع.

النظام العقابي في دولة الأمير عبد القادر (1832- 1847)

د.خالد بوهند،
جامعة سيدي بلعباس

- مقدمة

كثرت وتعددت الأبحاث والدراسات التي تناولت شخصية الأمير عبد القادر الدينية والعلمية، والجهادية، حتى كادت أن تُستنفذ، ولم يتبقى منها- حسب اعتقادنا- سوى الجوانب المتعلقة بالمواقف الإنسانية لهذا الرجل الفذ، من هنا يأتي مقالنا لكي يسلط الضوء على "النظام العقابي" الذي استحدثه الأمير وعمل به طيلة فترة حكمه ما بين **1832** و **1847**، وهو المستمد في الأساس من الشريعة الإسلامية السمحة.

لقد ارتبط النظام العقابي في دولة الأمير عبد القادر بثلاث أجهزة : قضاء إسلامي عادل ونزيه،شرطة قوية، وإدارة منظمة، يمثلها خلفاء الأقاليم، بمساعدة الآغاوات والقياد والشيوخ أو الحكام. من الجدير بالذكر أن هذا النظام الذي سنتحدث عنه بعد قليل، مورس فيظرف غير عادي، متمثلا في بداية الاحتلال الفرنسي من جهة، والحرب التي خاضها الأمير ضد الجيش الفرنسي الغازي لبلاده من جهة ثانية ، وعلى هذا الأساس طرحت أمامنا اشكاليات منها: هل النظام العقابي المستحدث في دولة الأمير عبد القادر كان خاصا بالمدنيين أو العسكريين؟ هل كان العقاب عادلا ؟ وهل كان ناجعا وفعالا؟

للإجابة على هذه الإشكاليات،كان علينا تقسيم هذا المقال إلى عنصرين بارزين:عنصر نتطرق فيه أولا إلى المؤسسات المدنية في دولة الأمير، وكيف طُبق العقاب على القضايا المدنية بالاستناد طبعا إلى الأحكام الصادرة عن القضاء الإسلامي ؟، أما العنصر الثاني فسنركز فيه على قوانين الجيش المرتبطة بالمخالفات والعقوبات، ومعاملات الأمير

الإنسانية لأسرى الحرب، التي أشاد بها الأعداء قبل الأصدقاء، والتي كانت بمثابة مثال يحتذا به.

1- النظام العقابي في شقه المدني:

عندما بويع عبد القادر أميرا للبلاد سنة **1832**، من طرف سكان مدينة معسكر وضواحيها، وسكان غريس الشرقية والغربية، وجيرانهم وحلفائهم من قبائل بني شقران، والبرجية، وبني عباس، واليعقوبية، وبني عامر، وبني مجاهر [1]، والحشم التي ينتمي إليها الأمير، وغيرها من القبائل، شرع في بناء دولته، حيث أورد الأمير في مذكراته أن : «أول شيء ابتدأ به النظر في أمر القضاة وأخبار العدل لها في كل موطن، والسؤال عن المؤتمنين(كذا) في كل قبيل، ليعينهم لسعاية، وجباية أموال الصدقات، من مواشي وغيرها، بعد أن ولى كبير وفد على قبيلته...» [2].

استنادا إلى هذا القول ، وخلال الفترة الممتدة بين **1832- 1837**، ضم الأمير أربعة أقاليم وهي: إقليم معسكر،تلمسان،مليانة، والمدية، عين على رأس كل إقليم خليفة، وبعد معاهدة "التافنة" سنة **1837**، استطاع الأمير أن يضم أقاليم جديدة لدولته وهي :إقليم برج حمزة، مجانة، الأغواط، وبسكرة، ليصبح العدد ثمانية أقاليم بدلا من أربعة .

1- Charles Henry Churchill , La vie d'Abdelkader . (Tradition : Michel Habart) .ENAL, Alger, 1991, P.68.

2- عبد القادر الأمير ، مذكرات الأمير عبد القادر . (تحقيق : محمد الصغير غانم وآخرون) .شركة دار الأمة للطباعة والنشر والتوزيع ، الجزائر ، 2010 ، ص.143.

من جانب آخر كان كل إقليم من الأقاليم الثمانية المذكورة مقسما إلى عدة نواحي، على رأس كل ناحية أغا ، وكل ناحية مقسمة إلى قبائل، يرأس كل منها قائد ، وكل قبيلة مقسمة إلى فرق، على رأس كل فرقة شيخ، وقد منح الأمير سلطات واسعة للخليفة، مثل جمع الضرائب وإقامة الحدود وإجراء القضاء بين الناس، وتوفير الأمن ومحاربة العدو [1].

وإذا كان الخليفة هو الذي يُعين القايد على القبيلة بمشورة الأمير، فإن هذا الأخير كان يشرف على تعيين حكام مدن الأقاليم بنفسه، حيث تتم مراسيم التعيين بمحضر القاضي، الذي يقسمون أمامه اليمين القانونية، وكل شكوى ضد حاكم المدينة تقدم إلى الأمير عن طريق الخليفة أو تعرض عليه مباشرة أثناء الجلسات التي يعقدها للفصل في القضايا، وتستمر حتى الثالثة بعد الظهر، ويقوم الأمير بنفسه بالنظر في العرائض والقضايا، ومتى كانت الشكوى تقوم على أساس كان الحكم بشأنها سريعا في صالح المُتظلم، ولكنه إذا كانت الشكوى مفتعلة فإن عقابا ينزل بصاحبها [2].

---

[1]- أبو القاسم سعد الله ، الحركة الوطنية الجزائرية . ج1ق1.المؤسسة الوطنية للكتاب ، الجزائر ، 1992 ، ص.211.

2- الكلونيلاسكوت ، مذكرات الكلونيلاسكوت عن إقامته في زمالة الأمير عبد القادر 1841 . (ترجمة : اسماعيل العربي) . الشركة الوطنية للنشر والتوزيع ، الجزائر ، 1981 ، ص.ص.113- 114.

نستشف ذلك من شهادة أحد الضباط الأجانب ، الذي ذكر بأن مدينة "تاقدامت" كان يوجد بها مباني حكومية ، من ذلك قاعة المحكمة حيث يجلس الأمير نفسه للفصل في القضايا بين المتخاصمين ويقضي بالعدل [1].

وذكر آخر أن الأمير استحدث جهاز قضائي، لتدعيم التنظيمات المذكورة وهذا من خلال تعيين قضاة مدنيين وعسكريين، الذين أوكلت لهم مهام مقابل التعويضات والرواتب. حرص الأمير على أن يكون تواجد رجال العدالة ظاهرا للعيان، حتى بالنسبة للقضاة العسكريين المصاحبين لجيش الأمير في مهامه العسكرية أو الحربية، كما حرص الأمير على منع الحكم بالإعدام إلا إذا ارتبط ذلك بالشريعة الإسلامية.

في هذا الصدد كان الأمير لا يقدم على استصدار الحكم وتنفيذه إلا بعد استشارة العلماء والفقهاء، حتى وإن كان ذلك خارج القطر الجزائري. ففي سنة **1836** راسل الأمير علماء فاس، يسألهم عن حكم الشرع في المسلمين الذين يقفون إلى جانب الغزاة الفرنسيين "الكفرة"، ويساعدونهم، بل ويمدونهم بمعلومات بالغة الأهمية عن قوات بني جلدتهم : « فما حكم الله في الفريقين في أنفسهم وأموالهم فهل لهم من عقاب أم يتركون على حالهم، وما الحكم فيمن يتخلف عن المدافعة عن الحريم والأولاد إذا استنفره نائب الإمام للدفاع والجلاد فهل يعاقبون، وكيف عقابهم ولا يتأتى بغير قتالهم

[1]- نفس المصدر ، ص88.

وهل تؤخذ أموالهم وأسلابهم كيف العمل فيمن يمنع الزكاة أو يمنع بعضها من التحقق بعمارة ذمته في الحال...» [1].

من الجدير بالذكر أن هذا النظام العقابي في دولة الأمير، كانت تتداخل فيه المهام المدنية والعسكرية وهو ما يطلق عليه باسم تداخل السلطات (الجهاز القضائي لم يكن مستقلا تماما)، لأننا يجب أن نأخذ بعين الاعتبار أن الجزائر خلال هذه المرحلة كانت في حالة حرب مع فرنسا.

صرح الأمير في إحدى المناسبات(حوالي **1838- 1839**) :«كانت أرتال جيشي كلما تحركت إلا ويصطحبها قاضي ومعاونين له واحد منهما هو رئيس الشرطة الذي توكل له مهمة تنفيذ الأحكام الصادرة طبقا للقانون المعمول به. وكثير من الناس من شملهم عقابي الشخصي ولكن ذلك لم يخرج عن نطاق الحكم العادل، فجميعهم إما ارتكبوا بعض الجرائم أو خرجوا عن الملة والدين، وطبقا لقوانيننا كل من يقدم مساعدة مالية للعدو فإنه لا يستحق أن يكون بيننا ، وكل من يقدم للعدو دعما بسلاحه يكون جزاؤه قطع الرأس» [2].

يضيف الأمير في نفس السياق :«بفضل يقظة خلفائي وآغاواتي وقيادي، بفضل تحميلي القبائل مسؤولية ارتكاب جرائم وسرقة في مناطقهم أضحت الطرق آمنة، ليضاف إلى ذلك مجهودات الشرطة التي لم تفوت أي فرصة لأعمال من هذا القبيل. وأمام شعب يعيش في الخيام، بمعنى يصعب

---

[1]- أبي العباس السلاوي، الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى ج3. دار الكتب العلمية ،بيروت، 2007، ص.ص.299- 300.

[2]-Churchill, op.cit,P.168.

التحكم فيه ومراقبته، بحكم توزعه في مجال جغرافي مترامي الأطراف، تمكنت من إنهاء السرقات الليلية للأحصنة، وامرأة بإمكانها السفر بمفردها دون أن يعترض سبيلها أحد» [1].

مع ذلك يعترف الأمير بخطئه الذي ارتكبه في حق الشيخ محمد الصغير التيجاني، هذا الأخير رفض الطاعة للحاج العربي بن الحاج عيسى، الذي عينه الأمير خليفة له على إقليم الأغواط، واعتصم التيجاني بعين ماضي هو وأتباعه الذين بلغ عددهم حوالي **600** رجل، وينتمون كلهم إلى بني الأغواط الغرابة، وجاهروا بالعداء، وصمموا على المقاومة. وعندما علم الأمير بالخبر، قرر مواجهتهم بسرعة قبل أن يستفحل أمرهم، ويقتدي بهم الغير. فجهز **6000** فارس، و**3000** راجل، وستة مدافع هاون، وثلاثة مدافع ميدان، وقادهم بنفسه في جوان **1838**،ففرض حصارا على القصر المحصن، الذي تخندق فيه الشيخ التيجاني ورجاله، دام **6** أشهر تقريبا، استنفذ التيجاني ما عنده من المؤن، بينما تلقى الأمير دعما من الفرنسيين يتمثل في ثلاثة مدافع مما جعل كفة الحرب تميل إليه.ولذلك طلب الشيخ التيجاني المفاوضة لإخلاء الحصن. وبعد امضاء الشيخ التيجاني على شروط المنتصرين، انسحب بأتباعه إلى قبائل الأغواط الغرابة .

لقد ظهرت بعض الوثائق التي تتحدث عن الخلفيات التي أدت إلى ذلك الصدام، والتي جعلت الأمير يكتب رسالة اعتذار إلى الشيخ التيجاني، ويطلب منه العفو عما بدر منه وذلك بعد أقل من ثلاثة أشهر من حوادث عين ماضي . ويبدو أن الشيخ التيجاني كتب إلى الأمير بعد مغادرته الحصن ،

[1]-Ibid,P.169.

وشرح له الأوضاع، فاكتشف وتأكد أن سعي "الشياطين والمنافقين" بينهما هو السبب فيما حدث، وأجاب الشيخ التيجاني بقوله : « لقد وصلني جوابك الذي لا اماء(كذا) وبعد أن عجزت عن الولوج داخل حصنكم، وبعد أن أدركت حقيقتكم، وعلمت أن ما دار بيننا إنما هو وشاية فقط، وتدخل الفتانين بيننا، ولهذا فإنني أرجو عفوكم عنا. وهذه هدية متواضعة تصلكم مع ابنكم أحمد عساها تجدد الروابط الأخوية بيننا » [1].

2- النظام العقابي في شقه العسكري :

قبل التطرق للشق العسكري بالنسبة للنظام العقابي في دولة الأمير عبد القادر ارتأينا أن نقسم هذا العنصر إلى فرعين سيكون الأول حول :

2- 1- القانون الداخلي لجيش الأمير

لقد وضع الأمير قوانين خاصة بالجيش لتنظيمه، لكي يضمن الانضباط والطاعة، حيث تذكر حدأأأحد المصادر التاريخية أن ذلك بدأ بعد رجوع الأمير من "واقعة [2]الدواير" [3]، ومن ضمن المواد المتعلقة بموضوعنا(ونعني بذلك القوانين العقابية) :

1- مصطفى بن التهامي، سيرة الأمير عبد القادر وجهاده، تحقيق: يحي بوعزيز، دار البصائر للنشر والتوزيع، الجزائر ، 2009 ، ص.ص.331- 335.

1- نسبة إلى قبيلة الدواير المتحالفة مع قبيلة الزمالة وهما القريبتان من وهران ، كان على رأسها الشيخ العجوز "مصطفى بن اسماعيل" ، أما "واقعة الدواير" فيقصد بها المعركة التي خاضها الأمير ضد القبيلتين (الدواير والزمالة) لإخضاعهما حوالي سنة 1834/1835.

2- محمد بن عبد القادر الجزائري ، تحفة الزائر في تاريخ الجزائر والأمير عبد القادر .(شرح وتعليق: ممدوح حقي) . ج1.منشورات ثالة ، الجزائر ، 2007 ، ص.227.

- أوجب الأمير على رئيس الجيش وهو "الآغا" أن يتفقد عدد الجند وكسوته وجميع آلات الحرب في كل يوم سبت، وإن تخلف عن ذلك لغير عذر ظاهر يحبس عشرين يوما.

- وأوجب عليه(أي الآغا) أن لا يأخذ من الجندي ولا من السياف [1]ولا من كبير الصف ولا غيرهم "محمدية" [2]واحدة، وأن لا يغش في شيء من الخدمة وإن ثبت عليه شيء من ذلك فإن اسمه يمحى من الديوان العسكري ويطرد ويهان.

- وأوجب الأمير على السياف أن يتفقد ما تحت يده من الجند في كل يوم اثنين وخميس، فإن تخلف عن ذلك لغير عذر ظاهر فإنه يحبس عشرة أيام، وإن وجد في سلاحه فساد لم يصلحه فإنه يحبس خمسة أيام.

- وأوجب عليه(أي السياف) أن لا يظلم أحدا من الجند، وأن لا يأخذ منهم شيئا، وأن لا يغش في الخدمة، و لا يسرق، فإن فعل شيئا من ذلك وثبت عليه فإنه يحبس ستين يوما.

- وأوجب على رئيس الصف [3] أن يتفقد ما تحت حكمه من العسكر كل يوم صباحا ومساء، وذلك أن يصفَهم، ويقف الكاتب معه والدفتر في يده، فيسمي أفراد العسكر واحدا واحدا، وكل من ذكر اسمه يجيب، فان ذكر اسما ولم يجبه أحد يعلم أن المسمى غائب، فحينئذ ينظر في أمره، فان كانت غيبته لعذر مقبول فلا بأس عليه، وإلا فإنه

---

[1]. - سياف الخيالة : تحت تصرفه خمسون خيالا (فارسا)

[2] - المحمدية : نسبة لمحمد(ص) ، وهي قطعة نقدية من نحاس ، تم ضربها بتاقدامت سنة 1840

[3] - رئيس الصف : تحت تصرفه عشرون خيالا .

يطلب ثم يحبس يوما وليلة، ومن رفض الخروج للتعليم فانه يحبس يوما وليلة، وإن تخلف السياف والكاتب أو كل منهما عن الحضور للتعليم فإنهما يحبسان ستة أيام.

- وأوجب على عموم الجند طاعة عموم رؤسائهم، فمن عصى رئيسه في شيء فإنه يحبس خمسة عشر يوما، ومن سمع الطنبور(الطبل) ليتعلم الحرب ولم يجب فانه يحبس يومين، ومن سمع الطنبور يدعو إلى الخروج إلى القتال ولم يخرج فإنه يحبس شهرا، ومن خرج للتعليم أو القتال في غير الكسوة الأميرية(أي النظامية) فإنه يحبس يوما وليلة، وكذلك الآغا والسياف ورئيس الصف،ومن ترك الوسخ على سلاحه أو كسوته فإنه يحبس ثلاثة أيام، ومن أتلف شيئا من سلاحه أو أفسده في غير يوم الحرب أو تعليمه فإنه يضمن قيمته كما تقدم في المسائل، ومن هرب من الخدمة العسكرية ورجع باختياره، فإنه يحبس على قدر الأيام التي غاب فيها، ومن هرب وقبض عليه بأمر الأمير، فإنه يحبس على حسب اجتهاد الأمير، ومن أطلق طلقة واحدة من "بارودته" ليلا أو نهارا لغير مصلحة فإنه يحبس يوما وليلة، وإذا نام العسكري أثناء الحراسة، فإنه يحبس ثمان أيام، وإذا باع العسكري شيئا من البارود، وثبت عليه ذلك فإنه يحبس شهرا، وإذا كان العسكري المذنب مسافرا، فإنه يضرب بالسوط على قدر الأيام التي يحبس فيها قانونا، وجميع ما يلزم رئيس "العسكر المحمدي"(المشاة) يلزم رئيس الخيالة، وكل ما يلزم سياف العسكر(المشاة) يلزم سياف الخيالة، وإن ركب الخيال فرسه من دون موجب(إيعاز) فإنه يحبس يوما وليلة، وما يجري على العسكر(المشاة) يلزم سائر الطوبجية [1] ويجري عليهم، وما

1- الطوبجية : كلمة تركية ، وتعني المدفعيون ، ويقال لرئيسهم "باش طوبجي".

يجري على السيافين يجري على باشطوبجي، وإن عمل أحد رؤساء العسكر أو الخيالة أوالطوبجية ما يستوجب العزل فانه ينحط عن رتبته إلى رتبة عسكري ويلبس لباسه، وكسوة الجوخ ترجع إلى بيت المال [1].

2- 2- <u>أسرى الحرب</u> :

كيف تعامل الأمير"عبد القادر" مع أسراه سواء من الطرف الفرنسي أو من طرف القبائل الرافضة

الدخول في طاعته؟ ذكر ضابط عسكري من أصل دانمركي ممن شاركوا في الحملة الفرنسية على الجزائر(**1837- 1839**)، أن الأمير جمع القبائل التي بقيت على ولائها له، وأقام معسكره على نهر سيق،وكان المتوقع أن يقوم أولا بمهاجمة "مصطفى بن إسماعيل" رئيس قبيلتي الدواير والزمالة، ولكنه اتجه فجأة نحو الشرق وهاجم قبيلة البرجية ودحرها دحرا تاما، واستولى على منطقة البرج الكبيرة، وتمكن بعد أيام قليلة من إخضاع هذه المنطقة بكاملها، وبعد أن انتهى من ذلك هاجم غريمه "مصطفى بن إسماعيل"، حيث التقى معه في وادي الزيتون على مقربة من تلمسان فهزمه فطلب "ابن إسماعيل" [2] العفو من الأمير الذي عفا عنه

2- قدور بن رويلة ، وشاح الكتائب وزينة الجيش المحمدي الغالب . (تحقيق : محمد بن عبد الكريم) .الشركة الوطنية للنشر والتوزيع ، الجزائر ، 1968 ، ص.ص.68- 71. وأيضا : محمد بن عبد القادر الجزائري ، المصدر السابق ، ص.ص.245- 247.

[2]- التحق "مصطفى بن اسماعيل" بالأتراك المحصنين في قلعة المشور بمدينة تلمسان، وأصبح رئيسهم.

بشهامة، وشمل عفو الأمير جميع المتمردين بدون تمييز، ولم يطلب منهم غير الوعد بالطاعة والولاء له [1].

أما فيما يخص قضية الأسرى الأجانب(من الجيش الفرنسي)، ذكر ضابط آخر أنه كان يوجد في الفترة التي قضاها هذا الأخير في زمالة الأمير (**1841**)، ثمانين أسيرا من الضباط وضباط الصف والجنود في تلمسان، على أن معسكرات الأسرى الكبيرة تقع في "تاقدامت" و"تازة"، وقد وجد من بين الأسرى عدد من الأسبان الذين كانوا يعملون في الفرقة الأجنبية كما وجد خمسة أسرى مالطيين .

والطريقة التي يعامل بها الأسرى في أراضي الأمير عبد القادر تثبت زيف التقارير التي تزعم بأنهم لا يلقون أية عناية أو رعاية من العرب [2]، وقد كان الأمير نفسه قدوة في المعاملة الإنسانية للأسرى فلما تلقى الأمير سنة **1841** رسالة من أسقف الجزائر "ديبيش" [3]يطلب فيها هذا الأخير تحرير

2- أ.ف.دينيزن ، الأمير عبد القادر والعلاقات الفرنسية العربية في الجزائر . (ترجمة : أبو العيد دودو). دار هومة للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، 2003، ص.ص. 54- 55.

[2]- الكلونيل اسكوت ، المصدر السابق ، ص.68.

2- عندما كان الأمير "عبد القادر" سجينا في قصر "هنري الرابع" بمدينة "بو" بفرنسا زاره "أنطوان ديبيش" أسقف الجزائر(السابق) أواخر صائفة 1848 ، بحكم العلاقة التي ربطت الرجلين في الجزائر بسبب قضية الأسرى كما ذكرنا ، وقد دار بينهما حوار ديني ينم عن التسامح والاحترام الذي كان يكنهما الأمير للأديان السماوية الأخرى . للمزيد من الاطلاع يمكن الرجوع الى مقال :

-Ahmed Bouyerdene ,« L'Emir Abdel-Kader à Pau : Exemples d'un dialogue religieux au 19e siècle » . StudiaIslamica , nouvelle édition/new série 2, 2011, P.P.125-154.

أسير فرنسي وهو المعتمد العسكري "ماسو"، أجابه الأمير: «كان ينبغي عليك كخادم لله وصديق للعباد أن تطلب مني تحرير كل المسيحيين الأسرى وليس أسيرا واحدا فقط».

كما طلب الأمير من أسقف الجزائر فيما بعد تعيين رجل دين كاثوليكي للصلاة مع الأسرى الفرنسيين، والسهر على مصالحهم المعنوية، كما حرر الأمير في ما بعد هؤلاء الأسرى بصفة أحادية عندما تعذر عليه إطعامهم بما يطعم جيوشه. ويروي العقيد الفرنسي "قاري" بأن أحد الجنود الفرنسيين أصاب الأمير بثلاث جراح قبل أن يصاب هو بدوره بجراح يمكن إقرارها [1].

- خاتمة

إن هذا النظام العقابي الذي سارت عليه الجزائر في عهد الأمير"عبد القادر"، كان بحق نظام فريد من نوعه، ولكنه لم يخرج عن إطار الشريعة الإسلامية السمحة، التي تدعو إلى الرأفة والتسامح في حالات، والعقاب الصارم عندما لا يجدي التسامح نفعا في حالات أخرى، ولقد ثَبُتت نجاعته، يكفي القول أن حالات الفوضى واللاأمن التي سادت الجزائر بعد انسحاب الأتراك منها قد زالت إلى حد كبير، فأضحت المرأة تسافر من مكان إلى آخر دون أن يعترض سبيلها أحد، وامتلكت الجزائر في هذه الفترة جيشا منظما، ومؤسسات "لها مصداقيتها" في منظور الجزائريين، بفضل سيادة العدالة والقانون الذي يسري على الجميع، ويكفي القول أيضا أن الفرنسيين أنفسهم اعترفوا بدولة الأمير، وأشاد غيرهم بخصال

---

[1]- ادريس الجزائري ، نفس المحاضرة .

الأمير، لا سيما الطريقة التي كان يعامل بها أسراه المسيحيين، كيف لا وأن ميثاق **1843** حول الأسرى في الجزائر، سبق اتفاقية "جنيف" حول حقوق الإنسان التي أُعلن عنها سنة **1864**.

وفي رأينا أن فكرة التسامح الديني أو الحوار الديني قد تبلورت لدى الأمير "عبد القادر"، وتجسدت في الواقع بعد **1847**، عندما أضحى سجين قصر "هنري الرابع" بمدينة "بو" الفرنسية (**1848**)، أين زاره سكانها ولا سيما بعض الشخصيات المسيحية على غرار "شارل أينار" (مسيحي بروتستانتي)، وبالخصوص "أنطوان ديبيش" (أسقف الجزائر الكاثوليكي)، أين كان يجري الحوار، واكتمل نضج الأمير، عند إقامته في دمشق، بعد إخلاء سبيله من قصر "أمبواز" (**1848- 1852**)، حيث أنقذ آلاف الرعايا المسيحيين، كان مسلمو المدينة المذكورة على وشك البطش بهم، بعد أن قتلوا عددا كبيرا منهم من قبل.

إن ذلك يمكن تفسيره- حسب رأينا دائما- على أساس تربية الأمير الدينية أو الروحية، وأنه استلم الحكم وهو لا يزال شابا (**24** سنة)، وكان عليه بناء دولة تتماشى مع متطلبات العصر الذي عاش فيه، ومحاربة جيش يتفوق عليه عدة وعتادا قرابة سبعة عشر سنة، لقد تجرع من كأس الغدر والخيانة ومن هول الحرب الطويلة والشاقة، وعلى هذا الأساس صرح في إحدى المناسبات أنه ينوي استكمال ما بقي له من حياة في التعلم والعبادة.

رسائل الأمير عبد القادر المحفوظة في الأرشيف التونسي

براهمة بلوزاع،

جامعة معسكر

يعتبر الأمير عبد القادر رمزا من الرموز البارزة في التاريخ الوطني الجزائري، ولن ينتهي البحث في تاريخه وآثاره لغناه وتنوعه وتوزعه على أصقاع الأرض. وقد عزمنا على المساهمة في نشر آثار هذا الرجل العظيم من خلال مراسلاته المحفوظة في الأرشيف التونسي.

اكتشاف هذه الرسائل ليس جديدا فقد ذكرها أستاذي عبد الجليل التميمي في المجلة التاريخية المغربية سنة **1978**، واستعمل بعضها أستاذي المرحوم يحيى بوعزيز خاصة في أبحاثه حول ثورة المقراني والحداد، وإذ ننشرها اليوم لأن أغلبها لم يستغل من قبل حسب علمنا رغم أنها تبرز البعض من الجانب الإنساني في شخصية الأمير.

هذه الرسائل هي جزء من ملف يتعلق بمراسلات المير عبد القادر، وفضلنا نشر تلك التي تحمل توقيع الأمير نفسه رغم أن الملف به بعض مراسلات قادة دولته أو البعض من أبنائه.

اخترنا تقديم هذه الرسائل بحسب تسلسلها الزمني بغض النظر عن موضوعها والمرسل إليه، ثم ألحقنا البحث بصور طبق الأصل من هذه الرسائل وبنفس الترتيب حتى تعم الفائدة على الجميع.

1. رسالة من الأمير عبد القادر إلى المشير الأول أحمد باشا باي (**1837**- **1855**)،بتاريخ نهاية جمادى الثانية عام **1260**هـ /جويلية **1844**م يشكره على عطائه.

2.رسالة من الأمير عبد القادر إلى علي بن سالم يحثه على الجهاد بتاريخ **02** ربيع الثاني **1263**هـ /مارس **1847**م.

3.رسالة من الأمير عبد القادر إلى السيد محمد الحسناوي في نفس المعنى بتاريخ **06** ربيع الثاني **1263**هـ /مارس **1847**.

4.رسالة من الأمير عبد القادر إلى محمد بن حسن باي يعلمه بإرسال وفد للتهنئة " وعقد المحبة بيننا وبينكم وحسن الجوار معكم..." بتاريخ **01** جمادى الثانية **1266**هـ/ أفريل **1850**م.

5.رسالة من الأمير عبد القادر إلى مصطفى خزندار يذكر فيها " ...أن قرابة من جهة الأم هاجروا إلى تونس وهم من الأشراف الفقراء فنطلب من سيادتكم أن تشملهم رحمتكم وعنايتكم وتنظرون لهم أرضا يتعيشون بزراعتها ويستقرون بها كساير الرعايا ولكم الأجر والشكر..." مؤرخة في سلخ رجب **1273**هـ / مارس **1857**م.

6.رسالة من الأمير عبد القادر إلى مصطفى خزندار يرجو فيها أن يشمل بعطفه جماعة من قرابته من جهة الأم هاجروا إلى تونس "... لأجل الاستضلال بظلكم والكون في جواركم وهم من آل البيت الذين قال اللّه فيهم " قُل لا أَسأَلُكُم عَلَيهِ أَجْرًا إلَّا المَوَدَّةَ فِي القُرْبَى...[الشعراء- **23**]" [لا ندري هل هم نفس الجماعة السابقة لم يستجب لرجاء الأمير في رسالته الأولى أم لا] تحريرا في أوائل رمضان **1278**هـ / مارس **1862**م.

7.رسالة من الأمير عبد القادر إلى مصطفى خزندار يرجو فيها السماح لابن عمه المدعو الميلود القدوم على تونس من الشام " ...وما أحب إلاّ سكنى تونس.."، بتاريخ أواسط ذي الحجة **1281** هـ/ ماي **1865**م.

8.رسالة من الأمير عبد القادر إلى الوزير الجنرال رستم يستوصي خيرا بالحاج محمد بن بوزيد المقراني (والذي يدعوه بولده الشريف) وعائلته راجيا فيها"..أن تلاطفوهم بالمساعدة فيما يعرض لهم من الأمور و أن لا تقطعوا عن المهاجرين كافة ما تعودوه من احسانكم وتواصل أفضالكم.." الرسالة محررة في **04**جمادى الأولى **1283**هـ /سبتمبر **1866**م.

9.رسالة من الأمير عبد القادر إلى مصطفى خزندار يشفع فيها إلى المدعو عمر الجودي ورفيقه مبررا طلبه بأنه " لا يشفع إلا على وجه

الاحتساب و الامتثال لما أمرت به السنة وحض عليه الكتاب...." بتاريخ **09** ذي القعدة **1283**هـ /مارس **1867**م.

10. رسالة من الأمير عبد القادر إلى مصطفى خزندار يرد فيها على الرسالة التي بعثها مصطفى خزندار إلى الأمير عبد القادر مع الحاج الميلود بن عراش محررة في أواسط محرم **1284** هـ / ماي **1867**م.

11. رسالة من الأمير عبد القادر إلى مصطفى خزندار يطلب فيها استبدال هنشير كان اقطعه للسيد مصطفى بن محمد بن عبد الرحمان العقبي بالقيروان بآخر بنواحي تونس التي يرغب السيد مصطفى الانتقال إليها. الرسالة محبرة في **22** شوال **1285**هـ / فبراير **1869**م.

12. رسالة من الأمير عبد القادر إلى مصطفى خزندار يستوصي خيرا بأحفاد وأقارب المرحوم الحاج المولود (كذا) بن عراش، الرسالة مؤرخة في **06** صفر **1286**هـ /**1869** م

13. رسالة من الأمير عبد القادر إلى مصطفى خزندار يشكره فيها على اجابة طلب السيد مصطفى بن محمد الصغير العقبي، الرسالة بتاريخ **23** صفر الخير **1287** هـ / ماي **1870**م.

14. رسالة من الأمير عبد القادر إلى أمير الأمراء السيد خير الدين باشا مضمونها هو نفسه مضمون الرسالة السابقة وبنفس التاريخ **23** صفر **1287**هـ/ ماي **1870**م.

15. رسالة من الأمير عبد القادر إلى جول ديليسبس (قنصل تونس في باريس)، يسأله رأيه في طلب زيارة فرنسا بمناسبة نهاية أحداث **1870-1871** للتهنئة، بتاريخ آخر ربيع الأول **1288**هـ /جوان **1871**م. (**الرسالة خالية من ختم الأمير مما شككنا فينسبتها إليه**)

16. رسالة من الأمير عبد القادر إلى مصطفى خزندار يستوصي بالمهاجرين الجزائريين بتونس و يطلب فيها أيضا وظيفا للحاج بن علي أوقاسي أخ المرحوم الحاج محمد متشرف، بتاريخ **02** شعبان **1288** هـ /أكتوبر **1871**م.

17. رسالة من الأمير عبد القادر إلى مصطفى خزندار للاستوصاء خيرا بالمهاجرين الجزائريين المحتمين بتونس بتاريخ **14** شوال **1288** هـ /ديسمبر **1871**م.

18. رسالة من الأمير عبد القادر إلى خير الدين باشا وهي مراسلة محبة ومودة بتاريخ **15** شوال **1288**هـ /ديسمبر **1871**م.

19. رسالة من الأمير عبد القادر إلى خير الدين باشا يستوصي خيرا بالمقرانيين وأولاد يلس الذين نزلوا بالبلاد التونسية وقد سماهم الأمير عبد القادر في مراسلته ب" الفئة المقرانية، (كتب خير الدين باشا في طرف الرسالة " **يستفسر عمن يوصى عليهم**)، تحريرا في غرة ربيع الثاني **1289**هـ /جوان **1872**م.

20. رسالة من الأمير عبد القادر إلى مصطفى خزندار في نفس الموضوع بتاريخ **25** ربيع الثاني **1289**هـ /جويلية **1872**م.

21. رسالة من الأمير عبد القادر إلى محمد البكوش يطلب فيها عدم مصادرة الدولة التونسية لهنشير كانت تونس خصصته سابقا لأقارب الأمير عبد القادر واستعداده لدفع الإيجار لو وافقت الحكومة التونسية على ذلك، بتاريخ **03** جمادى الثانية **1289** هـ /أوت **1872**م.

22. رسالة من الأمير عبد القادر إلى الوزير الأكبر أمير الأمراء مصطفى خزندار يطلب فيها نيشان الافتخار من الرتبة الثانية للسيد سعيد افندي القُوتلي " الذي كان بمثابة سكرتير خاص به" على شاكلة ما فعلت الدولة العثمانية وفرنسا وإيران التي أنعمت عليه بالنياشين، بتاريخ **06** جمادى الثانية **1289**هـ/ أوت **1872**م.

23. رسالة من الأمير عبد القادر إلى خير الدين باشا في نفس التاريخ ونفس الموضوع، (على هامش الرسالة كُتِبَ أجيب طلبه على أن يسلّم من يد قنصل الإنقليز بدمشق).

24. رسالة شكر من الأمير عبد القادر إلى مصطفى خزندار على استقبال المقرانيين بتونس، بالإضافة إلى طلب الإذن للكبلوتي مغادرة

دمشق للاستقرار بتونس، (علق مصطفى خزندار في أسفل الرسالة بأن الكبلوتي "**منعت اجابة طلبه موانع سياسية**") بتاريخ **02** محرم **1290**هـ /مارس**1873**م.

25. رسالة من الأمير عبد القادر إلى أمير الأمراء محمد البكوش رسالة مودة وتواصل بتاريخ **21** ربيع الثاني **1290**هـ /جوان **1873** م.

26. رسالة من الأمير عبد القادر إلى خير الدين باشا يستوصي خيرا بالمهاجريين الجزائريين بتونس (بعد ثورة المقراني)، بتاريخ **23** ذي الحجة **1291**هـ / يناير **1875**م.

27. رسالة من الأمير عبد القادر إلى الوزير الأكبر خير الدين باشا يطلب فيها نيشان لصالح عزتلو أحمد افندي شكري رايس أقلام ولاية سورية الجليلة وهو من أهل المعارف، محررة بتاريخ غرة محرم **1292**هـ /فبراير **1875** (على هامش الرسالة كتب رد بالإيجاب على طلب الأمير على أن يسلم النيشان إلى صاحبه عن طريق الأمير عبد القادر نفسه).

28. رسالة من الأمير عبد القادر إلى خير الدين باشا يطلب فيها تسوية أملاك بن ناصر بن شهرة في تونس بعد طرده منها وتوكيل الحاج المأمون بن مكي ابن عمة الأمير في هذا الأمر (كتب على الهامش **طلب مقبول**)، بتاريخ **08** محرم **1293** هـ /فبراير **1876**م.

29. رسالة من الأمير عبد القادر إلى الوزير الأكبر خير الدين باشا يشكره فيها على نيشان الافتخار الذي انعم على عزتلو أحمد افندي شكري، الرسالةبتاريخ غرة ربيع الثاني عام **1293** هـ /أفريل **1876**م.

30. رسالة من الأمير عبد القادر إلى خير الدين باشا فيها أنه بعث له بهدية بسيطة من الأشغال اليدوية " عربون محبة"، بتاريخ **26** صفر **1294**هـ /مارس **1877**م.

31. رسالة من الأمير عبد القادر إلى محمد باشا الخزندار للتهنئة بتوليه الوزارة، بتاريخ شعبان **1294**هـ /أوت **1877**م.

32. رسالة من الأمير عبد القادر إلى المشير الثالث محمد الصادق باشا باي تونس يطلب فيها نيشان إلى السيد جنانقي "سوبريفي حاكم دائرة معسكر وموجب ذلك أن "... له عناية وافية باحترام اخواننا في الجزاير (كذا) رعاية كافية لكافة اخصائنا وارد وصادر..."، من الشام بتاريخ غرة ذي القعدة **1294** هـ /نوفمبر **1877**م.

33. رسالة من الأمير عبد القادر إلى محمد باشا هي رسالة محبة وصداقة مؤرخة في **25** جمادى الأولى **1295** هـ / ماي **1878**م.

34. رسالة من الأمير عبد القادر إلى مصطفى بن اسماعيل لتهنئته بالوزارة الكبرى و جاء في رسالته أنه "... ما تأخرت تهنيتنا (كذا) لكم عن وقت حوزكم لذلك المنصب العالي إلا لعائق المرض الذي ألزمني أياما وليالي..."، بتاريخ غرةذي القعدة **1295** هـ /أكتوبر**1878**م.

35. رسالة من الأمير عبد القادر إلى الوزير أمير الأمراء مصطفى بن اسماعيل يطلب فيها نيشان الافتخار إلى السيد رين يونس جيريو (الجوج مدنية كذا يقصد juge civil) وخليفته قابريلطيراس " القاطنين بمدينة أم عسكر (كذا) و السبب الموجب لهذا الطلب في نظر الأمير عبد القادر هو أنه "..تأكّد عندنا من سيرتهما في الأحكام الشرعية والرفق بالمسلمين فيما يعرض لهم من الأقضية لاسيما مع أقاربنا هناك ما أوجب حسن المكافأة وجميل الثناء..."، كتبت في دمشق الشام بتاريخ **25** جمادى الأولى **1297** هـ/ ماي**1880** م.

36. رسالة من الأمير عبد القادر إلى مصطفى بن اسماعيل يتشفّع في المدعو علي بن فرحات للعودة إلى وطنه بتاريخ **24** جمادى الثانية **1297** هـ /يونيو **1880**م.

37. رسالة من الأمير عبد القادر إلى مصطفى بن اسماعيل يحضه فيها على المساعدة سواء منه أو من أهل تونس لإصلاح عين بمكة المكرمة يقال لها "عين زبيدة" بتاريخ **01** رمضان **1297**هـ/ أوت **1880**م.

38. رسالة من الأمير عبد القادر إلى مصطفى بن اسماعيل يتشفّع في الشيخ بن ناصر بن شهرة بتاريخ **02** رمضان **1297** هـ/أوت **1880**م.

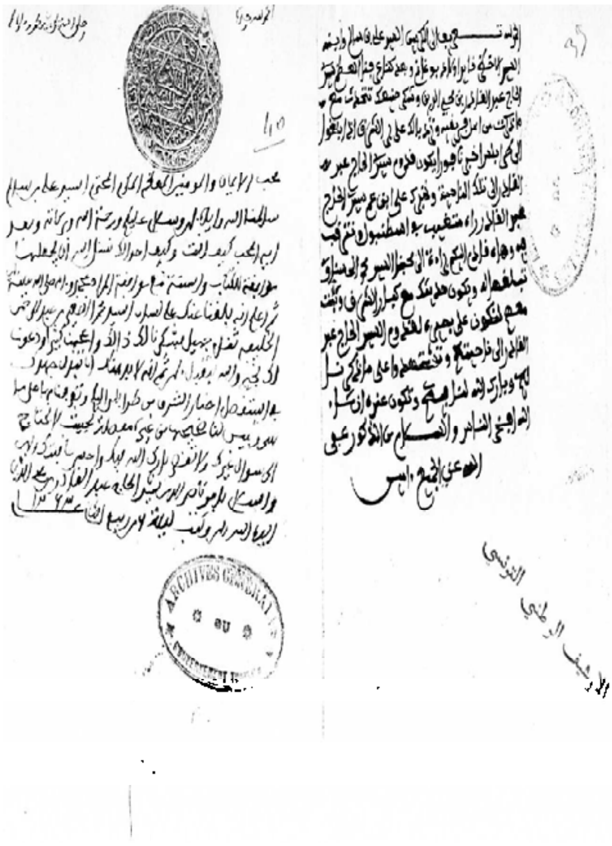
يمتد المجال الزمني لهذه الرسائل بين عامي **1260** و**1297** للهجرة الموافق لعامي **1844** و**1880** للميلاد، وفي فترتين مختلفتين فترة الإمارة وفترة الاستقرار بمنطقة الشام والأغلبية الساحقة من هذه الرسائل هي من الفترة الثانية وبالطبع كان الأمير يختم رسائله بختمين مختلفين؛ ختم الإمارة ثم ختم شخصي.

نستشف من هذه الرسائل أن الأمير عبد القادر كان على علاقة بكبار رجال الدولة التونسية وخاصة الوزراء الأكابر (رؤساء الحكومات) من مصطفى خزندار إلى خير الدين باشا وأخيرا مصطفى بن اسماعيل، ويبدو أن بين الطرفين ألفة تتعدى الإطار البروتوكولي لمخاطبة الحكام إلى نوع من العلاقات الخاصة، وأن للأمير عبد القادر دالة على هؤلاء السياسيين التونسيين.

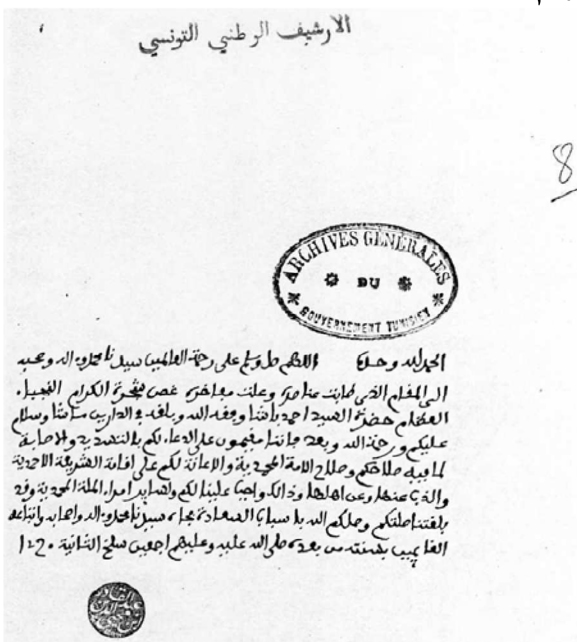
ما لاحظناه على هذه الرسائل أن الأمير كان مقصد العديد من الشخصيات للتوسط لها لدى السلطات التونسية وفي كثير من الأحيان لم تخطئ تلك الشخصيات (سواء كانت من قرابته أو من رجال دولته أو من الثوريين الجزائريين أو من أعيان الشام أو من الفرنسيين أنفسهم) عندلجوئها للأمير عبد القادر.

يبدو على الأمير سمة الوفاء لكل ما هو جزائري وأنه لم ينسى الجزائر يوما وكان يبذل قصارى جهده للتخفيف على بني وطنه سواء المهاجرين أو الذين بقوا في الجزائر ولم يتوقف عن فعل ذلك إلاّ قبيل وفاته نتيجة المرض.

رغم الدالة التي كانت له لدى السلطات التونسية فإنه لم يستغلها في قضاء مآربه الشخصية أو أفراد عائلته الصغيرة، مما يؤكد علو الجانب الأخلاقي لدى الأمير عبد القادر وطغيان الإنسانية عليه.



الرسالة رقم 01


الأرشيف الوطني التونسي

87

ARCHIVES GÉNÉRALES DU GOUVERNEMENT TUNISIEN

الحمد لله وحده   اللهم صل وسلم على رحمة العالمين سيدنا محمد وآله وصحبه
الى المقام الذي طابت عناصره وعلت مفاخره غصن شجرة الكرام النجباء
العظام حضرة السيد احمد باشا وفقه الله وبلغه في الدارين ما اشتا وسلام
عليكم ورحمة الله وبعد فإننا مقيمون على الدعاء لكم بالتسديد والإصابة
لما فيه صلاحكم وصلاح الأمة المحمدية والإعانة لكم على إقامة الشريعة الأحمدية
والذب عنها وعن أهلها وذلك واجب علينا لكم ولسائر أمراء الملة المحمدية وقد
بلغتنا صلتكم وصلكم الله بأسباب السعادة بجاه سيدنا محمد وآله وأصحابه وأتباعه
الغائبين بهمته من بعده صلى الله عليه وعليهم أجمعين سلخ الثانية 1260



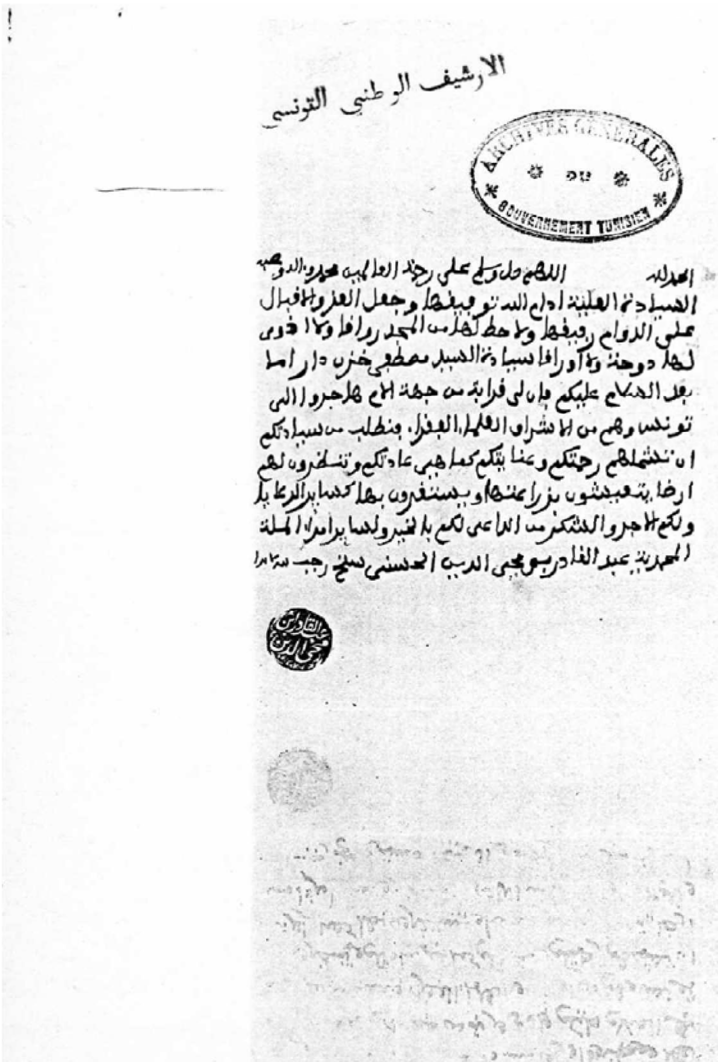


الحمد لله وحده والصلاة والسلام على نبيئه محمد وعبده

ARCHIVES GÉNÉRALES
GOUVERNEMENT TUNISIEN

الأرشيف الوطني التونسي

الجناب الذي فاحت رياح المكارم من ازهاره وتنعمت من اغصانه الفضائل والدهر افضل
الحبار وجرت في مسائل الكمال والجمال انهاره واشرقت في سماء المحاسن شموسه
واقماره ذا المعظم الشيخ محمد بن حسين باي لا زال محفوظا من الشرور والاكدار سلام
تام عليكم ما هب النسيم وتصدّيتم بمحض كرمكم الكريم ورحمة الله وبركاته
ما دام العالم وحي كان منه ونفس ما اخبرتنا اليكم من يقوم مقامنا
في النسبة لكم وعقد المحبة بيننا وبينكم وحق الجوار معكم فان المؤمنين
جسد واحد والمومن لاخيه المؤمن كالبنيان المرصوص يشد بعضه
بعضا والتعاون على البر والتقوى مطلوب شرعا فما تستوصوا بالحاملين
خيرا وتقضوا مقصدهم معرفة لكرام عند المعظم الشيخ احمد باشا فانهم كما
يعرفون احوال بلدنا اشد الحاجة وانتم ادرى بذلك منهم وامثالكم لا ترى شيئا
به والله يديم لكم وعلى يديكم ويكون في عوننا وعونكم ويوفقنا
جميعا لما فيه رضاه امين والسلام كتب اول يوم من جمادى الثانية
عام 1264 ام باي محمد الخليفة السيد الحاج عبد القادر



الارشيف الوطني التونسي

ARCHIVES GENERALES DU GOUVERNEMENT TUNISIEN

الحمد لله اللهم صل وسلم على رحمة العالمين محمد وآله وصحبه
السيادة العلية أدام الله توفيقها وجعل العز والإقبال
على الدوام رفيقها ولاحظ لها من المجد روافدا ولا ذوى
لها دوحة ولا أورافا سيادة السيد مصطفى خزندار أما
بعد السلام عليكم فإن لي قرابة من جهة الأم هاجروا إلى
تونس وهم من أشراف العلماء الفقراء فنطلب من سيادتكم
أن تشملهم رحمتكم وعنايتكم كما هي عادتكم وتنظرون لهم
أرضا يتعيشون بزراعتها ويستغنون بها كسائر الرعايا
ولكم الأجر والشكر من الداعي لكم بالخير ولدينا بأمر أمراء الملة
المحمدية عبد القادر بن محيي الدين الحسني سلخ رجب سنة ١٢٨١

عبد القادر بن محيي الدين

الحمد لله وحده والله صلى وسلم على رحمة العالمين محمد وآله
الى الحضرة الجميلة ذات المناقب الجليلة الجامعة لكل
فضيلة حضرة صاحب السياسة المستعدة كبير باشا
السيد مصطفى خزندار ازالت حضرتكم عرفات ذوي الآمال
ومحتشعرا لحط الرحال ولا برحتم مؤيدين من الله بالتسديد
والتوفيق والنصر والظفر لكم صاحب ورفيق اما بعد فالمعروض
على علي جنابكم هو ان جماعة من اقاربي من جهة الام هاجروا
الى تونس لاجل الاستظلال بظلكم والكون في جواركم وهم
من آل البيت الذين قال الله فيهم قل لا اسالكم عليه اجرا
الا المودة في القربى فاملنا ورجاؤنا من سعادتكم ان يكونوا
مشمولين بعنايتكم وملحوظين بعين رعايتكم واملنا قوي
في الله تعالى ثم في جنابكم فان محاسنكم صارت بها الركبان
ومآثركم اخبر بها القاصي والداني اطال الله بقاءكم لنفع
العباد وادام ارتقاءكم لمعارج السيادة والسلام اوايل رمضان
١٢٧٨

الداعي عبد القادر
ابن محي الدين
الحسني



الارشيف الوطني التونسي

ARCHIVES GÉNÉRALES DU GOUVERNEMENT TUNISIEN

الحمد لله وحده والصلوة والسلام على رحمة العالمين
اللهم ادم السعادة والاسعاد والتوفيق والاعانة والارشاد
لحضرة ذي الهمة العلية والمناقب الجلية من طارت فضائله كل
مطار وسمرت باحاديثه السمار السيد مصطفى خزندار دام
الله بكم النفع ولكم الرفع وسلام عليكم اما بعد فالمعروض
على علي جنابكم لهذا ان ابن عمنا السيد المولود زارنا بالشام وعرضنا
عليه فيها المقام فما احب الا سكنى تونس المحمية حيث صارت
بوجودكم وحسن سياستكم شمس البلدان وحصن الامان
ومطمح ابصار ذوي العقول ومنبع العلوم من منقول ومعقول
فاراد الكون في جواركم الذي لا تخفر له ذمة ولا تلحق صاحبه
ندامة ولا مذمة واملنا من ذلك الجناب الواسع الرحاب
ان يعيش في ظلكم الظليل ناعم البال قرير العين مرعي الجانب
ونرغب الى الله تعالى ان يطيل بقاءكم لنفع الانام ويديم ارتقاءكم
بالسلام اواسط ذي الحجة
١٢٨١

الداعي عبد القادر
ابن محيي الدين
الحسني



الحمد لله وحده

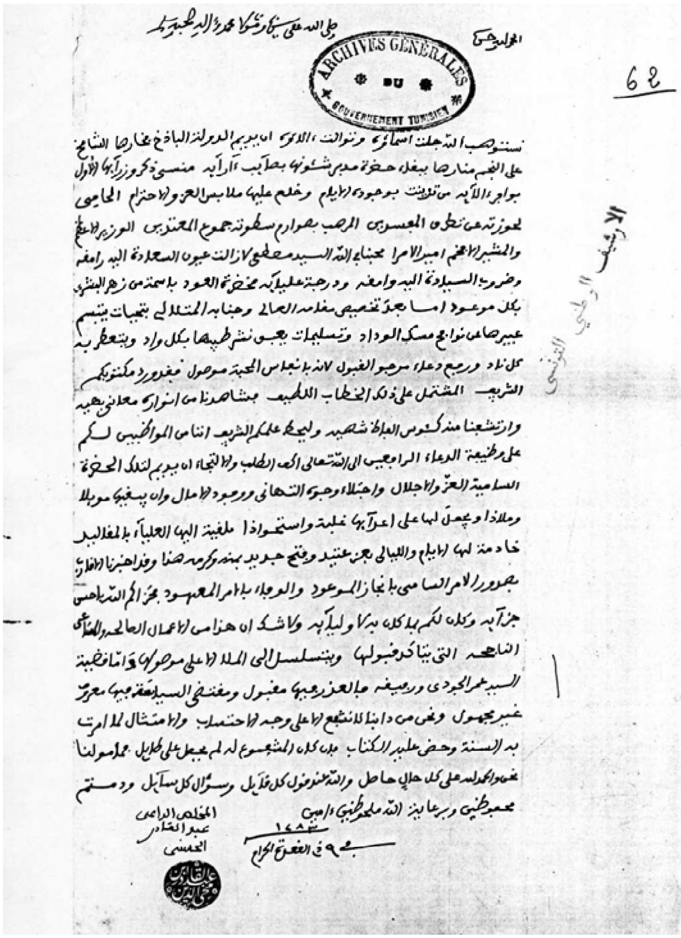
صلى الله على سيدنا ومولانا محمد وآله وصحبه وسلم

ARCHIVES GÉNÉRALES DU GOUVERNEMENT TUNISIEN

ان احسن وشي رقمته يد الاقلام وابهى زهر تفتحت عنه الاكمام عاطر سلام يفوح بعبير المحبة عبقه ويشرق في سماء الطروس صبحه يهدى لحضرة الوزير المعول عليه في المهمات المستضاء بنبراس رايه في الملمات غرة الدهر وبهجة العصر وزير العمالات التونسية المرعية المحمية محبنا في الله السيد رستم دامت معاليه وحسنت مساعيه ولا زال محفوفا باجلال مرتبة بارعة في جمال وكمال اما بعد فان ولدنا الشريف الانبل السيد الحاج محمد بن بوزيد المغراوي ورد علينا ونحن بالديار الدمشقية المحروسة ولا زال يحدث ويصف من حسن شمايلكم وكثرة فضايلكم ما يميل المسامع طربا ويفضي من تراه عجبا وخصوصا فيما للكم على المهاجرين من الابادي الزاهرة والفيض غيوث مكارمكم الماطرة واني في ذلك ما يعجز عن شكره اللسان ويكل عن رقم حمده البنان ثم انه اخبرنا بما انطوى عليه خاطركم الشريف من المحبة في جانبنا والميل الينا فاحبكم الله الذي احببتمونا لاجله واسبغ عليكم نعمه المستمرة من فيوضات افضاله وطوله والهمكم سبيل العدل ووفقكم لصالح القول والفعل امين ثم المامول من السيادة ان تستوصوا خيرا بولدنا المذكور ووالده واخوته وان تلاحظوهم بالمساعدة فيما يعرض لهم من الامور وان لا تقطعوا من المهاجرين كافة ما تعودوه من احسانكم ونواصل امضا لكم ولا شك ان لكم بذلك اجرا عظيما وثوابا جسيما وانتم محبوطين ربعين العناية ملحوظين

المحب عبد القادر

في 4 جمادى الاولى سنة 1283


الحمد لله وحده

صلى الله على سيدنا ومولانا محمد وآله وصحبه وسلم

ARCHIVES GÉNÉRALES DU GOUVERNEMENT TUNISIEN

62

الأرشيف الوطني التونسي

نستوهب الله جلت أسماؤه وتوالت آلاؤه أن يديم الدولة الباذخ مفاخرها الشامخ
على النجم منارها ببقاء حضرة مدبر شؤونها بصائب آرائه منسي ذكر وزرائها الأول
بوابر الآية من تزينت بوجوده الأيام وخلع عليها ملابس العز والاحترام الحامي
لحوزتها من تطرق المفسدين المرهب بصوارم سطوته جموع المعتدين الوزير الأعظم
والمشير الأفخم أمير الأمراء محبنا في الله السيد مصطفى لازالت عيون السعادة إليه رامقة
وضروب السيادة إليه وامقة ووردت علينا آية مختومة العنود باسمه من زهر البشرى
بكل موعود أما بعد تخصيص مقامه العالي وجنابه المتلالي بتحيات يتبسم
عبيرها عن نوافح مسك الوداد وتسليمات يعبق نشر طيبها بكل واد ويتعطر به
كل ناد ورفيع دعاء مرجو القبول لأنه بانبعاث المحبة موصول فقد ورد مكتوبكم
الشريف المشتمل على ذلك الخطاب اللطيف فشاهدنا من أنواره معاني بهية
وارتشفنا منه كؤوس ألفاظ شهية وليحط علمكم الشريف أننا من المواظبين لكم
على وظيفة الدعاء الراغبين إلى الله تعالى أكمل الطلب والالتجاء أن يديم لتلك الحضرة
السامية العز والإجلال واجتلاء وجوه التهاني ووجود الآمال وأن يسبغ عليها موبلا
وملاذا ويجعل لها على أعدائها غلبة واستحواذا ملقية إليها العلياء بالمقاليد
خادمة لها الأيام والليالي بعز عتيد وفتح جديد بمنه وكرمه هذا وقد أخبرنا الأفاضل
بصدور الأمر السامي بإنجاز الموعود والوفاء بالأمر المعهود فجزاكم الله أحسن
جزائه وكان لكم بما كان يده ولسانه ولا شك أن هذا من الأعمال الصالحة والمساعي
الناجحة التي يتأكد قبولها ويتسلسل إلى الملأ الأعلى موصولها وأما خطبة
السيد عمر الجودي ورديفه عبد العزيز فيها معقول ومقتضى السياسة فيها معروف
غير مجهول ونحن من دأبنا الانشراح الأعلى وجه الاحتساب والامتثال لما أمرت
به السنة وحض عليه الكتاب فإن كان المشفوع له لم يحصل على طائل مما أملنا
فنحو الحمد لله على كل حال حاصل والله مسؤول كل قائل ومسؤول كل سائل ودمتم
محفوظين برعاية الله ملحوظين والسلام

المخلص الداعي
عبد القادر
الحسني

في 9 محرم الحرام
سنة ١٢٨٣

عبد القادر بن محي الدين

الحمد لله وحده وصلى الله على سيدنا ومولانا محمد وآله وصحبه

١٠

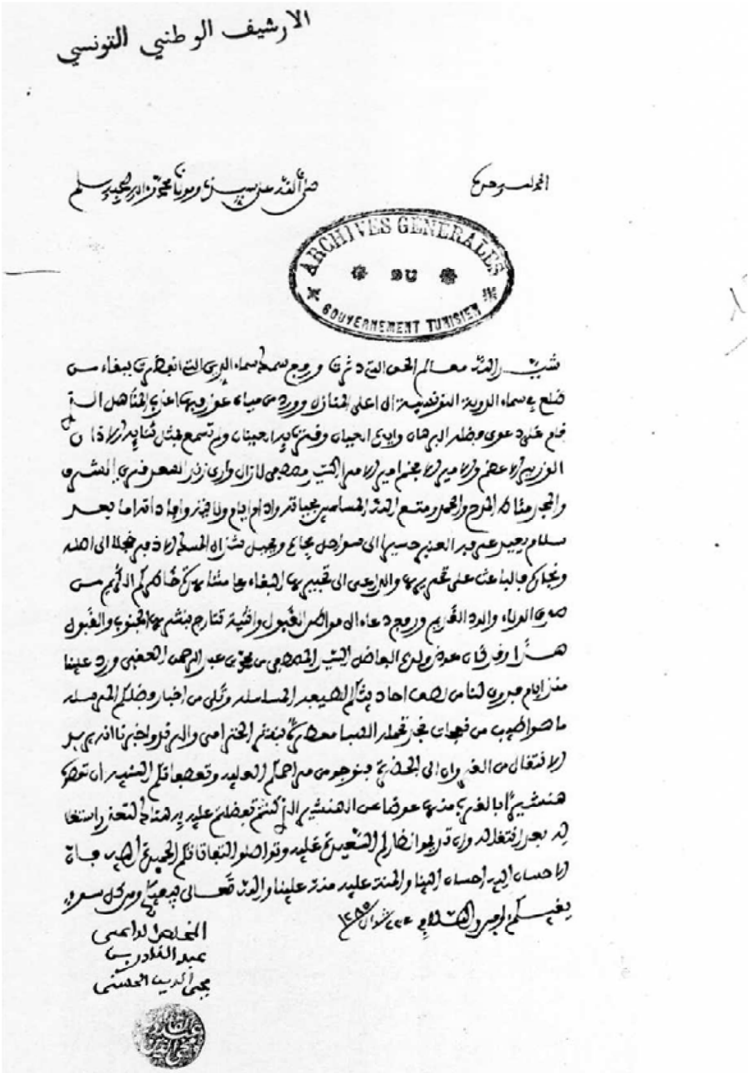
الارشيف الوطني التونسي

ان اشرف ما وشحت به سطور الطروس والطف ما رشحت به صدور النفوس تحف التحايا التي لم تزل بانواع الثناء تحف وطرف المزايا التي لم تبرح باصناف الدعاء تزف الى الجناب السامي المصطفوي الطالع الذي كوكب طالعه الزاهر الضوء وحرس ذاته التي لم تزل تقلد الاعناق اطواق المنن وحفظه في دينه ودنياه صروف الزمن ولا زالت سعادته حبر بدية الملابس وتعظائم وريقة المغارس وبعد فقد ورد علينا طاير شكركم وسرور لدى انعامكم واحسانكم جناب المكرم حبيبنا الحاج المولود بن عراض واخبرنا بما للسيادة عليه من الايادي الزاهرة وفيوضات غيوث مكارمها الماطرة واتى في ذلك بما يعجز عن شكره اللسان ويكل عن رقم ثنايه البنان فلا زالت تلك الحضرة السعيدة صانها الله من الزوال محلا لمناط الاماني والامال بفضل الله وكرمه ومن انفس ما قدمه لنا هذا الوافد من التحف والطرف كتابكم الشريف العالي فحصل لنا به غاية السرور والتهاني خصوصا لتضمنه صحة مزاج الجناب الافخم ودوام سعادته واعتنائه بمحبة المخلص وودة وحسن المخلص لما ختمه عن وجه وسيم ولفظ مزاجه من تسنيم ثم تاملنه فتملا من محاسنه واخذ الفضل من معادنه وشكرناه بيد البيضاء في اهدايه وعادته المالوفة في اعادته وابدايه هذا ونحن مقيمون على اكبر الود واطيب المحبة والعهد ولم يزل دعاؤنا لجناب السيادة بهذه المواطن الشريفة دايما وثناؤنا على شمايلكم بالمآثر الكريمة نعتنم له بابا بابا والله تعالى يبقيكم على عروش الاجلال ويحييكم في مقام الاقبال امين

في اواسط المحرم ١٢٨٤

المخلص الداعي عبد القادر

١٨٦٧


الارشيف الوطني التونسي
ARCHIVES GENERALES
DU
GOUVERNEMENT TUNISIEN

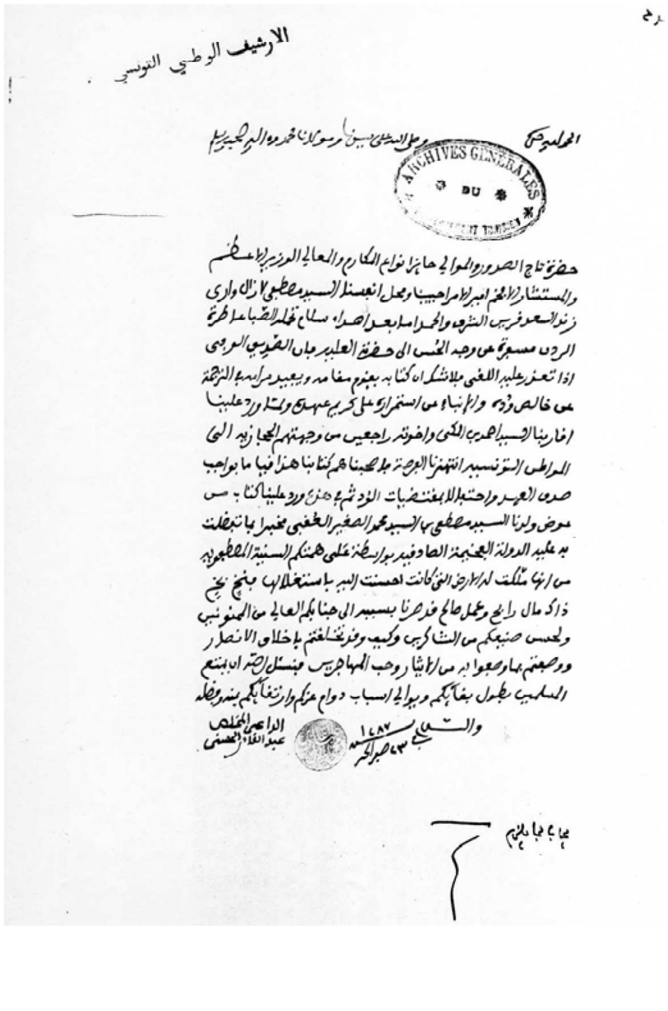


الحمد لله وحده   وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

وافضل الدين بلا منازع وواحد العصر بغير مدافع وكمال الى عمد السالكين
راعا الوزير الاعظم والملاذ الاعصم محبنا في الله
باشا ومن الى جر بحرة العرفان بحر الاخلاق واخلاق المكارم تشابه بارق شيمه
السيد مصطفى لا يحصى لا بحث مكارم امتثالا بعد اتحيات فاح نشرها
واحوال المحامد ومحامد الاحوال تعرف امانيه وخدمه لا ينقطع مددها بان المرجو
وراح بشرها واثنية لا يحصى بعدد دعا وادعية نقدمه لدينا ومحسوبيته علينا وحيث انه
المتاع الموثوق بمراش غير خفي بالمامول ببيض ايضا لكم وعميم
فضلكم السيلة ونزل به ما بيرى من الخلل وخلله بانظاركم السعيدة وتشملوهم بتوفضلاتكم
نوالكم ان تكا حكم احبة وامداد بانظاركم الى جنابكم الرفيع العلي
المريد وان تراعوا فيهم صون وداد نا المتاجر الرابعة والمساعي الناجحهم
لا يعني ان الاحسان الى امثالهم ويطل السنا ويبقيه للفضل غيثا كريما
والله تعالى يكافي بجامدكم اسماعا
واثر احسنا والسلام

المخلص الداعي
عبد القادر الحسني

869



الأرشيف الوطني التونسي

الحمد لله وحده وصلى الله على سيدنا ومولانا محمد وآله وصحبه وسلم

ARCHIVES GÉNÉRALES DU GOUVERNEMENT TUNISIEN

حضرة تاج الصدور والموالي حائز أنواع المكارم والمعالي الوزير الأعظم
والمستشار الأفخم أمير الأمراء حبيبنا ومحل أنسنا السيد مصطفى لا زال واري
زند السعد قريب الشرف والحمد أما بعد إهداء سلام تحمله الصبا عاطرة
الردن مسفرة عن وجه الحسن إلى حضرة العلية وأن القضية الموجبي
إذا تعذر عليه اللقى فلا شك أن كتابه يقوم مقامه ويعبر عما به الترجمة
عن خالص وده وإنا ننبئ من استمرارنا على كريم عهدكم ولما ورد علينا
أقاربنا السيد أحمد بن المكي وأخوته راجعين من وجهتهم الحجازية إلى
الوطن التونسية أتحفونا بالبرهنة على محبتنا هم كتابنا هذا فيه ما يواجب
صدق العهد واحتفالا لمقتضيات الود ثم بعد هذا ورد علينا كتاب من
عوض ولدنا السيد مصطفى بن السيد محمد الصغير الخفي مخبرا بما تفضلت
به عليه الدولة العلية الصادقية بواسطة علي همتكم السنية المطبوعة
من أنها ملكته الأرض التي كانت أحسنت إليه باستغلالها فنتج نحو
ذلك مال رابح وعمل صالح فذكرنا بسببه إلى جنابكم العالي من الممنونية
ولحسن صنيعكم من الشاكرين وكيف وقد خلقتم بأخلاق الأنصار
ووصفتم بما وصفوا به من الإيثار وحب المهاجرين فنسأل الله أن يمتع
المسلمين بطول بقائكم ويوالي أسباب دوام عزكم وارتقائكم بمنه وفضله

والسلام في 23 صفر الخير سنة 1287

الداعي المخلص
عبد القادر الحسني

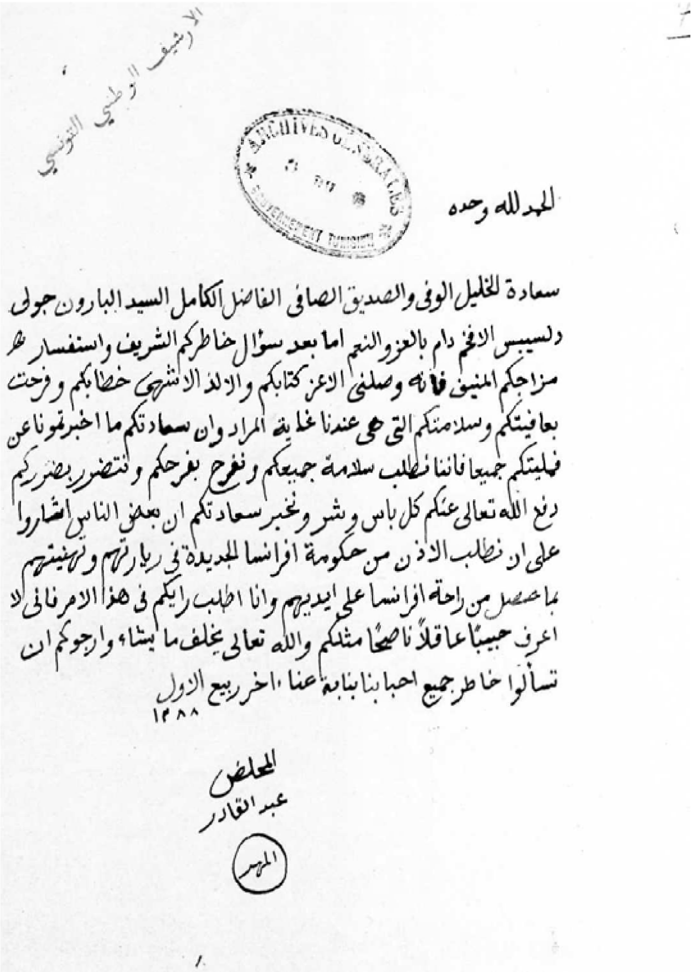


الارشيف الوطني التونسي

الحمد لله وحده   وصلى الله على سيدنا ومولانا محمد وآله وصحبه وسلم تسليما

سيادة الأمير الجليل محتده الشهير فضله وسؤدده حبيبنا وأعز عباد الله
إلينا أمير الأمراء السيد خير الدين أتم الله عليكم نعمه ظاهرة وباطنة وأجزل
إليكم قسمه مترادفة وبعد فإننا لم نزل نتشوف على حضرتكم العلية والسؤال
عن أحوالكم السنية فإن لا فراق للأحبة وصلت والحمد لله بيننا إلى التراسل
سببا وجعلت في التواصل أربا فإذا أمكن سبب فرصة وإذا تهيأ
رسول اغتنمته ولما ورد علينا أخا ربنا السيد أحمد بن المكي وأخوه من
المشاهد الحجازية راجعين إلى الوطن التونسي سيرنا صحبتهم كتابي
هذا مجددا عهدا ومهديا شكرا وحمدا لله على جميل صنيعكم مع [illegible]
ولدنا السيد مصطفى بن السيد محمد الصغير [illegible] فإنه ما زال مثنيا به
الوارد علينا ينوه بفعلكم الجميل ويجبره ويلهج بشكركم في تمليكه الأرض
التي بيده له ولعقبه وهذا هو الظن الجميل في جنابكم السامي من
أنكم دائما تفعلون أنظاركم السعيدة على المحسوبين علينا فنسأل الله
أن يمتعنا والمسلمين بطول حياتكم ويديم لنا ولهم أيام إمارتكم
بمنه وكرمه وفضله وطوله والسلام

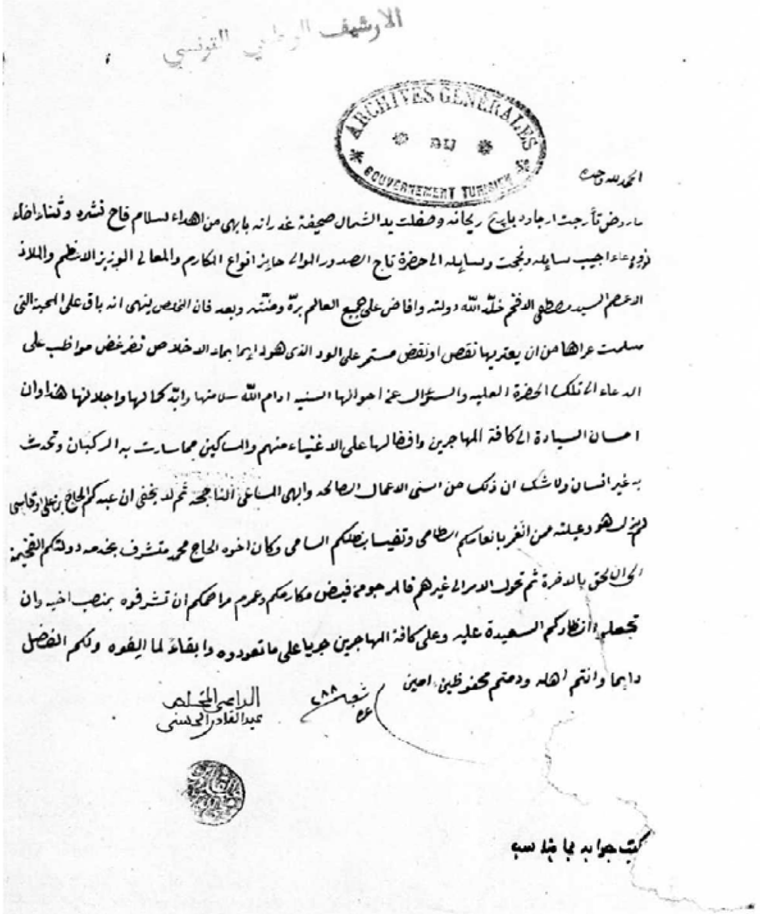
الداعي المخلص
عبد القادر الحسني
في ٢٣ جمادى الاخير ١٢٨٧



الحمد لله وحده

سعادة الخليل الوفي والصديق الصافي الفاضل الكامل السيد البارون جولي
دلسيبس الافخم دام بالعز والنعم اما بعد سؤال خاطركم الشريف واستفسار عن
مزاجكم المنيف فانه وصلني الاعز كتابكم والالذ الاشهى خطابكم وفرحت
بعافيتكم وسلامتكم التي هي عندنا غاية المراد وان سعادتكم ما اخبرتمونا عن
فاميليتكم جميعا فاننا نطلب سلامة جميعكم ونفرح بفرحكم ونتضرر بضرركم
دفع الله تعالى عنكم كل باس وشر ونخبر سعادتكم ان بعض الناس اشاروا
على ان نطلب الاذن من حكومة افرانسا الجديدة في زيارتهم وتهنيتهم
بما حصل من راحة افرانسا على ايديهم وانا اطلب رايكم في هذا الامر فاني لا
اعرف حبيبا عاقلا ناصحا مثلكم والله تعالى يخلف ما يشاء وارجوكم ان
تسألوا خاطر جميع احبابنا بنيابة عنا اخر ربيع الاول
١٢٨٨

المخلص
عبد القادر



الارشيف الوطني التونسي

ARCHIVES GENERALES DU GOUVERNEMENT TUNISIEN

الحمد لله وحده

ما روض تأرجت ارجاؤه بأريج ريحانه وصفقت يد الشمال صحيفة غدرانه بأبهى من اهداء السلام فاح نشره وتنادا خلاله ذو دعاء اجيب سايله ونجحت وسايله الى حضرة تاج الصدور الموالي حائز انواع المكارم والمعالي الوزير الاعظم والملاذ الاعصم السيد مصطفى الافخم خلد الله دولته وافاض على جميع العالم بره ومنته وبعد فان المخلص ينهي انه باق على المحبة التي سلمت عراها من ان يعتريها نقص او نقض مستمر على الود الذي هو دايما بماء الاخلاص نضر غض مواظب على الدعاء الى تلك الحضرة العليه والسؤال عن احوالها السنيه ادام الله سلامتها وابد كمالها واجلالها هذا وان احسان السيادة الى كافة المهاجرين وافضالها على الاغنياء منهم والمساكين مما سارت به الركبان وتحدث به غير انسان ولا شك ان ذلك من اسنى الاعمال الصالحة واربح المساعي الناجحة ثم لا يخفى ان عبدكم الحاج بن علي ورقاسي قدم لها هو وعيلته من الغرب بانعامكم السامي وتفيا بظلكم السامي وكان اخوه الحاج محمد متشرف بخدمة دولتكم الفخيمة الى ان لحق بالاخرة ثم تحول الامر الى غيرهم فالمرجو من فيض مكارمكم وعموم مراحمكم ان تشرفوه بمنصب اخيه وان تجعلوا انظاركم السعيدة عليه وعلى كافة المهاجرين جريا على ما تعودوه وابقاء لما الفوه ولكم الفضل دايما وانتم اهله ودمتم محفوظين امين

عم شعبان ٨٠

الداعي المخلص
عبد القادر الحسني

كتب جوابه بما يناسب

الأرشيف الوطني التونسي

الحمد لله وحده وصلى الله على سيدنا ومولانا محمد وآله وصحبه وسلم

ما روض مجتلى المباسم معطر الرياح النواسم في الحمل الربيع غصونه برود الخضرة وجعل
اشرافه للشمس خضرة وازاهيره تنتثر على الكواكب وتختال في خلع الغمائم السواكب
بابهى من اهداء سلام وتحيات عظام ورفع ادعية ومبث اثنية الى حضرة سيادة
من سبق في مضمار الوزارة الجليلة وفرع من الامارة الهضبة ورفع الراية وبلغ من
الاحسان الغاية وطارت مفاخره كل مطار وتغنى بها راكب الفلك وحادي القطار
سعادة الوزير الاكبر والامير الاشهر السيد مصطفى لا برحت الايام بوجوده باسمة
ورياح اقباله بالمسرة ناسمة اما بعد فالباعث على تسطيره والحامل على رشمه وتحبيرها
المحافظة على المودة والوفا بحيث لا يكون من شرابها ما رايق وصفا والمامول
ان تكون السيادة كذلك سالكة في محافظتها احسن المسالك هذا والسنة
الاغارب والمهاجرين كافة بطرفكم لم تزل تلهج بخصالكم الحميدة ومزاياكم العديدة
التي جل قدرها وسار مسير الشمس ذكرها ولما تكرر ثناؤهم عليكم بالغيب ارسالا
كما تناهب صبا او شمالا وجب علينا ان نعلمكم بكل انهم من الانقطاع الى جهتكم
والتحيز الى جنابكم وأن اذكركم باحوالهم تذكرة حسنة لتعاملوهم بمقتضاها
المعاملة المستحسنة جريا على ما العهود من افضالكم واحسانكم وابقاء لما
تعودوه من اجمالكم وامتنانكم ولا شك ان هذا عند الله تعالى من الاعمال الصالحة
السنية والمساعي الناجحة البهية وسيادتكم ابقاكم الله الموثوق بوفائه
وشرفه المسكون الى برد امنه وطرفه ولن ازال العالم بحبكم ومفاخركم المقيم على
الدعاء لكم في اوقات الاجابة والاماكن المستطابة ودمتم

الداعي المخلص
عبد القادر الحسني

١٢٨٨
في ٢٠ شوال

1871



الأرشيف الوطني

78

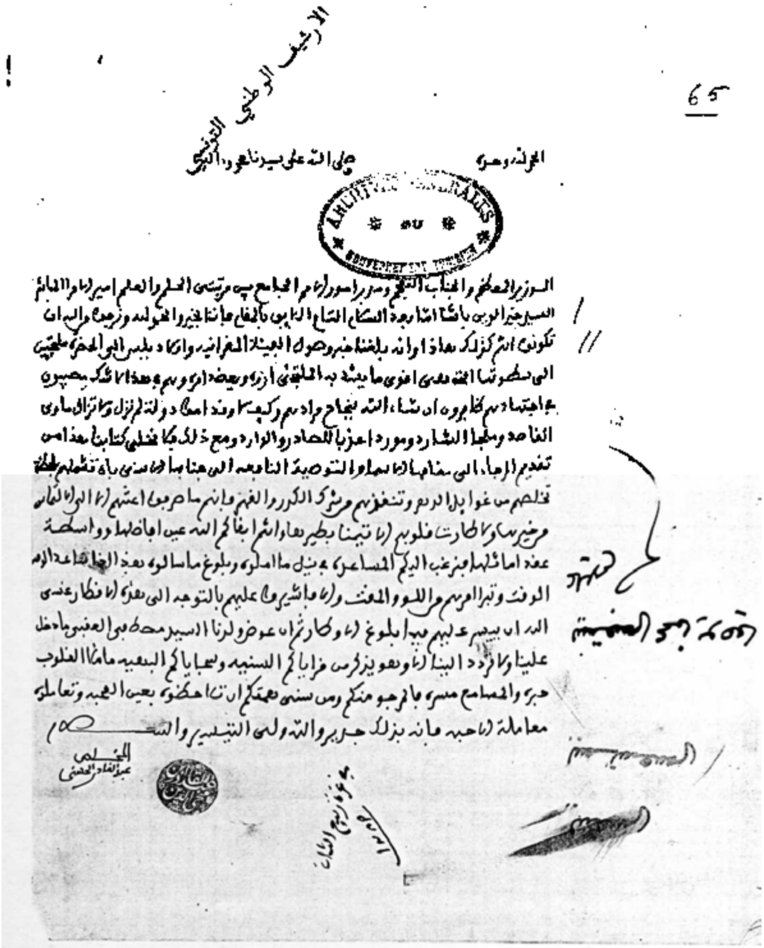
ARCHIVES GÉNÉRALES DU GOUVERNEMENT TUNISIEN

الحمد لله وحده وصلى الله على سيدنا ومولانا محمد وآله وصحبه وسلم

ان ابهى ما سطرته سوابق الاقلام في ميادين الطروس وحاكته دقائق الافهام
من المعاني التي تبتهج بها النفوس ربيع سلام يتأرج عبيره ويشرق بصدق
المودة منيره الى حضرة من شهد له الزمان انه وحيده ورئيس [illegible]
السياسية وجريه من سارت الركبان بثنائه وشملت الخواطر محبة علائه
السيد خير الدين باشا اطال الله في طاعته عمره واعز بنفوذه قدره وحظه
بتوفيقه امره لا يقرع باب امل الا ولجه ولا يعنق الى ما تنكره النفوس الا [illegible]
اما بعد [illegible] لما مالت [illegible] النفوس منا [illegible] وزجرت الطائر الميمون
للقائكم كلما اسنحت ثم لما بلغنا خبر مروركم الى الاستانة العلية ولنا
لعله الآن يجود اسعاف الاسعاد من هذه الامنية باسنى هدية [illegible]
البيان ويصدق الاثر العيان تحركتم نسمات الافراد الباهرة الى هذه
المواطن المباركة الطاهرة وتتبركون بالمشاهد النبوية الزاهرة
وتتنسمون عرف انفاسها العاطرة وتتمتع بمشاهدة طلعتكم البهية
النواظر وتنشرح بطيب مفاكهتكم الشهية الخواطر ونقتبس معرفتكم
من [illegible] العلم الى العيان وفي مخاطبتكم من وشي الاقلام الى [illegible] اللسان
وحينئذ تشتكي النفوس من [illegible] والانس من وصل [illegible] وننشد
ان ذنوب الدهر مغفورة :: ان كان لقياك لها عذرا وحيث انه لم يساعد
القدر على حصول هذا الوطر اقتضى الامر تقديم هذه الالوكة الى حضرتكم
تعريفا بالحال معكم واجراء لعهد المودة بيني وبينكم فان مكاتبة الصديق
عوض من لقائه اذا تعذر اللقاء واستدعاء لاخباره اذا انقطعت الانباء
وعلى كل حال [illegible] ولا [illegible]
الصالحة لا تزال دائبا [illegible] ولله الامر من قبل
ومن بعد وله الحكم في القرب والبعد وهو حسبي [illegible]

الداعي المخلص
عبد القادر الحسني

في ١٢ شوال ١٢٩٨


الأرشيف الوطني التونسي

65

الحمد لله وحده   صلى الله على سيدنا محمد وآله

الوزير المعظم والجناب الفخم وصدر الصدور الهمام الجامع بين مرتبتي الحلم والعلم امير الامراء [illegible]

السيد خير الدين باشا [illegible]

[illegible]

معاملة الاحبة فانه بذلك جدير والله ولي التيسير والسلام

المخلص
عبد القادر الحسني


64
الحمد لله وحده
وصلى الله على سيدنا محمد وآله
ARCHIVES GENERALES DU GOUVERNEMENT TUNISIEN
الداعي المخلص
عبد القادر الحسني

الارشيف الوطني التونسي

الحمد لله وحده

ان ابهى ما تزينت به المراقم الزواهر وازهى ما توجت به رياض الاوراق سلام تترايح
وتتوالى بركاته اهديه الى حضرة في السيادة الباهرة والرياسة الزاهرة والادب
الفاخر والحسب الطاهر محبنا السيد محمد البكوش اتم الله عليكم نعمه ظاهرة وباطنة
واجزل اليكم قسمه متواجبة وراهنة وبعد فجانا نسال عن احوالكم المرضية ونوالي
لكم صالح ادعيتنا السنية ونجدد الثناء عليكم بكرة وعشيه ثم نعرف السيادة انه بلغنا
ان المنشير الذي كانت الدولة الفخيمة انعمت به على اقاربنا هناك بواسطة جنابكم
يتعيشون منه رجعت فيه وعزمت على اخذه من ايديهم فلم نصدق لان قدرها
السامي يابى ذلك ولانها ادام الله تاييدها من عادتها اذا انعمت على احد
كائنا من كان بشيء لا ترجع فيه وكيف تعرف رحمتها وشفقتها من جماعة
فقراء مهاجرين مستحقين لاكرامها وامتنانها فان كان الامر كما بلغنا فاعلم
ان هؤلاء الجماعة قد الفوا ذلك المحل واستوطنوه فيصعب عليهم ان يخرجوا منه
فالمرجو ان تبقيه الدولة بايديهم بالاجرة ونحن متكلفون بها كل سنة نرسلها
الى الحضرة بعد تعيين عددها ولا تنسونا من صالح الدعاء كما اننا كذلك ودمتم

في 7 جمادى الثانية سنة 1289

المخلص
عبد القادر بن
محيي الدين الحسني

المحترم الوجيه   وطن الدين سيدنا ومولانا محمد الوجيه

ان احق ما سطرته سوابق الاقلام في ميادين الطروس وحاكته دقايق
الافهام من المعاني التي تبتهج بها النفوس رفع سلام تحمله نسمات
الصبا عاطرة الاردان ودعاء ترفعه الاكف بصدور وروح الجنان
الى الملك المنان ببقاء حضرة مظهر المكارم التي اقامت لديه الرقاب
اشرف اياد صاحب المجد المؤثل الذي اعجز كل طالب ومرتاد فاضل
الدهر بلا منازع وواحد العصر بغير مدافع سيادة الوزير الاكبر
واميز الامراء الاشهر محبنا السيد مصطفى ذي الخلق الاعطر حرس الله
ذاته العلية وجمل الوجود بطلعته البهية اما بعد فالذي القيه
على المسامع الكريمة وانهيه الى الحضرة السنية الفخيمة ان بعض افاضل
دمشق الشام واحد احبابنا الكرام اسمه سعيد افندي القوتلي كان
منذ قدومنا الشام اقبل علينا اقبال محب صادق وتكفل بخدمتنا
تكفل لبيب حاذق فالقى اليه قياد امورنا وقلدناه تدبير جميع
شؤوننا وجعلناه لساننا في مخاطبة الوزراء والحكام وقد رفعته
فيما يتعلق بي بيومنا من خاص وعام فسار في ذلك سيرا ناجحا وجرى
فيه جري ظافر ناجح فنرجو من كمال احسانكم ووفور افضالكم وامتنانكم
ان تشرفوه بنيشان الدولة الصادقية السامية من الرتبة الثانية
مطابقة لغيركم من الدول العظام والملوك الفخام فالدولة العلية
انعمت عليه بالرتبة والنيشان وكذا دولة فرانسا وقد ولنا ارادت
وليكن احسانكم اليه وانعامكم عليه كاحسانهم لصدقه في خدمتنا
ووفائه في نصيحتنا وانا نعلم انكم تحبون الاحسان الى من يحسن الينا
ومجازاة من يخدمنا اعطاء لمحبتنا حقها ولمودتنا مستحقها فان محب
الحبيب حبيب كما ان قريب الغريب قريب وظننا في السيادة جميل
ودمتم محفوظين وبعين رعاية الله ملحوظين والسلام ... المخلص
عبد القادر الحسني

في ٦ جمادى الثاني ١٢٨٩



الحمد لله وحده وصلى الله على سيدنا ومولانا محمد وءاله وصحبه وسلم

الارشيف الوطني التونسي

ARCHIVES GÉNÉRALES
GOUVERNEMENT TUNISIEN

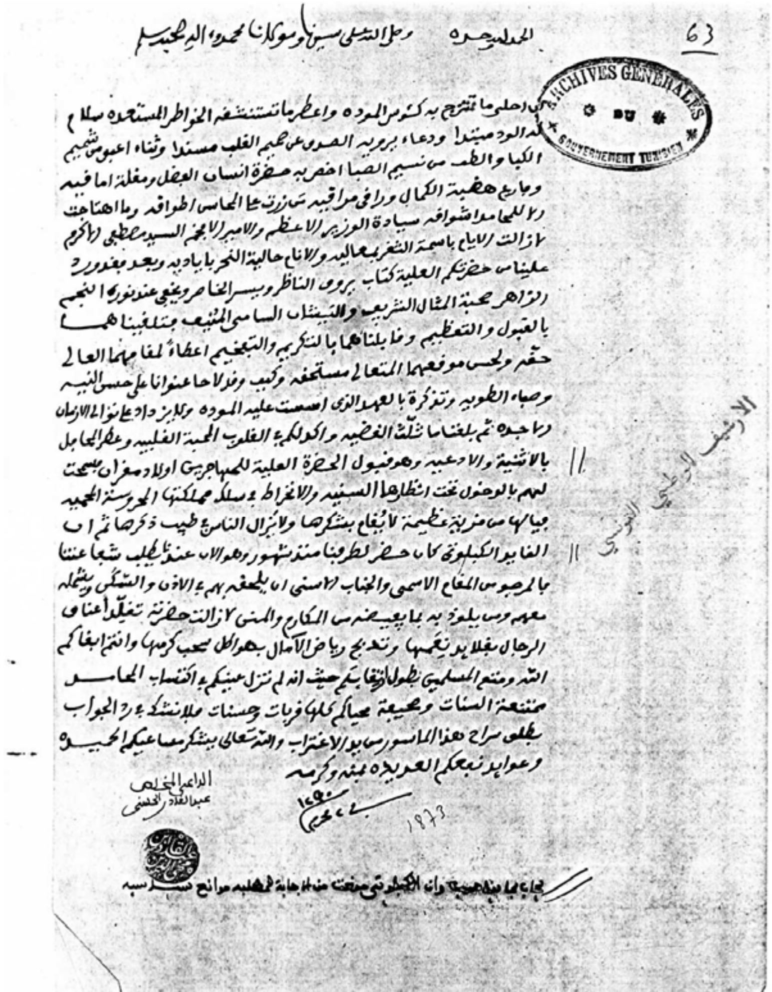
93

ما روض معتز المباسم معطر الرياح النواسم تارجت ارجاؤه باريج ريحانه وصقلت يد الشمال صحيفة غدرانه بابهى مما هو اء سلام فاح نشره وثناء اضاء نوره ودعاء اجيب سايله ونجحت وسايله الى حضرة تاج الصدور والموالي حائز انواع المكارم والمعالي مصدر محاسن الافعال ومبدأ كل خير تناط به الامال محبنا امير الامراء الاعظم السيد خير الدين الافخم لازال توزن به الاوايل فيرجح ويعارض بغرته بهيم النوايب فيصبح اما بعد فاننا لم نزل مواظبين على الدعاء الصالح لحضرتكم السنيه والسؤال عن احوالها المرضية البهيه ادام الله سلامتها وابد كمالها وجلالتها هذا والذي ننهيه ان بعض الافاضل الدمشقيين الاماثل اسمه سعيد افندي الغُوشْلي كان منذ قدومنا الشام تعلق بنا وانخرط في سلكنا فاقمناه للسعي في مصالحنا وبلوغ ما يهمنا من امالنا فجرى في ذلك على احسن منوال ولم يات فيه بما يكدر الصفو او يشوش البال ولم يتخلف له من يوم قدومه عن خدمتنا قدم ولا تعطل له في ضبط امورنا قلم فنروم من فيض احسانكم وعموم امتنانكم ان تشرفوه بنيشان د ولتكم الجليلة من الرتبة الثانية كما انعمت عليه الدولة العلية بالرتبة والنيشان وكذا دولة فرانسا ودولة ايران وما ذاك الا مجازاة لموقعه في خدمتنا ونصيحتنا وقيامه بشؤوننا ونحن نعلم انكم تحبون الاحسان الى من يعاملنا بصدق ويخدمنا بحسن سلوكه في ذلك على ما جرت عليه الاحبه من رعاية مقتضيات المحبة وهذا الطريق الاقوم والاجمل فيبقى واحدة الف عين تشكر ولكم الفضل وانتم اهله ما دمتم

في ٦ جمادى الثانيه سنة ١٢٨٩

المخلص
عبد القادر الحسني

1872



63

الحمد لله وحده وصلى الله على سيدنا ومولانا محمد وآله وصحبه وسلم

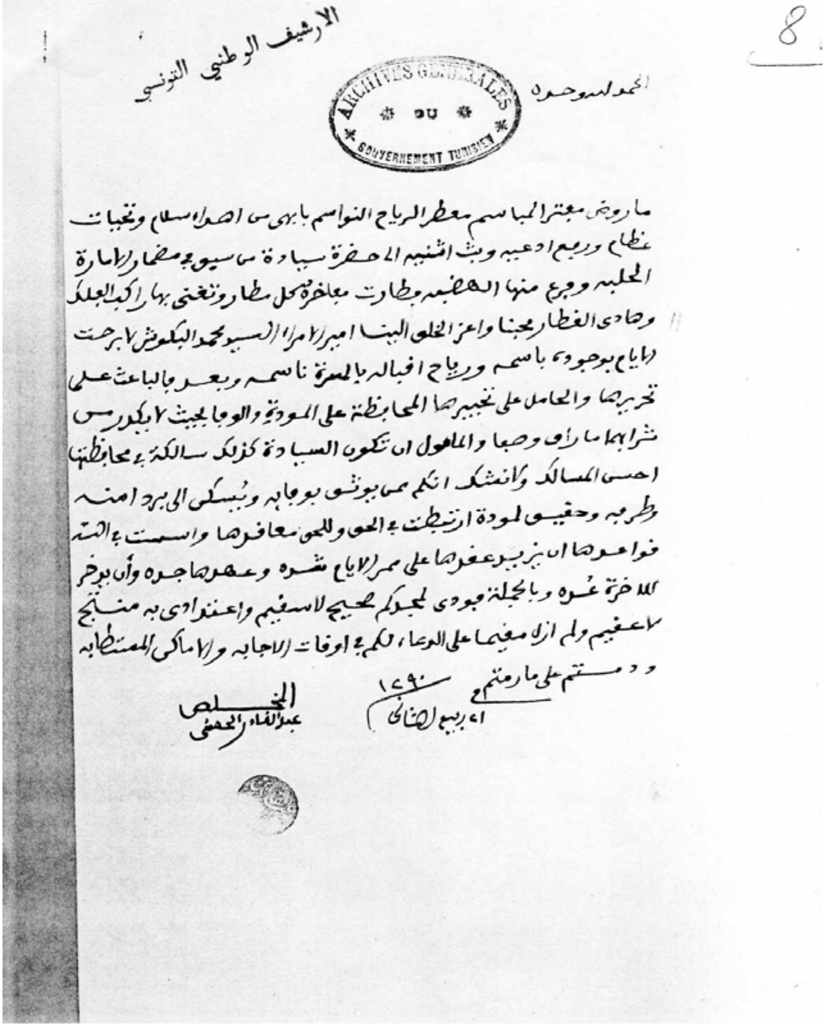
أحلى ما تترشح به كؤوس المودة وأعطر ما تستنشقه الخواطر المستعدة سلام له الود مبتدا ودعاء بروية الصدق عن صميم القلب مسندا وثناء أعبق من شميم الكبا والطف من نسيم الصبا أخص به حضرة إنسان الفضل ومقلة أما فيه وجامع هضبة الكمال وراقي مراقيه تمازجت ما المحاسن أطواقه وما اهتاجت لا لمعالم أشواقه سيادة الوزير الأعظم والأمير الأفخم السيد مصطفى لا أكرم ما زالت الأيام باسمة الثغر بمعاليه والأنام حالية النحر بأياديه وبعد فقد ورد علينا من حضرتكم العلية كتاب يروق الناظر ويسر الخاطر ويغني عن نوره النجم الزاهر محبة المثال الشريف والنيشان السامي المنيف فتلقينا هما بالقبول والتعظيم وقابلناهما بالتكريم والتفخيم إعطاء لمقامهما العالي حقه ولحسن موقعهما المتعالي مستحقه وكيف وقد لاحا عنوانا على حسن النية وصفاء الطوية وتذكرة بالعهد الذي أسست عليه المودة ولا يزداد على توالي الأزمان إلا جدة ثم بلغنا ما شملت الغضية واكواكب القلوب المحبة القلبية وعطر المحافل بالأثنية والأدعية وهو قبول الحضرة العلية للمهاجرين أولاد مغزان وسمحت لهم بالوصول تحت أنظارها السنية والانخراط في سلك مملكتها المحروسة الحميدة فيا لها من مزية عظيمة لا نبلغ بشكرها ولا نزال الناس في طيب ذكرها ثم إن الغائب الكبلوتي كان حضر لطرفنا منذ شهور وهو الآن عندنا يطلب تشفعنا بالمرصوص المقام الأسمى والجناب الأسنى أن يلحقه بهم في الإذن والتمكن ويشمله معهم ومن يلوذ به بما يعهد من المكارم والمنن لا زالت حضرته تتقلد أعناق الرجال بقلائد نعمها وتدبج رياض الآمال بهواطل سحب كرمها وأبقاكم الله ومتع المسلمين بطول بقائكم حيث إنه لم تزل عينكم في اكتساب المحامد متنعمة السنات وصحيفة محياكم كلها قربات وحسنات فلا تنسكم في رد الجواب يطلق سراح هذا المأسور بمسألة الاغتراب والله تعالى يشكر مساعيكم الحميدة وعوائد نفعكم العديدة بمنه وكرمه

الداعي المخلص عبد القادر الحسني

في 2 محرم 1290

1873

جاء بما بيناه من هيئة وأن الكبلوتي منعت من الاجابة لطلبه موانع ...


8

الأرشيف الوطني التونسي

ARCHIVES GÉNÉRALES DU GOUVERNEMENT TUNISIEN

الحمد لله وحده

ما روض معتبر المباسم معطر الرياح النواسم بأبهى من اهداء سلام وتحيات
عظام ورفع ادعية وبث اثنية الى حضرة سيادة مسيو دومضار الامارة
الحلبية وفرع منها الهضبة وطارت معاخرة كل مطار وتغنى بها راكب الفلك
وحادي الغطار محبنا واعز الخلق الينا امير الامراء السيد محمد البكلوش لا برحت
الايام بوجوده باسمة ورياح اقباله بالمسرة ناسمة وبعد فالباعث على
تحريرها والحامل على تحبيرها المحافظة على المودة والوفا بحيث لا يكدر مشربها
ما راق وصفا والمأمول ان تكون السيادة كذلك سالكة في محافظتها
احسن المسالك ولا نشك انكم ممن يوثق بوفائه ويسلك الى برد امنه
طريقه وحقيق لمودة ارتبطت في الحق وللحق معاقدها واسست في الله
قواعدها ان يزيد عقدها على ممر الايام نشوه وعهدها جدة وان يوجد
للاخرة غنوه وبالجملة فودي لمحبكم صحيح لا سقم واعتقادي فيه منتج
لا عقيم ولم ازل مقيما على الوفاء لكم في اوقات الاجابة والاماكن المستطابة
ودمتم على ما رمتم في
١٠ ربيع الثاني سنة ١٢٩٠

المخلص
عبد القادر الحسني


الارشيف الوطني التونسي

ARCHIVES GENERALES DU GOUVERNEMENT TUNISIEN

77

الحمد لله وحده

وصلى الله على سيدنا ومولانا محمد وآله وصحبه وسلم

ما أريض بعنبر المباسم معطر الرياح النواسم بأبهى سلام ساطع نوره
تضاحك نوره الحديقة متى طارت بمباخره كل مطار وتغنى عبد الحمد راكب
الفلك وحادي القطار سيادة الوزير الأعظم والمستشار الأفخم أمير
الأمراء السيد خير الدين لا زال واري زناد السعد فريد العزة والمجد
أما بعد فالباعث على تسطيره والموجب لتحريره المحافظة على المودة
والوفا بحيث لا يتكدر من شراب المحبة ما راق وصفا والمأمول أن تكون
السيادة كذلك هذا وإن ألسنة الأماثل وركابة المهاجرين بذلك
الطرف لم تزل تلهج بما لكم من الخصال الحميدة والمزايا العديدة
ولما أتاني ثناؤهم عليكم أرسالا لا كأنما هب صبا ونسيما لا لزم أن أعلمكم
بمكانهم من الانقطاع الى جهتكم والتحيز الى بيتكم وأن أذكركم بهم تذكرة
حسنة لتعاملوهم بمقتضاها المعاملة المستحسنة جريا على ما
العوائد من إحسانكم وإبقاء لما نالوه من إفضالكم وامتنانكم ولا شك
أن هذا من الأعمال الصالحة وأسنى المساعي الناجحة وحسبكم جزا
أن الحق تعالى أنجحكم بنجحة أنصاره وجمل مواطنكم بما تجملت
به طيبة البهية بمسارة ركبان المهاجرين بثنائكم وتملت
خواطرهم محبة علائكم فبخ بخ لكم على هذه المنقبة العظيمة
والكرامة الجسيمة فلا زلتم ولا تزالون حائزين لرتب الكمال وعلى مثل
مجدكم تحوم طيور الآمال بمنه وكرمه في ... ذي الحجة ٩١

الداعي المخلص

عبد القادر الحسني



الأرشيف الوطني التونسي

ARCHIVES GÉNÉRALES DU GOUVERNEMENT TUNISIEN

الحمد لله وحده

رفع سلام من النسيم ارق والطف من الزهر اذا عبق الى سعادة فخامة الوزير العالي
الراي ما تجلت به الطروس واشهى ما تشنف به المسامع وتطلبه النفوس وبعد فان جناب عزتلو احمد افندي شكري رئيس
الناظم لاشتات المعالي السيد خير الدين باشا الافخم حرس الدين الغر جميع جهاته ومن الكدر صفو اوقاته
اقلام ولاية سوريه الجليله من اهل المعارف والغيره وحائز على الرتبة الثانيه من عواطف الدولة العليه ونيشان المجيديه ونيشان الشمس والاسد من
دولة ايران البهيه وحيث ان الافندي المومى اليه عزيز عندي واعده كولدي فغاية بغيتي ومنيتي ان يكون متشرفا كذلك بنيشان من الدولة التونسيه
السنيه وحيث انني من الديار الغربيه يحصل عندي السرور التام لما اشاهد الرجال الشرقيه مزينة بنياشينكم العليه فارجو من همتكم السنيه اتمام لهذه البغيه
وبذلك اكون بغاية المسروريه من احساناتكم السابقه والطائكم اللاحقه والله تعالى يجعل الايام دائما باسمة الثغور بمعاليكم والانام حاليه
الثغور باياديكم بمنه وفضله ٤ محرم ...

الداعي المخلص
عبد القادر الحسني
الجزائري

صدر لدالمذكور بنشان ... يرسل للسيد ...
السيد عبد القادر محي الدين



الارشيف الوطني التونسي

ARCHIVES GENERALES DU GOUVERNEMENT TUNISIEN

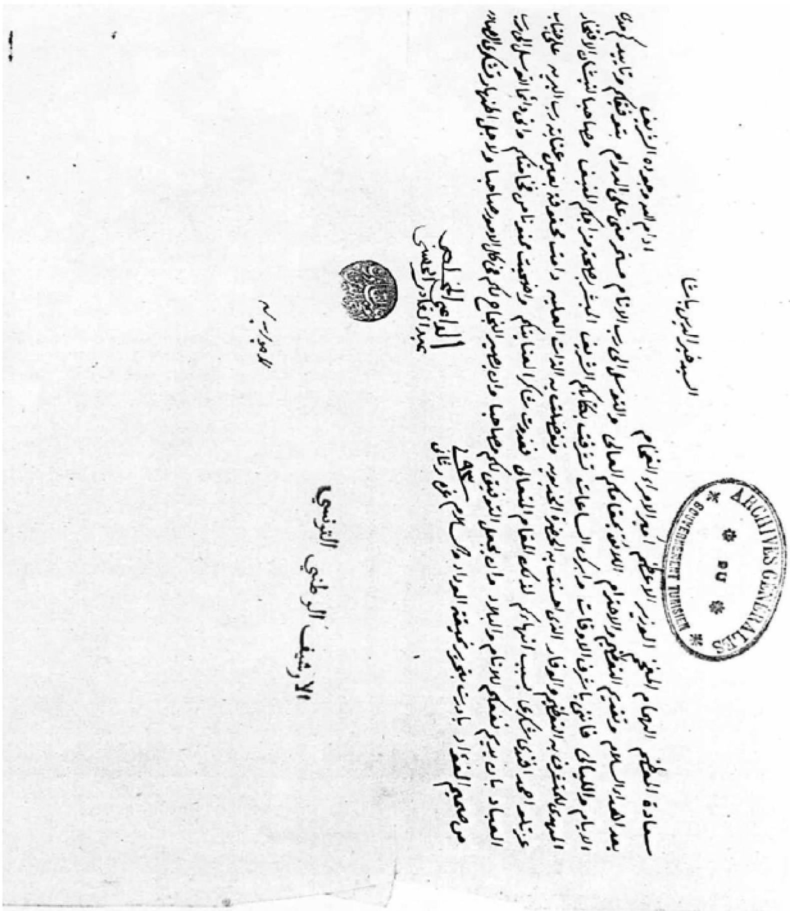
22

الحمد لله وحده وصلى الله على سيدنا ومولانا محمد وآله وصحبه وسلم

ما روض تارجحت ارجاؤه باريج ريحانه وصفلت يد الشمال صحيفة غديرانه
بابهى من اهداء سلام ساطع نوره متضاحك نوره ودعاء اجيبت سائله
ونجحت وسائله الى حضرة تاج الصدور والموالي الحائز انواع المكارم
والمعالي الوزير الاعظم امير الامراء السيد خير الدين باشا الافخم لا زال
تنوّر به الاواخر والاوائل ويعارض بغرته بهيم النوائب فيصبح اما بعد
فاننا لم نزل متمسكين على المحبة التي سلمت عراها من ان يعتريها نقص او نقض
مستمرين على الود الذي هو دائما نحض غض مواظبين على الدعاء لتلك
الحضرة السنية والسؤال على احوالها المرضية ادام الله كمالها وابهج جلالها
وجمالها هذا والذي ينهيه لعلمكم ان القايد بن ناصر بن شهرة الذي
خرج بامركم السامي من المواطن التونسية قد استوطن عندنا بالديار الدمشقية
وقد عاجله الامر فترك ما كان عنده من اثاث ودواب في الوطن الذي كان فيه والان
ارسل وكالة معوضة شرعية الى السيد الحاج المامون بن المكي ليبيع له جميع ذلك
فالمرجو من فضلكم وكمال عدلكم ان تلاحظوا الوكيل المذكور وتساعدوه حيثما
يعرض له من الامور ولا يخفى ان هذا من الاعمال الصالحة والمساعي الناجحة
وانتم ابقاكم الله بكل فضيلة احق والى كل خير اسبق ودمتم كما رمتم

الداعي المخلص
عبد القادر الحسني
الجزايري

في ٨ محرم ١٢٩٣



ARCHIVES GÉNÉRALES DU GOUVERNEMENT TUNISIEN

السيد خير الدين باشا

سعادة المعظم الهمام المفخم الوزير الاعظم امير الامراء الفخام ادام الله وجوده الشريف

بعد اهداء السلام وتقديم التعظيم والاحترام اللائق بمقامكم العالي والتوسل الى رب الانام مستمر مني على الدوام بتوفيقكم وتاييدكم مدى الايام والليالي فانني باشرف الاوقات وابرك الساعات تشرفت بكتابكم الشريف المبشر بصحة مزاجكم المنيف مصاحبا لنيشان الافتخار المهدى للمتشرف به التعظيم والوقار الذي احسنت به الحضرة الخديوية وتفضلت به الذات العلية دامت محفوظة بعين عناية رب البرية على جناب عزتلو احمد افندي شكري بسبب انهائكم لذلك المقام المتعالي فغدوت شاكرا لعنايتكم واضحيت ممنونا من فخامتكم واني دائما اتوسل الى رب العباد بان يديم نفعكم للانام والبلاد وان يجعل التوفيق لكم مصاحبا وان يصير النجاح لكم في كل الامور صاحبا ولاجل الانهاء قدمت شكري الصادر من صميم الفؤاد بادرت بتحرير نميقة الوداد والسلام في غرة ربيع ثاني ٩٣

الداعي المخلص
عبد القادر الحسني

الارشيف الوطني التونسي



ARCHIVES GÉNÉRALES DU GOUVERNEMENT TUNISIEN

الحمد لله وحده

حضرة الهمام الارفع والعلا الأمام الانفع الصدر الافخم والوزير الاعلم السيد خير الدين باشا ادام الله سعوده وجعل لاوج المعالي دائما صعوده اما بعد اهداء سلام مفتح بطيب الوداد وبث شوق صادر من صميم الفؤاد فان الموجب لتسطير هذه النميقة الحبيبة اولا الاستفسار عن ذاتكم العلية حيث ان سروري لا يوصف بورود اخباركم السارة المرغوبة واترقب في كل الاوقات رسائلكم الشريفة المحبوبة وثانيا غير خافي على حضرتكم الحديث الشريف وهو تهادوا تحابوا والمحبة وان كانت بيننا لله الحمد حاصلة وهي مع بعد المسافة بشفاعة الارواح متواصلة فالمحب مولع بالطمع دائما والزيادة وان كان الطمع مذموما في غير هذه المادة فالان مرسل من مخاصيكم الى حضرتكم العليا بقصد التبرك من اشغال مدينة سيدنا يحيى وهو وان كان شيئا لا يذكر بالنسبة لمقامكم العلي الاكبر فمعلوم لكم ان هدية الاحباب ليست مقصودة لذاتها ولا المطلوب منها عظيم لذاتها وانما المقصود تصديقها للمحب بتذكر مهديها فرجائي من الطفكم الاشهر التفضل بقبولها مع غض النظر اسأل الله ان يجعلها موجبة للسرور المقرون بالتوفيق الدائم والحبور واني مقيم على المحبة والدعاء على الدوام والتوسل الى الباري بحفظ ذاتكم الشريفة والسلام

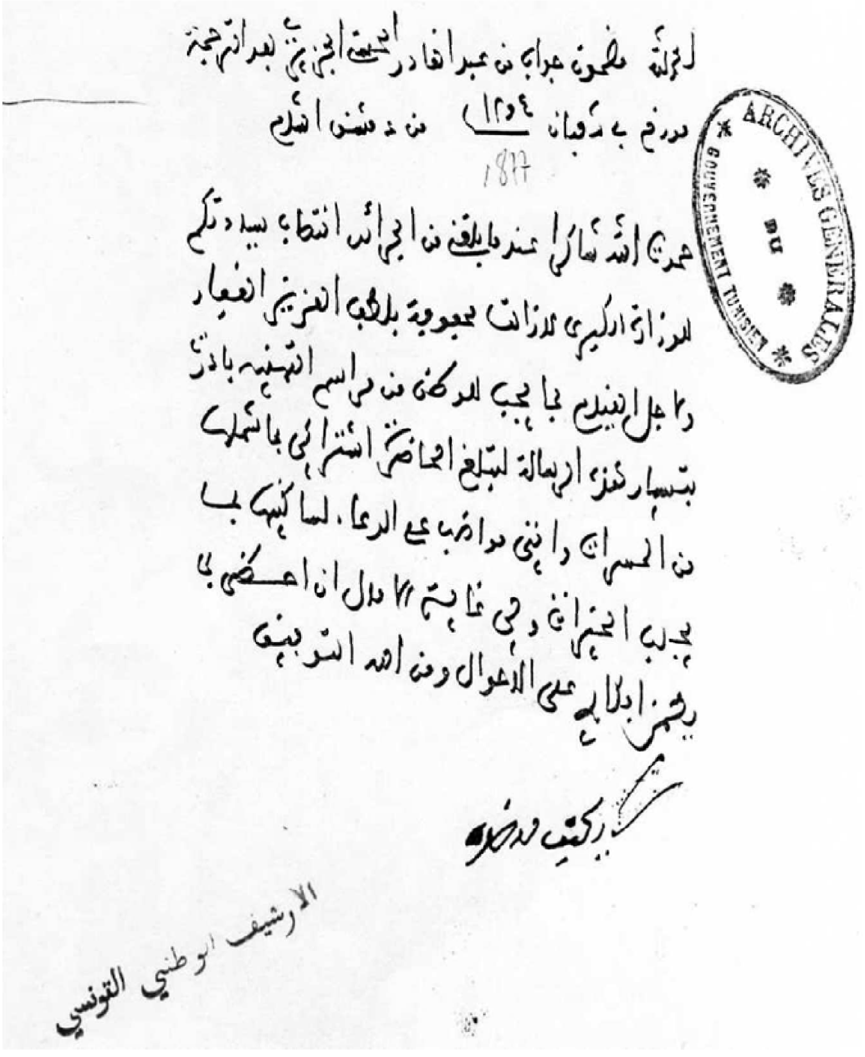
٢٦ صفر ١٢٩٠

الداعي المخلص
عبد القادر الحسني

الارشيف الوطني التونسي

يجاوب به نيابة عنا [illegible]
[illegible]

[illegible]


لترجمة مضمون جواب من عبد القادر [illegible]
مؤرخ في شعبان ١٢٩٤ من دمشق الشام
1877
حمدت الله شاكرا عندما بلغني من الجرائد انتخاب سيادتكم
للوزارة الكبرى للدولة المحفوفة بالملك العزيز الفخار
لأجل القيام بما يجب لدي من مراسم التهنئة بادرت
بتسيار هذه الرسالة لتبليغ الحاضرة اشترائي بما شملك
من الحسنات وانني مواظب على الدعاء لما [illegible]
يجلب الخيرات وفي غاية لا بد ان اختصر [illegible]
يحفظ ابقاءكم على الاحوال ومن الله التوفيق
[illegible]

ARCHIVES GENERALES DU GOUVERNEMENT TUNISIEN

الارشيف الوطني التونسي



الأرشيف الوطني التونسي

ARCHIVES GENERALES DU GOUVERNEMENT TUNISIEN

91

الحمد لله وحده

مقام رب السيف والقلم والفضائل والحكم والمجد الأقدم

المقام العظيم قدره الجليل عزه وفخره مسند الوزارة العظمى والمنصب الأعز الأسمى

وزير الأمراء وأمير الوزراء سعادة محمد باشا الأعظم لا زال رفيع القدر والهمم أما بعد أهداء واجب المقام الجليل من الاحتفال والتبجيل

فقد تلقيت بيد التكريم كتابكم الكريم وتلوته بكمال السرور وابتهاج العيون والصدور حيث بشرني بدوام عز وجودكم ومزيد إقبالكم

وسعودكم وشكرت الله تعالى على صفاء مودتكم الحميده ووفور نعمة رفاهية ذاتكم المجيده ادام الله نماء وفي السعادة ارتقاءها وعلاء است

الوزارة الكبرى بقاءها هذا ولما كان السيد چنانشي وسوابريني حاكم دائرة العسكر في بلاد الجزاير قد اقام ثم من سنة ١٨٤٦ الى الان

وتزوج وله ستة اولاد ونوادر وخدم الدولة الفرنساوية في تلك البلاد اكثر من ثلاثين سنه وحصل نيشانا من الرتبة الاولى المستحسنة

وله اخوان معتبران احدهما اي دوزبون جنرال كبير حاكم مدينة لانشي وحائز نيشان يسمى الحالة والثاني قبطان بمدينة

باريز ومعه نيشان الوردة من الابريز وكان ذلك من افضل المخلصين الينا والمظهرين تمام المحبة لدينا وله عناية وافية باحترام

اخواننا في الجزاير ورعاية كافية لكافة اخصائنا وارد او صادر فنرجوا لمكافاة له على حسن هذه الحالة التفضل عليه بالنيشان ذي

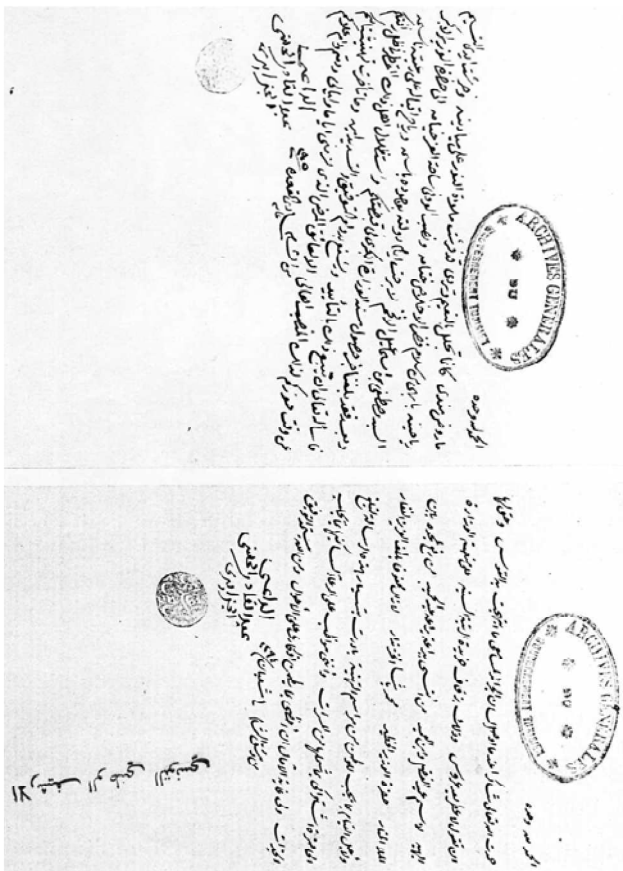
الشان الفاخر والاحسان اليه بالانعام بهذا الوسام الزاهر حسبما عودتنا اسلافكم الكرام بالانعام على اخصائنا وذوي الاحترام وبه

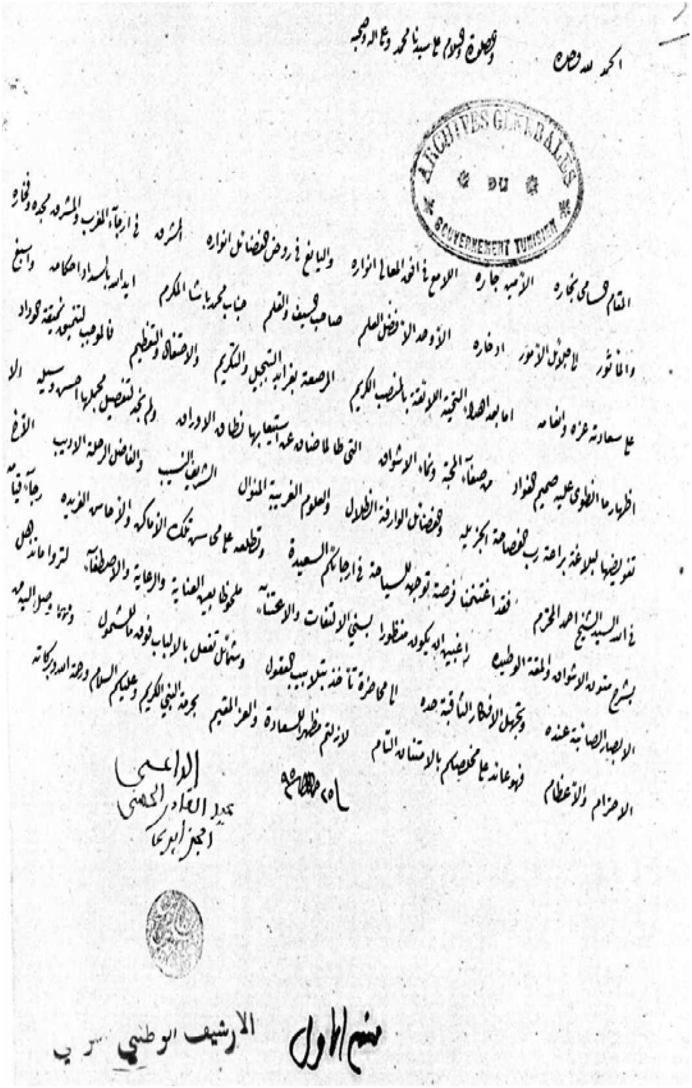
تستوجبون جزيل شكرنا وثنائنا ومزيد امتناننا بقبول رجائنا ادام الله مقامكم منهلا لكل قاصد وموئلا للمكارم والمحامد والسلام

من الشام في غرة ذي القعدة ١٢٩٤

الداعي المخلص
عبد القادر الحسني
الجزايري

نيشان الرابع





الحمد لله وحده وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه

المقام السامي مجاره الاسمى جاره اللامع في افق المعالي انواره والبانع في روض الفضائل ازهاره المشرقة في ارجاء المغرب والمشرق مجده وفخاره

الاوحد الافضل العلم صاحب السيف والقلم جناب محمد باشا المكرم ابداه بانسداد احكامه واسبغ

والمآثور لا مجهول الامور ادخاره ... والاصغاء والتعظيم فالموجب لتنميقه تحرير

على سعادته عزه وانعامه اما بعد اهداء التحية اللائقة بالمنصب الكريم الرصعة بفرائد التبجيل والتكريم ولم نجد لتفصيل محلها ... الا

اظهار ما انطوى عليه صميم الفؤاد من صفاء المحبة ونماء الاشواق التي طالما ضاقت عنه باستيعابها نطاق الاوراق ... الشاب النجيب والفاضل الرحلة الاديب الالمعي

تقرر فيها بلاغة براعة رب الفصاحة الجزيلة والفضائل الوارفة الظلال والعلوم الغريبة المنوال ... رجاء فيما

في الله السيد الشيخ احمد المحترم فقد اغتنمنا فرصة توجهه للسياحة في ارجائكم السعيدة ... والاعتناء ملحوظا بعين العناية والرعاية والاصطفاء لتروا منه الجل

بشرح منوال الاشواق والمحبة الوطيد رغبة ان يكون منظورا بعين الالتفات ... وشمائل تفصل بالالباب فوق ما شمول ... وعليكم السلام ورحمة الله وبركاته

الابصار الصافية عنده ... لا زلتم مظهر السعادة والعز المقيم بحرمة النبي الكريم

الاعزاز والاعظام فهو عائد على محبكم بالامتنان التام

الداعي
عبد القادر الحسني
الجزائري

الأرشيف الوطني ...


90

ARCHIVES GENERALES DU GOUVERNEMENT TUNISIEN

الحمد لله وحده وصلى الله على من لا نبي بعده

بابهى من سلام كالورد مبتدا ودعاء بربه الصدق عن القلب مسندا زففهما الى حضرة من سبق في ميدان

المعارض مفتر المباسم معطر الارياح النواسم لا زالت ايام الدولة الصادقية بوجودكم

الوزارة الحليه وافترع من الرئاسة الاهضبه سعادة الوزير المعظم امير الامراء السيد مصطفى بن اسماعيل المفخم وعمرتم رباع الفضل والعدل اللذين عليهما

باسمه ورياح اقبالكم على المملكة الافريقيه ناسمه وبعد فانكم لما رفعتم رايات الكمال على شامخ سياستكم لما فيه صلاح البلاد

مدار سيادتكم اصبحت سوق المفاخر لديكم نافقه وعيون الامال اليكم رامقه نسال الله تعالى ان يزيدكم توفيقا وارشادا قد تاكد عندنا من سيرتها

والعباد لهذا ان الموسيو ليونس جيزيو جوج مدينة ام عسكر بولاية الجزائر وخليفته الموسيو فابريل طيراس

في الاحكام الشرعية والرفق بالمسلمين فيما يعرض لهم من الاقضية لاسيما اقاربنا هناك ما اوجب لهما حسن المكافاة وجميل الثناء وبناء

على ذلك قدمنا هذه النميقة الوداديه الى حضرتكم السنيه رغبة في حسن التفاتكم اليهما ورجاء ان تشرفوا كلا منهما بنيشان

الافتخار جزاء لفعلهما الحميد وتنشيطا لحالهما ومخلصكم يعلم انكم ابقاكم الله تحبون الخصال الحميده وتحبون اهلها وانكم

تراعون محبة مخلصكم اليكم وتلاحظون من يحبنا ويفعل المعروف مع اقاربنا لاجلنا فلا تخيبوا املنا فيكم واسلافكم

قدعودونا على الفضل والاحسان وعودونا بما لا نقدر على الوفاء بشكره والله تعالى يبقيكم ومن كل سوء يقيكم امين

من دمشق الشام 25 جمادى الاولى 1299

الداعي عبد القادر بن محي الدين الجزايري

القسم الاول

الارشيف الوطني التونسي

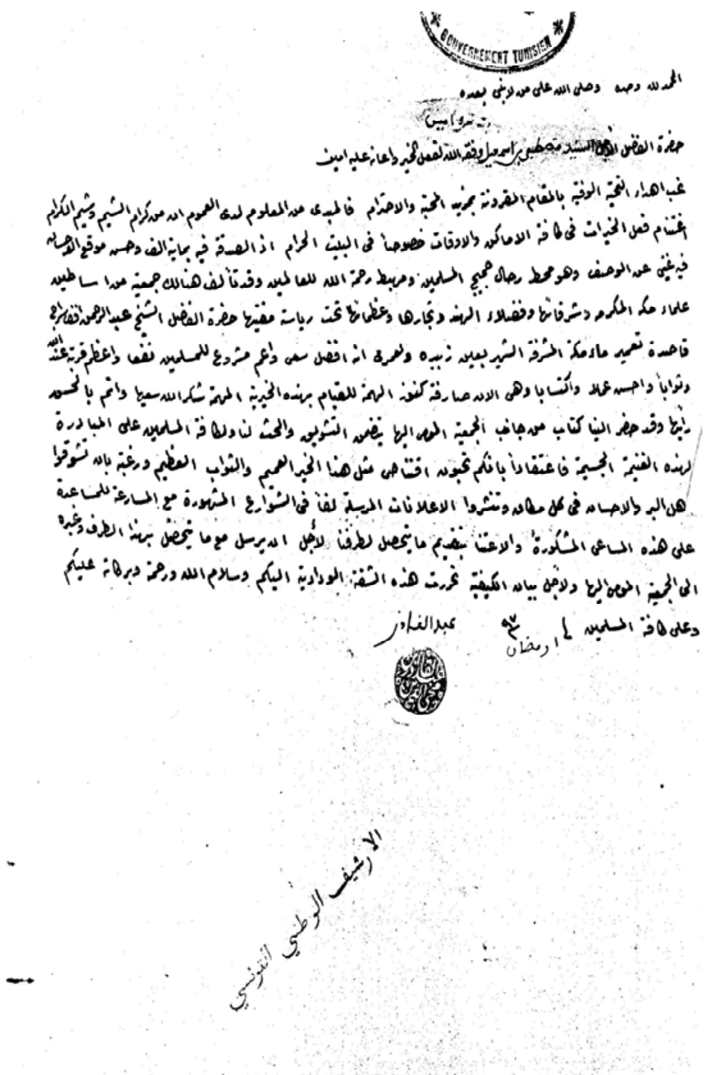
الأرشيف الوطني التونسي

الحمد لله وحده صلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم

حضرة الوزير الاعظم الهمام الافخم السيد مصطفى بن اسمعيل
ادام الله سموها وعلاها وسلام على تلك الحضرة ورحمة الله
وبعد فاننا نحمد الله لنا ولكم على العافية ونشكره على نعمه الوافية
ونسئل الله لنا ولكم دوام رضاه هذا وان السيد علي بن فرحات
قد جاء الى الشام منذ ايام وربما يكون قد احس ببعض عرض الطرد
من حضرتكم وها هو قد ابدى لحضرتكم عذره وان كان لكم اذى وما
يكدر صدره فلتمسنا من حضرتكم الصفح الجميل ونيل الخير الجزيل
لا يزال بنا لما نتحققه من محبتكم الاكيدة مع جانبنا ما نأمل من
حضرتكم وحسن شيمكم ان تقابلوه بالاحسان وقبول العذر
والامتنان وتأذنوا له بالرجوع الى وطنه ومسقط راسه
اذ انتم اهل لذالك واعلم بما هنالك وبذالك تصيرونا ممنونين
دام عز دولتكم ودمتم

حرر في ٢٤ جمادى الثانية
عام ١٢٩٧

الداعي
عبد القادر الحسني
الجزائري



GOUVERNEMENT TUNISIEN

الحمد لله وحده وصلى الله على من لا نبي بعده

حضرة الفاضل الأجل السيد مصطفى بن اسماعيل وفقه الله لفعل الخير دائما عليه امين

بعد اهداء التحية الوفية بالمقام المقرونة بمزيد المحبة والاحترام فالمبدى من المعلوم لدى العموم ان من كرام الشيم وشيم الكرام اغتنام فعل الخيرات في كافة الاماكن والاوقات خصوصا في البيت الحرام اذ الصدقة فيه بمائة الف وحسن موقع الاحسان فيه غني عن الوصف وهو محط رحال جميع المسلمين ومهبط رحمة الله للعالمين وقد تألف هنالك جمعية من اساطين علماء مكة المكرمة وشرفائها وفضلاء الهند وتجارها وعظمائها تحت رئاسة مفتيها حضرة الفاضل الشيخ عبد الرحمن [illegible] قاعدة تعمير ماء عين مكة المشرفة الشهيرة بعين زبيدة ونعرف انه افضل سعي واعظم مشروع للمسلمين نفعا واعظم قربة عند الله وثوابا واحسن عملا واكتسابا وهي الان صارفة كنوز الهمة للقيام بهذه الخيرية المهمة شكر الله سعيها واتم بالنجاح [illegible] وقد حضر الينا كتاب من جانب الجمعية المومى اليها يتضمن التشويق والحث لذوي الطاقة من المسلمين على المبادرة لهذه الخيرية الجسيمة فاعتقادا بانكم تحبون ان تساهموا في مثل هذا الخير العميم والثواب العظيم ورغبة بان تشوقوا اهل البر والاحسان في محل ساداتكم وتنشروا الاعلانات المرسلة لفا في الشوارع المشهورة مع المسارعة للمساعدة على هذه المساعي المشكورة والاعتناء بتقديم ما يتحصل لطرفنا لاجل ان نرسل مع ما يتحصل من هنا الطرف وغيره الى الجمعية المومى اليها ولاجل بيان الكيفية تحررت هذه الشقة الودادية اليكم وسلام الله ورحمة وبركاته عليكم وعلى كافة المسلمين في [illegible] رمضان

عبد القادر

الأرشيف الوطني التونسي

الأرشيف الوطني التونسي

الحمد لله وحده   صلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم

جناب ذي السجايا الحميدة والمزايا العديدة أمير الأمراء الوزير الأفخم السيد مصطفى بن إسماعيل
الأفخم أسعد الله أيامكم وعمر بالمسرات أوقاتكم وسلام الله التام ورضوانه السابغ الأعم
يتوالى على حضرتكم ومن لدن جنابكم وبعد أتم السؤال عن السنية أحوالكم [illegible]
الحمد لله على وفق مرادكم جاءنا [illegible] لنا [illegible] على العافية [illegible] وإن ما
ذكرتم الشيخ [illegible] كتابه [illegible] التمس [illegible]
[illegible] وأسأل الله لكم التوفيق لما يحبه [illegible] ودمتم

حرر يوم السبت
ثامن رمضان المعظم
عام ١٢٩٧

الداعي
عبد القادر [illegible]
الجزائري

عن ظروف ترحيل الأمير عبد القادر إلى فرنسا

قراءة في رسالة نادرة لسنة 1848

د. عابد سلطانة، جامعة معسكر

لا تزال فترة إنهاء الأمير عبد القادر للمقاومة المسلحة و ترحيله إلى فرنسا أواخر سنة **1847** ، من الفترات التاريخية التي يكتنفها الكثير من الغموض ، و تحوم حولها الكثير من التساؤلات وذلك راجع في رأينا المتواضع إلى سببين أساسيين:

أولا : قلة المصادر و الوثائق الأرشيفية التي تلقي الضوء على واقع المقاومة بين سنتي **1846**و**1847** ، خاصة لما نعلم أن أطراف الصراع في هذه الفترة التاريخية هم : الأمير عبد القادر ، الفرنسيين، وسلطان المغرب.

ثانيا : عدم اهتمام البحث التاريخي الوطني بتاريخ هذه المرحلة المتأخرة من مقاومة الأمير عبد القادر ، مما كرس فراغا رهيبا في الدراسات الأكاديمية حول هذه الفترة .

من خلال هذه المساهمة سنسعى إلى تسليط الضوء على وصول الأمير عبد القادر إلى فرنسا في أول جانفي **1848** ، خاصة ظروف رحلته من ميناء وهران إلى ميناء طولون بفرنسا❖ و ذلك من خلال عرضنا لوثيقة تاريخية نادرة للأمير عبد القادر تعود لسنة **1848**، هي عبارة عن رسالة كاتب فيها الأمير القبطان Dagon de la courterie قائد القوات البحرية الفرنسية ، بشكره فيها على مالقاه من حسن رعاية هو و مرافقيه أثناء الرحلة بين ميناء وهران و ميناء طولون، لكن و قبل التعرض إلى مضمون هذه الوثيقة لا بأس من تحديد مصدرها وخصائصها التقنية و الأرشيفية .

❖ غادر الأمير الجزائر في **25** ديسمبر **1848** من مرفأ الغزوات ، و كان يرافقه **102** من القادة العسكريين ، الطلبة ،العبيد، الجواري،و أفراد

عائلته و عند وصول السفينة لاصمودي L'Assmodée إلى ميناء وهران تم ترحيلهم على متن سفينة أخرى ، نقلتهم من ميناء وهران إلى ميناء طولون.

مصدر الوثيقة :

الرسالة عثرنا عليها بأرشيف SHAT (المصلحة التاريخية للقوات البرية)، بقسم المراسلات العامة السلسلة **1**H.❖

وهذا القسم يحتوي مجموع المراسلات المتبادلة بين الضباط الفرنسيين ووزارة الحربية الفرنسية ، وتلك المتبادلة بين الضباط الفرنسيين و الزعامات الجزائرية من الأمير عبد القادر إلى مصطفى بن التهامي ، أحمد باي ، حمدان خوجة، بومعزة...إلخ.

المواصفات التقنية للرسالة :

الرسالة مكتوبة على ورق من الحجم المتوسط

المداد: المداد التقليدي

الأختام : الرسالة تحمل ختمين ، الختم الأول في أعلى الرسالة ذو شكل دائري لمصلحة التاريخية لأرشيف وزارة الحربية الفرنسية .

الختم الثاني وهو ختم الكولونيل "دوما"، و يقع في اخر الشهادة الذي أرفقها للرسالة وهو ختم دائري نقش بداخله "آغا دوما" وهو ختم دوما لما أصبح آغا العرب.

الصيغة الإفتتاحية : التحميد

ذكر المرسل : عبد القادر بن محي الدين

ذكر المرسل إليه : الكماندانت لاقوندي لاكونترى

ذكر وظيفة المرسل إليه : امتاع عسكر البحر

تاريخ كتابة الرسالة : حسب النص المترجم في **19** جانفي **1848**

مكان كتابة الرسالة : قلعة لامالق la malgue بمدينة طولون .

بداية الرسالة : الحمد لله وحده

نهاية الرسالة : و الكلام الطيب و السلام

نوع الخط : مغربي عادي

لون الحبر : بني

وجود الأصل : أرشيف وزارة الحربية ، بقصر فانسان

❖ المحفوظة **18481** dec **31**/ dec **25** H Oran

ملاحظات على الرسالة :

إن القراءة المتأنية لهذه الرسالة النادرة ، تجعلنا نقف على عدة ملاحظات أهمها :

1- غياب تاريخ الرسالة ، عدا التاريخ المرفق بالترجمة وهو تاريخ **19** جانفي **1848** و التاريخ الثاني : الملحق بالنص العربي الأصلي، شهادة موثقة من الكولونيل دوما على أن هذه الرسالة كتبها الأمير عبد القادر بخط يده بقلعة لا مالق la malgue ، ليبقى التساؤل قائما ، هل كتب الأمير عبد القادرهذه الرسالة بعد وصوله إلى هذه القلعة أم أيام بعد ذلك؟، خاصة إذا علمنا ظروف تحويل الأمير من تولون إلى هذه القلعة و التي أتى على ذكرها رفيق الأمير و خليفته مصطفى بن التهامي في سيرته حين يقول" **وصلنا مرسى اطلون في الثاني و العشرين من المحرم و رأينا حينئذ من الإحسان و الإعظام و التوقير من كبراء افرنسا لا سيما الميرانتي مالا يحظر على بال. ثم انزلنا على يده في برج متسع حسن ذا ماء و أشجار يزهى الناظر و يسلي الحزين...**" (1)

ثم يأتي ابن التهامي على ذكر تفاصيل ترحيل الأمير عبد القادر ورفقائه إلى قلعة لامالق، فيقول :" **ووزير القيرة إذ ذاك اثريزيل فوجه لنا صاحبه و**

كاتبه لور لينقلنا من موضعنا الذي انزلنا فيه الميرانتي إلى برج اطلون فينقلونا ليلا ووقع لنا في ذلك غم من جهات: أهمها: ان هذا البرج يسمونه السجن..."(2)

و عليه فإنه يمكننا إفتراض تاريخ هذه الرسالة في الفترة التي وصل فيها الأمير عبد القادر إلى مرفأ طولون و حسن إستقباله من طرف رئيس بلديتها أي قبل تحويل الأمير إلى قلعة لا مالق كأسير.

1- مصطفى بن التهامي، سيرة الأمير عبد القادر و جهاده، تحقيق و تقديم و تعليق ، الدكتور يحي بوعزيز، دار الغرب الإسلامي بيروت ، **1995** ، ص**176**.

2- نفس المرجع

2- خلو الرسالة من الختم الخاص للأمير عبد القادر ، تجعلنا نعتقد أن الأمير عبد القادر و خلال مفاوضاته و اتفاقه مع الجنيرال دولامور يسير يكون قد سلم إلى الدوق دومال ختمه الخاص وهو بالمناسبة ختم الدولة التي كان يجسدها ، في خضم تسليمه لفرسه الشهباء و سيفه و كلها رموز للسلطة التي كان يمثلها الأمير عبد القادر ، فمن النادر أن نعثر على رسالة للأمير عبد القادر دون ختم ، وهذا ما جعل الكولونيل "دوما" يتدخل في أسفل الرسالة ليوثقها أنها فعلا للأمير عبد القادر و كتبت بخط يده، فدوما يعتبر من أكثر الضباط الفرنسيين إطلاعا على إدارة دولة الأمير ، و ديوان إنشائه ، من حيث أنه كان قد شغل منصب قنصل فرنسا بمعسكر بين سنتي **1837**- **1839** و ذلك عقب توقيع معاهدة تافنة سنة **1837** في **30** ماي. **(1)**

عن تعيين الكولونيل "دوما" مرافقا للأمير عبد القادر عند ترحيله إلى قلعة (حصن) لامالق يقول مصطفى بن التهامي :" ووجه **لمؤانستنا الكرنيل دوماص كان قونص عندنا بأم عسكر لكونه يعرفنا ونعرفه، وهو الآن كنينيل دوماص له ذهن عارف و لسان حاد و يعرف مقاصدنا و كلامنا**

لتعلمه العربية عندنا مدة من سنين لم ير عندنا إلا ما يراه الحبيب من حبيبه و الخليل من صديقه الملاطف..."

وقد وثق "دوما" هذه الرسالة بالشهادة التالية

je certifie que la lettre arabe ci -dessus à été écrite en entier ,de la main de l'ex Emir Abdelkader

fort la malgue le **29** janvier **1848** le colonel, la direction des affaires arabes .

أشهد أن الرسالة العربية أعلاه كتبت بكاملها بيد الأمير عبد القادر سابقا

قلعة لامالق في **29** جانفي **1848**

الكولونيل الإدارة المركزية للشؤون العربية في مهمة لدى الأمير عبد القادر

و بناء عليه فإنه يمكننا إعتبار شهادة الكولونيل "دوما" تعويض عن غياب الختم الخاص بالأمير عبد القادر، خاصة لما يشهد أن هذه الرسالة كتبت من طرف الأمير السابق، وهو في مهمة لدى الأمير عبد القادر ، الذي لم يعد أميرا.

1- عن مهمة القنصل دوما بمعسكر ،أنظر كتاب جورج إيفر

Yver (G) les correspondances du capitaine Daumas, consul de France à Mascara **1837-1839**, Geuthner Alger **1912**.

2- مصطفى بن التهامي ، المصدر السابق ، ص **178**

3- الترجمة المرفقة مع الرسالة نجدها كذلك موثقة من طرف "دوما" و الذي يشهد على أن هذه الترجمة قام بها المترجم الرسمي لملك فرنسا ومما يسترعي إنتباهنا في هذه الشهادة أن الكولونيل وقعها تحت إسم أوجين السيعد Eugene L'heureux

الأهمية التاريخية للرسالة :

الأهمية التاريخية لهذه الوثيقة أنها من بين الوثائق القليلة التي تؤكد لنا أن الأمير عبد القادر رحل من ميناء وهران إلى ميناء طولون بفرنسا في ظروف حسنة ورعاية مميزة له و لمرافقيه من طرف القائمين على السفينة التي أقلتهم نحو فرنسا ، مما يؤكد أن الأمير عبد القادر رحل كشخصية حرة ملتزمة بما تم الإتفاق عليه و ما الرعاية و التفقد للأطفال بالهدايا من طرف القبطان دولاكورتري إلا دليل على الوضع المميز للأمير عبد القادر و هو يغادر الجزائر.

الخاتمة :

في ختام هذه المساهمة، نرجوا أن نكون قد ساهمنا ولو بشكل بسيط في تسليط الضوء على تفاصيل و حيثيات ترحيل الأمير عبد القادر من الجزائر إلى فرنسا آملين أن نستكمل هذا الموضوع بوثائق من شأنها أن تمدنا بالصورة المتكاملة عن إنهاء الأمير للمقاومة و مغادرته أرض الجزائر في **25** ديسمبر **1847**.

ختم المصلحة التاريخية لأرشيف وزارة الحربية

الحمد لله وحده

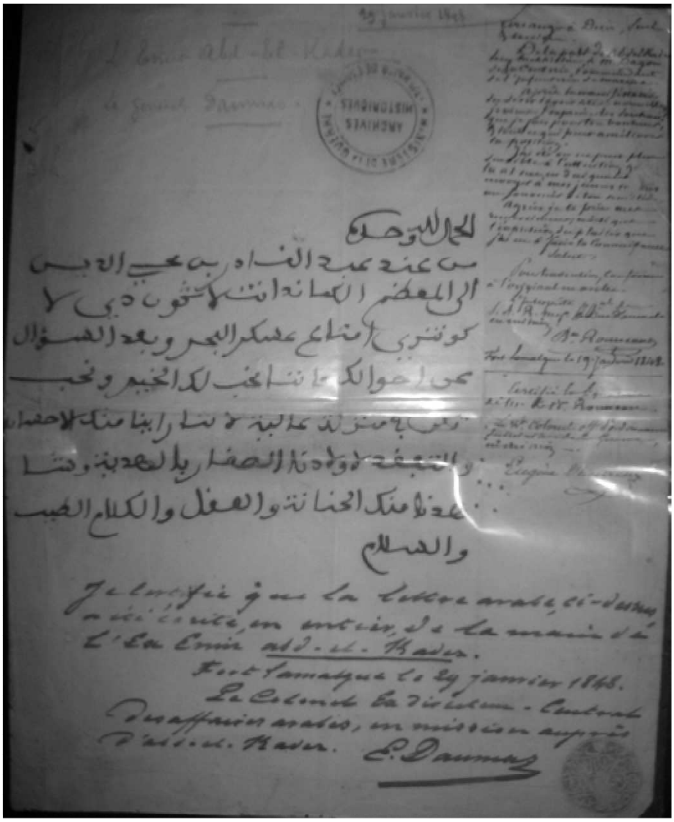
من عند عبد القادر بن محي الدين إلى المعظم الكماندانت لاقون دي لاكونتري امتاع عسكر البحر و بعد السؤال عن أحوالك فإننا نحب لك الخير و نحب تكن في منزلة عالية لأننا رأينا منك الإحسان و التفقد لأولادنا الصغار بالهدية و شاهدنا منك الحنانة و العقل و الكلام الطيب و السلام .

je certifie que la lettre arabe ci -dessus à été écrite en entier, de la main de l'ex Emir Abdelkader

fort la malgue le **29** janvier **1848** le colonel la direction des affaires arabes, en mission auprès d'Abdelkader

E Daumas

الختم


الحمد لله وحده
من عند عبد القادر بن محي الدين
الى المعظم الكماندانت لشتون دي
كونتري امتاع عسكر البحر وبعد السؤال
عن احوالك انا نحب لك الخير ونحب
عدنا منك الحنانة والفعل والكلام الطيب
والسلام

Je certifie que la lettre arabe ci-dessus a été écrite, en entier, de la main de l'Ex Emir Abd-el-Kader.
Fort Lamalgue le 29 janvier 1848.
Le Colonel Ex-Directeur Central des affaires arabes, en mission auprès d'Abd-el-Kader.
E. Daumas

البيليوغرافيا

المصادر : الأرشيف

أرشيف وزارة الحربية الفرنسية : المصلحة التاريخية للقوات البرية SHAT

قسم المراسلات العامة **1**H

1 1848-décembre-**25-31** Oran **48**H

II- المصادر المطبوعة

مصطفى بن التهامي سيرة الأمير عبد القادر و جهاده، تحقيق الدكتور يحي بوعزيز، دار الغرب الإسلامي، ،بيروت، **1995**

ملابسات الأيام الأخيرة لمقاومة الأمير عبد القادر من خلال أدبيات المخزن المغربي ومذكرات الأمير

لصر الدين لعوج، جامعة سيدي بلعباس

ساهمت العديد من مؤلفات السير الذاتية العربية والأجنبية في التأريخ لحياة الأمير عبد القادر الجزائري[1]، عرفت به كمعلم من معالم الإنسانية، وكشفت عن مكامن عبقريته، باعتباره عالما مجاهدا، وزعيما سياسيا وطنيا، وعسكريا فارسا مغوارا، وفقيها متصوفا ناسكا، وشاعرا أديبا بارعا، ودبلوماسيا إنسانيا ناجحا،باختصار مثل الشخصية الجزائرية الأكثر كاريزمية التي تمثل الزعامة الملهمة القائدة والفاعلة، وهو حتى اليوم في قائمة مشاهير وصناع التاريخ الإنساني[2].

لكن ظلت ولا تزال مسألة التأريخ للجزائر خاضعة للأهواء والإيديولوجيات، سواء التدميرية الاستعمارية، أو حتى الوطنية والقومية التمجيدية، خصوصا ما أطلق عليه مؤرخ فرنسي معاصر: " التاريخ المشكل"[3]، وهو ما تعانيه خاصة مرحلة نهاية مقاومة "الأمير عبد القادر"(**1843**- **1847** م) في الإيستوغرافيا المغربية[4]، التي تتضمن اتهامات متبادلة من الجانبين، نذكرها هنا فقط من جانب الأمانة العلمية، شريطة وضعها في إطارها الاستثنائي المرتبط بالظروف المحلية والإقليمية والدولية للحدث، لأنها تظل سحابات عابرة ظرفية، وغير استثنائية في تاريخ العلاقات الدولية،ولا يمكن أبدا أن تؤثر على روح ثوابت الإخاء ووحدة مصير الشعبين الشقيقين الجزائري والمغربي مهما اشتدت الصراعات السلطوية، والمزايدات السياسية.

- فكيف تناولت هذه الوثائق والمصادر المغربيةنهاية مقاومة الأمير عبد القادر على يد

المخزن المغربي في معركة تازة يوم **1847/12/11** م قبل اثني عشر يوما من قراره وضع السلاح وتوقيف القتال؟

- وما هي تداعياتها على الإخوة الأعداء (الأمير عبد القادر والسلطان عبد الرحمان)؟
- وما موقف الأمير عبد القادر منها من خلال مذكراته؟
- وما هي العبر التي يمكن استخلاصها؟

اختلف الدارسون المغاربة في وصف معركة تازة في **1847/12/11** م /**1** محرم **1264**هـ بعدة مصطلحات: "مناوشات عسكرية"، "حادثة"، "معركة"، ووصفها الأمير بالاصطدامات الثلاثة ضد الجيش المغربي[5] بنواحي منطقة مدينة تازة الواقعة غرب الضفة اليسرى لنهر ملوية، وسط بلاد البرانس وقبائل قليعة شمال وسط المغرب الأقصى، حيث علا شأنه بين القبائل المغربية كمجاهد رفض الاستسلام، وهي آخر معارك الأمير عبد القادر – للأسف- هذه المرة ضد تحالف الجيش النظامي المغربي، الذي كان يتكون من خمسة عشر ألف جندي من الفرسان والرماة بقيادة ولي العهد" محمد بن عبد الرحمان"، وجيش آخر بقيادة أخيه " المولى أحمد" يقود قبائل الحياينة بنواحي فاس، وحامية تازة بقيادة عاملها "بوزيان بن الشاوي"، وعامل وجدة بقيادة "حميدة الشجعي"، حيث نجحت في تطويق جيوش الأمير، والضغط على القبائل المغربية الموالية له للانسحاب، على أساس أن السلطان هو الوحيد المخول له إعلان الجهاد أو تركه [6].

وتعلل الرواية المغربية ظروف وعوامل المعركة بعاملين متناقضين هما :

1/ واقعية وحنكة وخبرة السلطان عبد الرحمان الذي تصفه الوثائق المغربية أنه قدر الموقف حق قدره، وأن زمن مواجهة ومقاومة فرنسا قد ولى، وأن ميزان القوة تحول لصالح فرنسا ، وأن السلطان تعب في استعمال كل الوسائل الدبلوماسية لإقناع الأمير عبد القادر بالعدول عن مهاجمة

الفرنسيين لكن دون جدوى، فأصبح همه الوحيد هو فك الارتباط الروحي بين القبائل المغربية والأمير، فاستعمل كل وسائل الضغط على هذه القبائل لدفعها للتخلي والابتعاد عن دعمه واحتضانه، يقول السلطان عبد الرحمان في إحدى رسائله لعامله على مدينة العرائش"بوسلهام بن علي" مؤرخة في **1845/01/3**

«... ها نحن كتبنا على كل قبيلة ليحذروا ...، وأن ليس مراده الجهاد، وإنما مراده إثارة الفتنة والفساد... وكنا أردنا الفراق معه على وجه جميل، حيث أوى إلينا وحط رحاله بيننا، فإذا به رسوله شيطانه ما فيههلاكه وخسرانه...»[7].

ويبرر السلطان عبد الرحمان عدم استعماله القوة ضد هذه القبائل المساندة للأمير عبد القادربقوله في رسالة أخرى لنفس العامل مؤرخة في **1845/11/06** م:

« ... لم نرد القتال معهم لأن تلك هي الخسارة، وهي مراد (الفتان)؟ ليلتفوا عليه وتزيد رغبتهم فيه، فكنا نحاول إخراجه بالسياسة، وبعد خروجه تؤدب تلك القبائل وتحمل على الاستقامة...»[8].

يلاحظ من خلال هذا الخطاب المخزني عامل الخوف على العرش العلوي من الأمير عبد القادر ذاته، خاصة وأن أحد مؤرخي القصر الملكي العلوي أكد قائلا: « ... أصبح الأمير عبد القادر يتمتع بنفوذ كبير بين قبائل شرق المغرب... »[9].

وذهبت بعض الكتابات الفرنسية [10] إلى القول بأن السلطان عبد الرحمان اضطرب بسبب الضغوط الخارجية الناتجة عن تأكيد المارشال الفرنسي "بوجو" المكلف بتتبع خطوات الأمير عبد القادر والقبض عليه في رسالة للسلطات الفرنسية مؤرخة في **1845/06/18** بقوله:

«..إن الأمير عبد القادر يتحرك بحرية بالمغرب الشرقي دون أن يجد من يوقفه عن حده، فاتفاقية مغنية لم تحترم من طرف المغاربة... »[11]

واشتدت خصوصا بعد مسألة الأسرى الفرنسيين في معركة "سيدي إبراهيم" التاريخية في سبتمبر **1845** م [12]، فكان رد فعل قائد تلمسان الجنرال الفرنسي أن اخترق الحدود المغربية في اتجاه شرق ملوية بدعوى تحرير الأسرى، وفي نفس الوقت تعرض السلطان للتهديد الدبلوماسي من طرف القنصل الفرنسي باستعمال فرنسا حق المطاردة ضد الأمير، والأخطر حينما تخلت عنه بريطانيا التي كان المخزن قد منحها مكانة "الدولة الأكثر حظوة" في الامتيازات[13]، وتلقى تعليمات رسمية من وزير خارجيتهاعن طريق قنصلها بمدينة طنجة الدولية لإبلاغ السلطان ضرورة اتخاذ إجراءات فاعلية ضد" الأمير عبد القادر" لطرده من المغرب، كي لا تجد فرنسا مبررا للتدخل في بلاده [14]

2/ توجيه أسهم النقد والاتهامات "للأمير عبد القادر" بدعوى البحث عن تحقيق طموحات شخصية [15]، مستدلين عن ذلك بمعاهداته مع فرنسا التي وصفوها بالتواطؤ مع الكافر، ومن خلال استقراء سياسي لاستشارة"الأمير عبد القادر" مع علماء القروويينبفاس، وخاصة:

(التسولي أبي الحسن علي) بعد توقيع معاهدة تافنا، وفتواه: «... فالجهاد فريضة عين على من نزل بهم عدو الدين ...» [16]، ومع العالم الشيخ عبد الهادي العلوي قاضي قضاة فاس سنة **1840** خاصة سؤاله حول موقف الشريعة إزاء الذين لا ينقادون لأوامر زعيم الجهاد؟ وهل يمكن تحصيل الضرائب منهم؟ [17] ، ثم استفتاء الأمير لعلماء مصر بسؤالهم: «...جوابكم أبقاكم الله عما فعل بنا سلطان المغرب من المنكرات الشرعية... غصب من عاملنا ألف وخمسمائة بندقية إنجليزية، ومن وكيلنا أربعمائة كسوة أعددناها للمجاهدين... زجر بعض رعيته الذين يريدون الجهاد بجانبنا...»،

فكان جوابهم باسم الشيخ "محمد عليش" مفتي المذهب المالكي بمصر مفتيا: «..يحرم على السلطان المذكور جميع ذلك الذي ذكرتم...» [18]

لهذا كتب المؤرخ عبدالله العروي قائلا: «... ظهر عجزه عن مدافعة الجيوش الفرنسية، وأصبح بالعكس يمهد لها الطريق للتوغل في أرض مسلمة...» [19]

وأشار المؤرخ " الناصري" إلى أن هجرة قبائل الحشم وبني عامر إلى العاصمة المغربية فاس كانت مكيدة من تدبير "الأمير عبد القادر" الذي اعتقد أنه بهذه الطريقة سيكون له أنصار داخلها، وبالتالي يمكن استغلالهم في الوقت المناسب للاستيلاء على السلطة [20] ، بينما نسبها مؤرخ مغربي آخر لمبعوث الأمير عبد القادر "محمد البوحميدي" الذي اتهم بنشر هذه الإشاعة كدعاية [21]، فارتكب المخزن المغربي في حقهم مذبحة رهيبة وصفها الناصري قائلا:

« ...اجتاحوهم بعد جهد جهيد وقتال شديد... استأصلوهم بالرصاص ..فكانوا يقتلون أبناءهم ونساءهم بأيديهم فرارا من السبي والعار » [22] .

3/ هزيمة المغرب في معركة إيسلي في **1844/08/14** م، حيث تجمع الدراسات المغربية بالاعتماد على الحوليات على مدى خطورتها، إلى درجة أنها الإشارة الخضراء للاحتلال الفرنسي للمغرب، - وللأسف- حملت"الأمير عبد القادر" المسؤولية، حيث فسروا أسبابها لمقاومة الأمير عبد القادر بالأراضي المغربية، وحللوا الهزيمة بانتصار المبادئ الإسلامية في سياسة المخزن المغربي ممثلة في التزام المغرب بمساعدة مقاومة الأمير [23]، رغم أنها اعترفت في مجال الاستراتيجية العسكرية على محاولة "الأمير عبد القادر" تنسيق خطة الحرب مع القوة المغربية برئاسة ابن السلطان وولي العهد " محمد بن عبد الرحمان"، كما بين له ضعف الخطة الحربية

المغربية، واقترح "الأمير عبد القادر" عليه إبعاد مركز القيادة قليلا عن ميدان المعركة بقوله:

« .. إن هذا الفرش والأثاث والشارة التي جئتم بها حتى وضعتموها بباب جيش العدو ليس من الرأي في شيء، ومهما نسيتم فلا تنسوا أن لا تلاقوا العدو إلا وأنتم متحملون منكمشون بحيث لا يبقى لكم خباء مضروب على الأرض وإلا فإن العدو ومتى رأى الأخبية مضروبة لم ينته دون الوصول إليها ولو أفنى عليه عساكره، فلو أبقيتم هذه الأثقال بواد(زا)، فإن كانت لكم فلا يبعد إتيانها، وإن كانت عليكم فتسلم من الأخذ وتجدون الراحة والمقام بها حتى تعودوا للقتال» [24].

وانتهت المعركة في يوم واحد فقط باستعراض قوة فرنسا، حيث أعقبته بقصف ميناء الصويرة الواقعة جنوب غرب المغرب على المحيط الأطلسي في **1844/08/15** م، وإبرام معاهدة صلح بين المغرب وفرنسا على حساب مقاومة الأمير عبد القادر في طنجة يوم **1844/09/10** م تضمنت ثمانية فصول (شرط)، يهمنا منه هنا الشرط الخامس الذي تعرض لفكرة تخطيط الحدود، بحيث تعهد الطرفان على إبقاء الحدود كما كانت عليه منذ الحكم " التركي" العثماني للجزائر، أي اعتبار واد تافنا هو الحد الفاصل بين الجزائر والمغرب، وأكد الشرط السادس والسابع هذه النية مستقبلا بحيث أن أية شروط جديدة قد تظهر حول الحدود يجب أن تحترم ما جاء في صلح طنجة [25]، يظهر في المعاهدات المغربية الأجنبية عموما مصطلح " شرط" كترجمة لمصطلح فصل أو مادة بالفرنسية دون توضيح من يشترط عن الآخر، تضمن الشرط الأول فك الارتباط بين الجيش الفرنسي والمغربي بحيث لا يبقى على الحدود إلا أقلية لضمان الأمن، في حين تضمنت الشروط: الثاني والثالث والرابع إيقاف الدعم المغربي لكل ما من شأنه أن يعيق بقاء الجيوش الفرنسية بالجزائر، ورسمت فعلا الحدود بين المغرب والجزائر في معاهدة "لالة مغنية" المؤرخة في **1845/03/18** م [26] ،

والتي أرست الحدود في الشرط الثالث بدقة تبدأ من نقطة التقاء واد عجرود مع البحر المتوسط حتى تنية الساسي، وبعد تنية الساسي أصبح التقسيم على أساس القبائل والقصور في المنطقة التابعة للمغرب والخاضعة للجزائر، وترك الشرط السادس الصحراء عائمة بدون تحديد [27] ، وأكدت الدراسات المغربية المعاصرة على إجحاف هذه الشروط في معاهدة "لالة مغنية" وأنها مخالفة لآمال (أطماع) المغرب، وغير مطابقة للمادة **50** من اتفاقية فيينا للمعاهدات الدولية سنة **1969** م، وصاغت تبريرات لبطلانها وعدم التزام المغرب بها، من خلال اتهام فرنسا باعتماد ما وصفته " سياسة الضبلون" حيث قدمت رشوة للوزير المغربي" محمد بن عبد الملك" بمبلغ **25.900** فرنك، وتلقى "الممثل المغربي الذي وكله السلطان **25.000** فرنك، بينما اكتفت بالحديث عن ظروف غامضة كانت وراء توقيع السلطان "عبد الرحمان" عليها [28].

وترتبت عن معركة" تازة" إلى جانب ضحايا الإخوة المتحاربين من الجزائريين والمغاربة [29]، مجموعة من التداعيات والعواقب الخطيرة، نختصرها في:

1/ كانت سببا غير مباشر في طي صفحة شعبية رائعة من الاتحاد والتعاون الجزائري المغربي، (**1832**- **1845** م)، بمحو مرحلة التعاون الوثيق في مختلف المجالات بين السلطان) والأمير عبد القادر)، رغم أن الحوليات المغربية بالغت في حجم المساعدات العسكرية والمادية والمعنوية التي قدمها المغرب لمقاومة الأمير عبد القادر، حيث نقلت كلها عن تقارير الممثل الدبلوماسي الفرنسي المقيم في مدينة معسكر طبقا لاتفاقية تافنا، جرد حجم المساعدات المغربية الواردة [30] ، دون الإشارة – ولو مرة - لدور مقاومة "الأمير عبد القادر" على الأقل في بعث روح المقاومة الشعبية بين قبائل شرق المغرب، والوقوف في وجه أطماع فرنسا وتأجيل احتلال المغرب على

الأقل، لكن الغريب أن كل الدراسات المغربية رفضت ما كتبه "شارل هنري تشرشل" في دراسته لسيرة الأمير عبد القادر:

« ...كان يحصل من المغرب على معظم أسلحته وملابسه وذخيرته لا على أنها كما يشاع خطأ هدايا فخمة ومجانية من السلطان عبد الرحمان ولكنه كان يحصل عليها بالطرق التجارية العادية... »[31].

2/ انهيار معنويات الأمير عبد القادر من خلال مذكراته، وأصبح في موقف لا يحسد عليه، بعد أن اشتد عليه الخناق، وشعر باليأس من القريب والشقيق قبل العدو الاستعماري، أكتفي هنا فقط للأمانة التاريخية باستعراض بعض أقواله في هذا الصدد وهو بلا شك في حالة غضب:

« ومن خدعنا بالله انخدعنا له» قالها الأمير بعد إرسال وفد سعى للصلح برئاسة " محمد البوحميدي" للتفاوض مع السلطان، لكن عند وصوله ألقي القبض عليه ومات بالسجن»[32]، «... اعتذرنا لدى كل رئيس من القبائل بعذرنا، وبينا لهم أننا مظلومون، فلم يلتفتوا لعذرنا لأن قبول المعذرة شأن كرام الناس ... »[33].

ويختم الأمير عبد القادر تفجير هذا الغضب الباطني الظرفي ليوضح ظروف قراره وضع السلاح وتوقيف القتال بقوله:

« ... إني كنت أجاهد على ديني وعلى بلادي، ولما رضي أهل الوطن بموافقة النصارى، انحزنا لسلطان المغرب مرادنا بذلك أننا جميعا مسلمون: للواحد منا ما للجميع وعليه ما عليه وحيث حصروا الإسلام عندي، فالواجب علي من الله أديته وعند عجزي لا عتاب علي، فالآن أردت أن أستريح من تعب الركوب والمشاق، ولا تحصل لي تلك الراحة إلا بالمشي إلى مكة أو المدينة أحج وأجاور وأخرج من عهدة هذا الأمر كله ولم يبق في قلبي من الملك شيء بل غسلته بالماء والصابون....»[34]

ويعكس النص بوضوح ومما لا يدعو للشك أن وضع السلاحمن طرف الأمير عبد القادر لم يكن المراد به أبدا الاستسلام للعدو كما أشيع آنذاك ويمرره بعض المؤرخين والدارسين، وإنما توقيف القتال بعدما تأكد بأن مواصلة الجهاد في هذه الظروف هو بمثابة انتحار شعب بأكمله، بعد رضابعض أهل الوطن بموافقة النصارى، وانسحاب بعض المساعدين الأقربين للأمير[35]، ولم يبق أدنى أمل في إيجاد ملجأ لدى سلطان المغرب، الذي وجه ظهيرا شريفا لقبائل شرق المغرب يحذرهم ويهددهم ويأمرهم بالتوقف عن جهاد الفرنسيين بقوله: «... إياكم أن يستفزكم العدو... فالفرنسيين... لا يتعدون الحدود ولا يطمعون في من هو من إيالتنا، وذلك لما جددنا معهم من الهدنة...» [36].

وللتمكن من الحج والمجاورة كمرحلة ظرفية، وليس تراجعا عن مبادئه الجهادية التي أكدها من قبل بقوله: «...أعرف ديني جيدا، وأعرف بأن ساعة واحدة في قتال الكافر أحسن من المكوث في مكة سبعين سنة...»[37].

ودون أن يعني ذلك التنكر للقضية الوطنية، بل مجرد إبطال عقد البيعة العامة المبرمة في **13** رمضان **1248**هـ/ **1833/02/04**بعد أن تخلوا عن طاعته ونصرته[38].

3/ انفتاح باب المغرب الأقصى على مصراعيه أمام التنافس الاستعماري الفرنسي البريطاني الألماني، ففي الوقت الذي تناقضت فيه مواقف السلطان المغربي من وقوع الأمير عبد القادر في يد الفرنسيين عوض المخزن المغربي بالاستغراب والاشمئزاز،والأمر بفرض مظاهر الفرح والابتهاج بقوله:« فقد وصلنا كتابك في شأن إلقاء (الفتان)؟ نفسه لعدو الدين الفرنصيص..وكنا نظن أن معه من العلم والدين ما يرده عن ارتكاب هذه الكبيرة حتى اختار ذمة الكفرة عبدة الأصنام على ملة الإسلام فهذا من سوء الخاتمة...» [39].

وبأمرودعاية المخزن«... انتقل خبر ... الأمير عبد القادر ... إلى مجموع مناطق المغرب وقرئ الأمر الشريف بمساجد المغرب، وزينت أسواق المسلمين وأخرجت المدافع بالأبراج سرورا بالفتح المبين... » [40] .

في المقابل اشتد تنافس محموم فرنسي بريطاني إسباني وألماني ، بدأ باندحار المغرب سنة **1860** أمام الاعتداء الإسباني في معركة تطوان وشروطها التعجيزية، التي مهدت لتدويل المسألة المغربية في مؤتمر مدريد سنة **1880**، ثم مؤتمر الجزيرة الخضراء (الخزيرات) سنة **1906**، اللذين فرضا الوصاية الإسبانية والفرنسية، ومهدا للغزو الفرنسي للمغرب عبر مدينة وجدة، أصبح معها المغرب أحد أخطر أزمات الحرب العالمية الأولى خاصة أزمة أغادير **1911**، التي عجلت بفرض الحماية المزدوجة الفرنسية الإسبانية على المغرب سنة **1912**م [41].

نستخلص بأسف شديد ما يطرحه " التاريخ المشكل" من مسؤوليات عديدة أمام الباحثين المعاصرين، يجب معها التحلي بالموضوعية العلمية، وربط الأحداث بظروفها الخاصة والمؤثرة،ولا خوف من ذكرها حتى تكون عبرة ودروسا يستهدفها التاريخ لفهم الحاضر وبناء المستقبل، ويمكن الحسم تاريخيا أن هذا الصراع كان خسارة للجزائر والمغرب معا، حيث مثل من جهة نهاية مقاومة "الأمير عبد القادر " سنة **1847** م، ومن جهة أخرى انتصارا للاستعمار الفرنسي في الجزائر والمغرب الأقصى خاصة، والمغرب العربي عامة، وأضاعا فرصة توحيد الجهود الجزائرية المغربية لرد الزحف الاستعماري الفرنسي أو تأجيله على الأقل.

<u>الهوامش:</u>

مؤلفات كثيرة نذكر منها على سبيل المثال لا الحصر:

العربية: ❖ ابن التهامي (الحاج مصطفى)، سيرة الأمير عبد القادر وجهاده، تحقيق وتعليق يحيى بوعزيز، ط**1**، دار الغرب الإسلامي، بيروت **1995**

❖ أباضة (نزار)، الأمير عبد القادر العالم المجاهد، ط**1**، دار الفكر المعاصر، دمشق **1994**

الأجنبية:❖إيتيان (برونو)، عبد القادر الجزائري، ترجمة ميشيل خوري، ط**2**، المؤسسة الوطنية للنشر والاتصال، الجزائر **2001**.

❖ إيتيان (برونو)، عبد القادر الجزائري، ترجمة ميشيل خوري، ط**2**، المؤسسة الوطنية للنشر والاتصال، الجزائر **2001**

Azan(Paul), L'EmireAbd-El-Kader du fanatisme musulman *

au patriotisme français, Hachette, Paris**1925**

Emerit(Marcel), L'Algérie à l'époque d'Abd-El-Kader, *

2° Ed : Bouchène, Paris **2003**

2 لعوج (لصر الدين)، تفكير الأمير عبد القادر بين الإيديولوجية والحداثة، المجلة المغاربية للدراسات التاريخية والاجتماعية، [2]

3 Liauzu (Claude) et autres, Colonisation : Droit d'inventaire,

Armand Colin, Paris **2004**, Introduction, pp : **9-10**

4 يتضمن الأرشيف المغربي مجموعة من الوثائق الرسمية، والمصنفة بشكل منظم يهمنامنها هنا : أربع ملفات: الأول بعنوان ملف [1]بإشراف مديرية الوثائق الملكية بالرباط، الجزائر، والثاني ملف المهاجرين التلمسانيين، والثالث ملف وجدة رقم: **1**، والرابع ملف وجدة رقم: **2** ، موجودة بالخزانة الحسنية، وهي عبارة عن رسائل رسمية يتبادلها السلطان (المخزن) مع خدامه (الوزراء)، ودورية الوثائق وهي عبارة عن مجموعة وثائقية تصدرها مديرية الوثائق الملكية، في عشرة أجزاء، بإشراف مؤرخ القصر الحسني بنمنصور عبد الوهاب سبق أن وظفتها في مذكرة التخرج لنيل شهادة ليسانس بجامعة محمد بن عبد الله، بفاس(المغرب) سنة **1984** م بعنوان:" الأسطول والتجارة البحرية في مغرب القرن **19** – من خلال وثائق الخزانة الحسنية وكتاب ابن زيدان(عبد الرحمان)، إتحاف أعلام الناس بذكر أخبار حاضرة مكناس"

5 الأمير عبد القادر، مذكرات، تحقيق بناني (محمد الصغير)، وسماتي (محفوظ)، ألجون (محمد الصالح)، دار الأمة، الجزائر 1994، ص.ص: 123- 127

6 أمطاط (محمد)، الجزائريون في المغرب (1830- 1962 م)، دار أبي رقراق، الرباط 2008، ص: 64

7 مديرية الوثائق الملكيةبالخزانة الحسنية بالقصر الملكي بالرباط ، ملف الجزائر

8 بنمنصور (عبد الوهاب)، دورية الوثائق، المجموعة الثانية، المطبعة الملكية، الرباط 1979، ص: 32

9 ابن زيدان (عبد الرحمان)، إتحاف أعلام الناس بأخبار حاضرة مكناس، ج: 5، المطبعة الوطنية، الرباط 1933، ص.ص: 196- 170

10 AZAN(Paul), Les prisonniers de Sidi Brahim, in Bulletin de la sociétéde géographieetd'archéologie d'Oran, N°: 105, pp : 48-53

11 Yver(George), La question Marocaine en 1846, In Revue Africaine, Alger 1909, p : 202

12 تشرشل (شارل هنري)، حياة الأمير عبد القادر، ترجمة وتقديم أبو القاسم سعد الله، ط: 2، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر 1982، ص: 229

13 روجرز، العلاقات المغربية الإنجليزية حتى سنة 1900، ترجمة لبيب رزق، الدار البيضاء 1981، ص ص: 184- 185

14 داود (محمد)، تاريخ تطوان، المجلد التاسع، مطبعة سيليكي إخوان،تطوان 1998 ، هامش رقم: 1 ،ص: 265

15 الناصري(أحمد)، الاستقصا في أخبار المغرب الأقصى، ج: 9، مطبعة دار الكتاب، الدار البيضاء 1956، ص: 49

16 التسولي (أبو الحسن)، أجوبة العالم التسولي على أسئلة الأمير الجزائري، مخطوط بالخزانة العامة بالرباط، رقم:D1198 ، سنة 1984

17 Berque (Jacques), Maghreb – Histoire et société, SNED, Paris 1974, pp : 65-81

18 بن عبد القادر (محمد)،تحفة الزائر في مآثر الأمير عبد القادر وأخبار الجزائر، دار اليقظة العربية، بيروت 1964، ص: 472

19 Laroui (Abdallah), Les Origines sociales et culturelle du nationalisme [1] Marocaine(1830-1912), Maspéro, Paris 1977,p : 195

20 الناصري (أحمد)، ج: 9، مصدر سابق، ص: 56

21 السليماني (أبو عبد الله محمد)، زبدة التاريخ وزهرة الشماريخ، ج: 3، مخطوط بالخزانة العامة بالرباط تحت رقم: : د 3657، ص: 215

22 الناصري(أحمد)، ج: 9، مصدر سابق، ص: 56

23 نفسه، ص: 49

24 ابن زيدان، مصدر سابق، ص: 470

25 المشرفي (محمد بن مصطفى)، الحلل البهية في ملوك الدولة العلويةوعد مفاخرها غير المتناهية، تحقيق إدريس بوهليلة، الرباط 1996، ص:210

26 نسبة إلى مدينة مغنية بولاية تلمسان حاليا، ينظر الشروط السبعة للمعاهدة الأصلية بالفرنسية والمترجمة بالعربية في:بوزيان (عمر)، جذور اتحاد المغرب والجزائر(1832-1845)، منشورات عكاظ، الرباط 1988، ص.ص: 231- 234

27 بنمنصور (عبد الوهاب)، الوثائق، ج: 1، المطبعة الملكية، الرباط 1976، ص. ص: 475- 479 28 28 نفسه، ج:2، مصدر سابق، ص.ص: 33- 34

29 الأمير عبد القادر، مذكرات، مصدر سابق، ص.ص: 123- 126

30 Yver(G), Correspondances du capitaine Daumas (Paul Genthner),Paris 1912.

31 تشرشل (شارل هنري)، مصدر سابق، ص: 196

32 نفسه، ص: 197

33 نفسه: ص: 124، العياشي (1627- 1679 م)، عالم مغربي له الرحلة العياشية من مراكش إلى مكة 34 نفسه، ص: 131

35 أمثال: بن عراش ميلود، البركاني اللذين انسحبا واستقرا بمدينة فاس، وغيرهما، ينظر:

Cossé Brissac, Les rapports de la France et du Maroc pendant la conquête de l'Algérie, Larose, Paris 1931, pp : 89-90

Reffas(Driss), L'Emir Abdelkader vaincu par les trahisons, In La voix de l'Oranie, N°: **3629**, Jeudi **13/10/ 2011**, p: **10**

36 ابن زيدان (عبد الرحمان)، مصدر سابق، ج: **5**، ص: **75**

Julien (Charles André), Histoire de l'Algérie contemporaine, PUF, Paris **1961**, p: **19537**

38 بناني (محمد الصغير)، معالم الفكر السياسي عند الأمير، مجلة الثقافة، الجزائر عدد: **96**، نوفمبر **1986**، ص: **139**

39 رسالة من السلطان عبد الرحمان إلى بوسلهام بن علي في **26** محرم **1264**ه/ **1848/01/03**، مديرية الوثائق الملكية، ملف الجزائر، مصدر سابق.

40 نفسه، وهي عبارة عن رسالة من محمد بن عبد الهادي زنيبرإلى السلطان عبد الرحمان' في **03** صفر **1264 /1848/01/10**

41 Julien (Charles) André), Le Maroc face au impérialismes (**1415-1956**), PUF, Paris **1978**, pp: **105-129**

الأمير عبد القادر من خلال المصادر المغربية: مؤلف إتحاف أعلام الناس بجمال أخبار حاضرة مكناس، لعبد الرحمن بن زيدان نموذجا

لطيفة لحسيني، جامعة ابن زهر، أغادير، المغرب

لا مراء أن للمغرب والجزائر تاريخا مشتركا يمتد على مدى عقود من الزمن، على الصعيد السياسي والاجتماعي والاقتصادي. ولعل وحدة التاريخ تلك تعد حافزا كبيرا على تأكيد الرابطة القوية للشعبين ودافعا لإحياء أواصر الشراكة لاستكمال مسيرة التاريخ والتعاون لأجل تطوير المجتمعات والنهوض بالأمة، وتكثيف الجهود لمحاولة تحقيق تلك الأهداف والآمال المشتركة.

إلا أنه يختلف تفاعل الشعبين مع الأحداث التاريخية باختلاف الوقائع، الأمر الذي انعكس جليا على الكتابات التاريخية التي أرخت للأحداث التاريخية المشتركة كالغزو والاستعمار، وغيرها من الوقائع التاريخية، والتي تبقى محور البحث في التاريخ المشترك دون الغوص في الأحداث الجزئية مثل وقوع تمرد ما أو حرب محلية أو فتنة عارضة لأنها تستبعد من سياق التاريخ المشترك للأمة.

تعد المصادر التاريخية للبلدين منجما لا ينضب من المعلومات التاريخية وإن اختلفت الرؤى حول وقائع معينة إلا أن في ذلك الاختلاف إغناء للبحث التاريخي، ومحاولة مقارنتها من أجل رسم صورة أقرب للحقيقة التاريخية. من هنا تتجلى أهمية دراسة التاريخ المشترك للبلدين باعتماد وثائق تاريخية تتنوع بتنوع الجهات الصادرة عنها من كلا الطرفين.

سأحاول من خلال هذه المساهمة إبراز مدى حضور شخصية الأمير عبد القادر ضمن المصادر المغربية، بالوقوف عند فترة مهمة من العلاقات

التاريخية بين المغرب والجزائر، في إطار علاقة الأمير بالسلطان محمد بن عبد الرحمن من خلال الوثائق التي تضمنها مؤلف" إتحاف أعلام الناس بجمال أخبار حاضرة مكناس" للمولى عبد الرحمن بن زيدان.

وهكذا قسمت بحثي هذا الى ثلاث نقط رئيسية:

أولا تقديم : أعرف فيه بالكاتب عبد الرحمن بن زيدان، ثم بالكتاب و سياقه التاريخي والمعرفي.

ثانيا: سأقف عند حضور شخصية الأمير عبد القادر في متن الكتاب: فهرسة وتصنيف.

ثالثا: سأعمل على رسم صورة عن الأوضاع العامة التي عايشها كل من الأمير عبد القادر والمغرب وتأثيرها على العلاقة بين الطرفين.

أولا: تقديم الكتاب:

1. التعريف بالكاتب : عبد الرحمان بن زيدان:

هو عبد الرحمان بن محمد بن عبد الرحمان بن علي بن عبد المالك بن زيدان ابن السلطان المولى إسماعيل، ولد بقصر المحنشة بمكناس بتاريخ ربيع الثاني **1290**هـ الموافق لشهر ماي **1878**م [1]، غادر جده علي بن عبد المالك بن زيدان تافيلالت أواخر القرن **18**م في اتجاه مكناس، التي استقر بها مع أسرته، وعينه السلطان سيدي محمد بن عبد الله نقيبا للشرفاء العلويين بهذه المدينة، وظلت نقابة الأشراف العلويين منذ ذلك التاريخ في بيت

[1] - ابن زيدان عبد الرحمان ، **إتحاف أعلام الناس بجمال أخبار حاضرة مكناس**، ج 1، تقديم عبد الهادي التازي، مطابع إديال، الدار البيضاء، الطبعة الثانية، 1990، ص:10.

ابن زيدان بمكناس [1]. حظي عبد الرحمن بن زيدان بتربية وتكوين أصيلين في مبادئ الدين واللغة والأدب على يد فقهاء وعلماء كبار أمثال: محمد القصري العبدري، والحاج المختار بن عبد الله، والقاضي التهامي بن عبد القادر السوسي، وغيرهم مستفيدا من وضعيته الاجتماعية والعائلية. استكمل دراسته في جامعة القرويين بفاس سنة **1324**هـ / **1906**م، و عاد الى مكناس في أواخر العهد العزيزي لتسند إليه نقابة الشرفاء العلويين بمكناس وزرهون وسنه لا يتعدى آنذاك الخامسة والعشرين [2].

رحلاته:

قام ابن زيدان برحلتين نحو المشرق: الرحلة الأولى سنة "**1331**هـ/ **1913**م، حيث زار مصر ومكة والمدينة و دمشق و بيروت وتونس والجزائر، واتصل في كل هذه الأقطار برجال الفكر والعلم" [3]. أما الرحلة الثانية فقام بها سنة **1357**هـ/**1938**م، زار خلالها بلاد الحجاز ومصر وسوريا، حيث أتيحت له فرصة للقاء والتباحث مع بعض الزعماء السياسيين والمثقفين [4]، مما ساهم في توسيع دائرة معارفه. كما زار فرنسا " لفترة تقارب الشهرين قضاها بين مخطوطات خزانتها وآثار معالمها" [5]. إلى

---

[1] - الشابي مصطفى، **النخبة المخزنية في مغرب القرن 19**، منشورات كلية الآداب و العلوم الإنسانية، الرباط، 1995، ص:11.

[2] - بنيوسف نجية، "جوانب من إنتاج عبد الرحمان بن زيدان"، مجلة أبحاث، عدد 31- 32، السنة 10، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء 1993، ص: 37.

[3] - ابن زيدان عبد الرحمان ،ج1، مرجع سابق، ص: 10.

[4] - نفسه.

[5] - نفس المصدر ونفس الصفحة.

جانب رحلاته العلمية شارك ابن زيدان في عدد من المؤتمرات واللقاءات العلمية داخل المغرب وخارجه، منها المؤتمر الذي انعقد بمعهد الدراسات العليا بالرباط عام **1925**م، كما شارك في مؤتمر الثقافة العربية بتونس بصفته نقيبا للشرفاء العلويين بمكناس وزرهون ومؤرخا للدولة العلوية.

مؤلفاته:

تيسر لابن زيدان جمع عدد ضخم ومتنوع من الوثائق، نظرا لمكانته الاجتماعية وعدم توليه لأي منصب في الدولة، وعدم مشاركته في الحياة السياسية، إذ كرس حياته لكتابة مؤلفات عدة في تلك الفترة الصعبة التي كانت يعيشها المغرب، >و قد بلغت تآليفه حدود الثلاثين تأليفا بالإضافة الى موسوعته التاريخية الإتحاف" [1] ومن تآليفه نذكر:

- الدرر الفاخرة بمآثر الملوك العلويين بفاس الزاهرة.
- المنزع اللطيف في مفاخر المولى اسماعيل ابن الشريف.
- كفاية المحتاج في مدح صاحب اللواء والتاج.
- بغية المستهام.
- العلائق السياسية للدولة العلوية.
- النهضة العلمية في عهد الدولة العلوية.
- العز والصولة في معالم نظم الدولة.
- المناهج السوية في مآثر الدولة العلوية.
- محاضرة الأكياس بملخص تاريخ مكناس.

1- نفسه، ص: 11.

- رحلة الحجاز ومصر والشام.
- العقود الزبرجدية.
- تبيين وجوه الاختلال في مستندات إعلان العدلية بثبوت رؤية الهلال.
- مولاي اسماعيل والأميرة دوكنتي.
- اليمن الوافر الوفي في امتداح الجناب اليوسفي.
- مسامرات في مبادئ التاريخ.
- تغيير الأسفار على من عاب الأشعار
- جنى الأزهار ونور الأبصار في روض الدواوين والمعطار.
- المؤلفون على عهد الدولة العلوية.
- تأليف في المديح النبوي.

أحرز في سنة **1355**هـ/**1936**م على جائزة المغرب للأدب العربي مكافأة له على موسوعته الإتحاف [1]، الذي صدرت منها خمسة أجزاء في ذلك الوقت.

توفي ابن زيدان بمكناس يوم السبت **21** ذو الحجة **1365**هـ الموافق لـ **16** نونبر **1946**م، "وشيعت جنازته في محفل عظيم مشى فيه أهل مكناس وأعيان الدولة" [2] وعلى رأسهم صاحب السمو الملكي ولي العهد آنذاك الأمير مولاي الحسن.

2. التعريف بالكتاب:

يعد كتاب" إتحاف أعلام الناس بجمال أخبار حاضرة مكناس" من أهم مؤلفات عبد الرحمن بن زيدان التاريخية. يقول عنه صاحبه وعنونته

---

[1] - ابن زيدان ،م س ص: 17.

[2] - نفسه، ص: 11.

"بإتحاف أعلام الناس بجمال أخبار حاضرة مكناس"ولك أن تسميه "عبير الآس من روض تاريخ مكناس" أو "حسن الاقتباس من مفاخر الدولة العلوية وتاريخ مكناس" [1]، وهي عناوين تفصل بينها أداة التخيير "أو"، مما يعطي مدلولا عاما لمحتوى الكتاب، ما دامت جميع هذه العناوين تتناسب ومضمونه.

كما اعتمد في تأليفه على مجموعة من المصادر أشار اليها في متن كتابه منها: روض القرطاس لابن أبي زرع، الإعلام بمن حل بمراكش وأغمات، الاستقصا في أخبار المغرب الأقصى للناصري، عقد الجمان في شمائل السلطان المولى عبد الرحمان، الترجمانة الكبرى لأبي القاسم الزياني، تاريخ الضعيف، مرآة المحاسن للعربي الفاسي....وغيرها

ولقد قدم ابن زيدان لكتابه ، بنظرة تاريخية عن مسقط رأسه مكناس، ثم أتبعها تراجم يزيد عددها عن خمسمائة لأعلام من السلاطين، والأمراء، والوزراء، والسفراء، والعلماء، والصلحاء، وقواد المدن والقبائل، وقواد الجيش، والكتاب والشعراء. رتب الجزء الأول منه على مقدمة وأربعة مطالب:

المقدمة : في مبادئ فن التاريخ . الجزء**1**، ص ص: **7**- **20**.

المطلب الأول: في اختطاط مدينة مكناس وأطوارها التاريخية. الجزء **1** ص ص: **20**- **231**.

المطلب الثاني: في وصف مدينة مكناس والأمداح التي قيلت فيها

---

[1]- ابن زيدان، إتحاف أعلام الناس....، ج 1، ص 29.

الجزء **1** ص ص: **231**- **261**.

المطلب الثالث: في تراجم رجالها الذين أضاف لهم رجال مدينة زرهون، و قد بلغ عدد التراجم في الجزء المطبوع **553** ترجمة، و باقيها لا يزال ضمن الجزء المخطوط.

المطلب الرابع: في حوادث خاصة وقعت بها وفي الحرف والصنائع القائمة بها، وأخلاق أهلها وعاداتهم، وهذا المطلب يوجد ضمن الجزء المخطوط [1].

ويتضمن كتاب الإتحاف ثمانية أجزاء، طبع منها خمسة أجزاء بالمطبعة الوطنية بالرباط حتى الآن:

الجزء الأول: صدر سنة **1347**هـ/**1929**م في **470** صفحة.

الجزء الثاني: صدر سنة **1348**هـ/**1930**م في **549** صفحة.

الجزء الثالث: صدر سنة **1349**هـ/**1931**م في **599** صفحة.

الجزء الرابع: صدر سنة **1350**هـ/**1932**م في **523** صفحة.

الجزء الخامس: صدر سنة **1352**هـ/**1933**م في **563** صفحة [2].

وفي سنة **1410**هـ/**1990**م أعادت مطابع إديال بالدار البيضاء طبع هذه الأجزاء الخمسة، تحت تقديم عبد الهادي التازي.

يختم ابن زيدان الأجزاء الخمسة لكتابه الإتحاف بفهارس متعددة، علاوة على جداول الاستدراكات من خطأ وصواب. في حين خص

---

[1]- ابن زيدان، م س، ص ص: 15- 16.

[2]- نفسه، ص: 16.

الجزأين الأول والثاني بفهرس للوثائق التاريخية (الظهائر السلطانية- الرسائل- المعاهدات). أما ترتيب الأعلام الواردة بالكتاب فقد بناه المؤلف على أساس الأبجدية العربية، ينتهي آخر الأجزاء المطبوعة وهو الجزء الخامس عند حرف القاف.

وقد أشار في مقدمة كتابه أن هذا الأخير ليس مختصا بتاريخ مكناس " بل هو منجم من المناجم التي عززت دراسة ليس فقط تاريخ مكناس ولكن تاريخ المغرب كله... ووجد فيه المتعطشون للبحث ما كان يرضي رغبتهم فأقبلوا عليه يزفون وما لبثت نسخه أن نفذت في الأسواق وعز طلبها في المكتبة، الأمر الذي أصبح معه الكتاب في حكم المخطوط النادر بعد أن أصبح مطلوبا ليس فقط في الساحة المغربية، ولكن في كل الجهات التي تهتم بالدراسات التاريخية والإسلامية في شتى جهات المعمور بما فيها الديار الأوروبية " [1].

3. سياقه التاريخي والمعرفي:

يهدف ابن زيدان من خلال كتاب الإتحاف إلى دحض الأطروحات التي كان يروجها المدافعون عن إيديولوجية الحماية، التي كانت تعتبر المخزن جهازا فرض نفسه بالقوة، ولا يتعدى نفوذه المدن والمناطق السهلية، في حين تحتفظ القبائل باستقلالها، حيث قسم المغرب الى قسمين بلاد المخزن وبلاد السيبة. وعلى عكس ذلك فابن زيدان يعتبر المغرب دولة قائمة بذاتها، تتوفر على نظام سياسي يرتكز على مبادئ الشريعة الاسلامية رغم الاضطرابات والثورات التي يعيشها.

---

[1] - نفسه، ص: 12.

من هنا نفهم إقدام عبد الرحمن بن زيدان على تأليف كتابه في العشرينيات (من القرن الماضي) في لحظة تثبيت الاستعمار الفرنسي لتواجده بالمغرب، وفي وقت كانت فيه الكتابات الأجنبية حول المغرب وشمال إفريقيا هي السائدة بما تتميز به من رؤية كولونيالية للدولة والمجتمع.

وقد ساعده على ذلك كونه نقيب الشرفاء العلويين، كما سنح له قربه من المخزن بأن يطلع على عدد كبير من الوثائق التي أضحت محور كتابه ومادته المصدرية. مع العلم أن " مركزه من الأسرة الملكية، وفي الأوساط العلمية يحميه من أن يتعرض لمعارضة أو مضايقة، وكذا فإن توفره على العدد الكبير من الوثائق المتصلة بالموضوع كان مما قوى معارفه وجعله يثق في الأخذ بمعالم الطريق المرسوم" [1]، فجعل كتابه كتاب تراجم وأعلام.

كان لصدور كتاب الإتحاف صدى كبيرا ليس في المغرب بل حتى في المشرق، فالأمير شكيب أرسلان خص كتاب الإتحاف بتعليق نشره في جريدة " كوكب الشرق" عدد الأربعاء **13** ذي القعدة عام **1349**هـ الموافق لـ فاتح أبريل **1931**م، وفي كتابه " الحلل السندسية في الأخبار و الآثار الأندلسية " نوه بالنقيب عبد الرحمان بن زيدان واصفا إياه "بمؤرخ المغرب في هذا العصر". ومن العلماء الأوروبيين الذين رددوا صدى الإتحاف الدكتور "رونو" (RENAUD) في بحثه حول " الطب والأطباء المغاربة في عهد السلطان

---

[1] - ابن زيدان عبد الرحمان ، المنزع اللطيف في مفاخر المولى اسماعيل ابن الشريف، تقديم وتحقيق عبد الهادي التازي، مطبعة اديال، الدار البيضاء، الطبعة الأولى، 1993، ص ص:8- 9.

مولاي إسماعيل"، وذلك في مجلة "الحوليات" (ANNALES)، التي كانت تصدر عن معهد الدراسات الشرقية التابع لكلية الآداب بجامعة الجزائر، حيث وجد فيه بعض المعلومات عن العلماء الذين كانوا يهتمون بالطب في مكناس، على عهد السلطان مولاي اسماعيل (**1672- 1727**م) [1].

ثانيا: حضور شخصية الأمير عبد القادر في متن الكتاب فهرسة وتصنيف [2]

المرسل	المرسل اليه	تاريخ الوثيقة	موضوعها	الجزء	الصفحة
المولى عبد الرحمن	القائد مصطفى ابن اسماعيل	فاتح محرم الحرام 1250هـ/10 ماي 1834م	ظهير شريف يحض فيه على الاتحاد وجمع الكلمة أمام الخطر الداهم والجيش	الخامس	32-33

[1] - ابن زيدان عبد الرحمان ، إتحاف أعلام الناس بجمال أخبار حاضرة مكناس، ج1، مرجع سابق، ص ص: 13- 15.

[2] ـ للإشارة فان تصنيف وفهرسة الوثائق الواردة بالكتاب كانت بالاعتماد على الطبعة الثانية من الكتاب كي لا يكون هناك خلط عند الرجوع إلى الصفحات. ابن زيدان مولاي عبد الرحمن، إتحاف أعلام الناس بجمال أخبار حاضرة مكناس، مطبعة إديال ، الدار البيضاء، الطبعة الثانية 1990.

				المهاجم	
المولى عبد الرحمن	القائد مصطفى بن اسماعيل	فاتح محرم الحرام 1250هـ/10 ماي 1834م	ظهير رحماني في الندب للصلح بين الامير عبد القادر الجزائري وبين المتشاجرين معه	الخامس	38-39
المولى عبد الرحمن	خليفته ولده محمد بن عبد الرحمن	15شوال 1251هـ 3 فبراير 1836م	يطلب الاعانة والمدد بالبارود والخفيف والعدة للقائد العربي الرحماني بعد بلوغه خبر دخول العدو إلى تلمسان	الخامس	38

المولى عبد الرحمان بن هشام	المولى محمد بن عبد الرحمان	15شوال 1251هـ/3 فبراير 1836م	يعلمه بدخول العدو لمدينة تلمسان، وأنه كتب لأبي زيان لكي ينتجع بمحلته عند حدود الإيالة مع الأتراك	الخامس	38
المولى عبد الرحمن	خليفته ولده محمد بن عبد الرحمن	4 ربيع الثاني 1258هـ/15مـ اي1842م	ترتيب الجيش وأعداده لإرهاب العدو بعد مناوشاته في الشرق	الخامس	44-45-46
المولى عبد الرحمان بن هشام	المولى محمد بن عبد الرحمان	4ربيع الثاني 1258هـ 15 ماي 1842م	الاستعداد لمواجهة الهجوم الفرنسي	الخامس	44
المولى	القائد محمد	4ربيع الثاني	ظهير في	الخام	4746-

عبد الرحمن	بن الحاج محمد السويسي والقائد بو عمر ابن الحاج الطاهر فنيش السلوي	1258هـ/ 15ماي 1842م	شان المناوشات الواقعة على الحدود يأمرهما بأخذ الأهبة والاستعداد وتهيئ الأبراج والمدافع واستعراض رجالها	س	
الأمير عبد القادر	المولى عبد الرحمن	1ربيع الثاني 1260هـ/20 ابريل 1844م	كتاب من الامير عبد القادر الجزائري للسلطان المولى عبد الرحمن	الخامس	5150-
محمد بن عبد الرحمن	المولى عبد الرحمن	20رجب 1260 هـ/20 غشت 1844م	إخباره بحلوله بالعيون رفقة محلته واجتماع	الخامس	5453-

			قبائل أنكاد والصحراء وحسن استعدادهم وأخبار بتأخر الأمير عبد القادر بن محي الدين بمن معه لملوية درءا لهجوم العدو		
			رأي الأمير في الاستعداد للحرب	الخامس	55
الأمير عبد القادر	محمد بن احمد البوحميدي	10ذي القعدة 1264هـ/8 اكتوبر 1848م	رسالة منه الى صاحبه البوحميدي يصف فيها حالته في الاعتقال ومقامه بتلك	الخامس	65-67

			الديار الفرنسية		
المولى عبد الرحمان بن هشام	الأمير عبد القادر الجزائري	بدون تاريخ	يقدم له النصح ويشجعه على رفع راية الجهاد	الخامس	67
ابن داوود بن العربي	السلطان عبد الرحمان بن هشام	9رمضان 1260هـ/22شتنبر 1844م	يخبره بوصول الخطاب السلطاني إلى القبائل الداعي للجهاد ضد فرنسا	الخامس	74
القائد محمد بن عبد الصادق	السلطان عبد الرحمان بن هشام	5رمضان 1268هـ/23 يونيو 1852م	أحوال قبائل الجهة الشرقية للمغرب	الخامس	87
المولى عبد الرحمن	باشا مكناس الجيلاني بن بوعزة	28 شعبان1260هـ / 12 شتنبر 1844م	يخبره بتكليف الطالب بوسلهام بن	الخامس	162

			علي أزطوط لعقد هدنة والصلح مع الفرنسيين		
	-	25 شعبان 1260هـ/ 10 شتنبر 1844م	معاهدة الصلح بين المغرب وفرنسا بعد معركة إسلي	الخامس	162
	-	04 ربيع الأول 18/1261 مارس 1845	اتفاقية تحديد الحدود بين المغرب والجزائر	الخامس	165
	السلطان عبد الرحمان بن هشام	أواسط صفر 1261هـ/23 فبراير 1845م	قضية الأمير عبد القادر الجزائري	الخامس	169
	الوزير محمد بن إدريس	12 ربيع الأول 1261هـ/ 21مارس 1845م	ضرورة تشديد الحصار على الأمير عبد القادر	الخامس	172

			الجزائري.		
	الحاج محمد الزبيدي	10 جمادى الأولى 1276هـ/ 5دجنبر 1859م	إرسال المؤونة والأسلحة للمجاهدين	الثالث	425
	الحاج محمد الزبيدي	13 جمادى الأولى 1276هـ/8 دجنبر 1859م	المؤونة والأسلحة التي أرسلها للمولى العباس	الثالث	427
	الحاج محمد الزبيدي	13 جمادى الأولى 1276هـ/8 دجنبر 1859م	إرسال الخزائن من الشعير التي يحتاجها المجاهدين، وتوجيه أمين إلى سوس لشراء الشعير	الثالث	427

يلاحظ من خلال الجدول وحجم الوثائق المتضمنة في متن الكتاب، وتحديدا الجزء الخامس منه، الحضور البارز للأمير عبد القادر حين

ترجمته للسلطان المولى عبد الرحمن باعتبار أن فترة حكم هذا الأخير تميزت:

- ✓ بالاحتلال الفرنسي للجزائر سنة **1245**هـ/ **1830**م
- ✓ ورود علماء أهل تلمسان وأعيانهم على السلطان المولى عبد الرحمن ودخولهم في بيعته
- ✓ استنجاد الأمير وأهل تلمسان بسلطان المغرب من أجل الجهاد
- ✓ المناوشات الفرنسية على الحدود الشرقية الجزائرية المغربية
- ✓ الاستعدادات المغربية العسكرية لحماية الحدود
- ✓ الاصطدام العسكري المغربي الفرنسي، وعقد معاهدة لالا مغنية مع المغرب، وترسيم الحدود الشرقية.
- ✓ مساندة السلطان للمقاومة الجزائرية في بدايتها وتراجعه عن مساندتها بعد تعرض طنجة وبعض المراسي المغربية للقصف من طرف القوات البحرية الفرنسية.
- ✓ العلاقات المتذبذبة بين الأمير عبد القادر والمولى عبد الرحمن.

إذن فما هي طبيعة تلك العلاقة وما مدى متانتها واستمراريتها؟

ثالثا: تأثير الأوضاع العامة على العلاقة بين الطرفين:

من خلال تتبعنا لسيرة السلطان المولى عبد الرحمن بن هشام (**1204**هـ - **1276**هـ/**1789**م- **1859**م) الذي عايش فترة الأمير عبد القادر، نجد أن عبد الرحمن بن زيدان أولى أهمية كبرى لعلاقة المغرب بالجزائر منذ بداية الاحتلال الفرنسي لهذه الأخيرة، إلى معركة ايسلي وعقد الهدنة مع المغرب ثم إبرام اتفاقية لا لا مغنية، فكيف تطورت

العلاقات بين الطرفين وما مدى تأثير التدخل الأجنبي على حسن الجوار والتعاون بين الأمير عبد القادر والمولى عبد الرحمن.؟

يعد التحرك الفرنسي نحو شواطئ شمال إفريقيا بداية للتوسع الاستعماري بالمنطقة ككل. كما أن إعلان الحرب على الجزائر بمبرر ضربة المروحة في أبريل **1827**م، وبداية بسط النفوذ الفرنسي على الأراضي الجزائرية، كان صدمة حتمت على المغرب سلطانا ورعية مساندة المقاومة الجزائرية بحكم الروابط التاريخية المشتركة بين الشعبين المغربي والجزائري، و باعتباره واجبا شرعيا إذ أصدر ظهيرا يحض فيه على الاتحاد وجمع الكلمة أمام الخطر المحدق بالبلدين [1]. خاصة وأنه"لما وقع ما وقع بأهل الجزائر اجتمع أهل تلمسان وتفاوضوا في شأنهم واتفقوا على أن يدخلوا في بيعة السلطان المولى عبد الرحمن" [2] إلا أنه تريث في قبول بيعتهم، وارتأى أن يشرك أهل الحل والعقد في اتخاذ هكذا قرار. وكان رأي البعض بعدم قبولها [3]، طالما أن أهل الجزائر مطوقون ببيعة السلطان العثماني، الأمر الذي دفع بأهل تلمسان أن يدعموا طلبهم بمرافعة فقهية للتبرؤ من بيعة الباب العالي، بحكم أنها بيعة اسمية فقط، بالإضافة

---

[1] ـ رسالة من المولى عبد الرحمن إلى القائد مصطفى بن اسماعيل بتاريخ فاتح محرم الحرام 1250هـ/ 10ماي 1834م. وردت بالإتحاف الجزء الخامس، ص ص:32- 34.

[2] ـ الناصري أحمد بن خالد، الإستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى، تحقيق وتعليق ولدي المؤلف: جعفر الناصري- محمد الناصري، دار الكتاب، الدار البيضاء، 1956، الجزء التاسع، ص: 26.

[3] ـ خاصة فتوى علماء فاس إذ افتى جلهم بنقيض المقصود ورخص له بعضهم في ذلك، فأخذ السلطان بقول المرخص.

لانشغاله بأموره الداخلية عنهم وبعده عن نجدتهم، وتأكيد بيعتهم لسلطان المغرب [1].

سيستمر الدعم غير المباشر للمقاومة الجزائرية في شخص الأمير عبد القادر بن محي الدين الذي اصطفت حوله القبائل الجزائرية مبايعة إياه على رفع راية الجهاد. ومع تزايد التحذيرات الفرنسية والضغوط السياسية والعسكرية، سيضطر السلطان إلى إعلان الحياد رسميا مع مواصلة تزويدهم بالمال والسلاح والخيل. والواقع أن تقديم الدعم الممكن دون التورط بشكل مباشر كان اختيارا مخزنيا فرضته الظرفية العامة التي ستؤثر في طبيعة هذا الدعم ومدى استمراريته مع توالي الأيام.

فانتقال المواجهة الجزائرية الفرنسية من الجزائر إلى حدود الأراضي المغربية، ومساندة القبائل الحدودية للأمير، جعلت السلطات الفرنسية تطارده متوغلة في الأراضي المغربية، مما أدى إلى توتر العلاقات المغربية الفرنسية على إثر احتلال لا لا مغنية؛ التي كانت تابعة للمغرب؛ من طرف الفرنسيين بحجة اقتفاء أثر المقاومين والأمير عبد القادر على وجه الخصوص. وسيزداد الأمر سوءً بعد احتلال وجدة من طرف قوات الجنرال "روبير طوماس بيجو" بعد مواجهات عسكرية ذهب ضحيتها **275** شخص من أبناء القبائل. وبالتالي انتقاض الهدنة التي كانت بين الطرفين(فرنسا والمغرب) منذ عهد السلطان محمد بن عبد الله، وأمام هذا الوضع أعطى السلطان الأوامر لابنه محمد بالخروج من فاس لتفقد الأحوال على الحدود والدفاع عنها. وتمت المواجهة بين الطرفين في واقعة إيسلي سنة

---

[1] ـ الإستقصا، م س، ج 9، ص ص: 28- 29.

1844م/**1260**هـ انتهت بانهزام الجيش المغربي أمام القوات الفرنسية.وتوقيع معاهدة صلح بينهما كانت بنودها صريحة في منع أي مساندة أو تقديم دعم للأمير عبد القادر. وذلك بصريح العبارة كما جاء بنص الاتفاق على لسان الجانب الفرنسي:

- أن يأمر سلطان المغرب بمعاقبة قواده الذي حاربو(نا) وتركوا من يحاربو(نا) في ايالتهم.
- أن يضمن بأن لا يأمر بإعانة أحد من رعيت(نا) وكذلك لا يعين أحدا ممن هو من أعدائ(نا) في بلدنا
- أن لا يعطي أي من آل رعيته لعدونا سلاحا ولا شيئا من آلات الحرب.
- بل أكثر من ذلك مطالبة المخزن بأن يعطي أوامره لرعيته بمطاردة الأمير عبد القادر داخل إيالته "فرعيته يضربون عليه بالبارود حتى يطردونه ويخرجونه من بلادهم أو الإمساك به وتسليمه لهم [1]

ولعل هذا ما يفسر تراجع المولى عبد الرحمن عن مساندته للمقاومة الجزائرية في شخص الأمير عبد القادر، فهي بنود مجحفة مست بسيادته أولا من خلال الاتفاق على ترسيم الحدود بين الطرفين في اتفاق موالي. وكذا بمصادرة حقه في مساعدة المجاهدين الجزائريين على رأسهم الأمير عبد القادر. مما سيؤثر في العلاقات بين الطرفين بعدما كان المولى عبد

[1]. النص الكامل لعقد الصلح بين الطرفين المنعقد في 28 شعبان عام 1260هـ ورد بالإتحاف، ج 5، ص ص:162- 165.

الرحمن يحث الأمير على الجهاد ويؤكد دعمه له وللمجاهدين. فتراجع الدعم المغربي كان بسبب:

- ❖ مد الأجنبي يد العداء والانتقام في بعض الثغور والأطراف المغربية.[1]
- ❖ بداية المناوشات الفرنسية، باحتلال وجدة من طرف القوات الفرنسية بعد اقتفاء أثر الأمير عبد القادر الامر داخل التراب المغربي.
- ❖ انهزام الجيش المغربي في معركة إيسلي سنة **1844**م التي كانت "مصيبة عظيمة وفجيعة كبيرة، لم تفجع الدولة الشريفة بمثلها"[2]، لأنها أظهرت مدى الضعف الذي وصل إليه المغرب.

أمام كل تلك الضغوطات سيطلب السلطان من الأمير " الجنوح إلى الصلح"حسبما ورد في تحفة الزائر[3]. مما سيضطره الى الاستسلام بعد العديد من المعارك بينهما كان المغرب فيها مكبلا ببنود اتفاق الصلح بينه وبين القوات الفرنسية المحتلة للجارة الجزائر.

خلاصة:

نلاحظ من خلال تتبعنا للوثائق المتضمنة بكتاب الإتحاف، ومقابلتها بغيرها من المصادر المغربية، وكذا بالعودة الى الكتابات حول الأمير عبد القادر، نلاحظ اختلافا واضحا في تحليل مواقف الطرفين، وعلاقتهما في فترة حرجة من تاريخ البلدين.

---

[1]. تحديدا هجومه بالمدفعية على ثغري طنجة والصويرة.

[2]. الناصري أحمد بن خالد، الإستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى، م س، ج9، ص53.

[3]. تحفة الزائر في مآثر الأمير عبد القادر وأخبار الجزائر، المطبعة التجارية، 1903.

إذ نجد أن السلطان المولى عبد الرحمن بداية كان يعتبر تدخله في تلمسان وتحريضه لقبائل تلك الناحية والتضييق على الكفار واجبا يفرضه الدين والجوار، فكان يقدم الدعم المادي والمعنوي لهم منذ بداية التدخل الفرنسي بالجزائر.

ولما أضحى العدو الفرنسي على الحدود الشرقية، يشن الغارات، ويتبع المجاهدين داخل التراب المغربي، إذ شن غاراته على بني يزناسن ووجدة. عزم السلطان على الوقوف بنفسه في وجه الاحتلال الفرنسي، وعقد لابن عمه المولى المأمون على كتيبة من الجند، ووجهها إلى ناحية وجدة، وأخذ في أسباب الغزو والاستعداد التام، وحشد الجنود، واتخاذ الرايات والبنود، واستنفار القبائل التي تحملت عبء الجهاد بسبب متاخمتها للحدود الجزائرية، ودفاعا عن الأرض، وانقيادا لما دعا إليه أمير المؤمنين [1]. فجمع جيشا قويا قوامه ثلاثون ألف فارس تزيد قليلا أو تنقص قليلا [2]، وعقد عليه لولي عهده سيدي محمد بن عبد الرحمان، وسار به إلى وادي إيسلي سنة **1260**هـ /غشت **1844**م، فالتحم الفريقان.

كما نصح الأمير الجزائري السلطان المغربي بإخفاء خبائه حتى لا يراه العدو، فامتنع، فقصده العدو، وماج الناس بعضهم في بعض، فتشتت قوات السلطان، ومنيت بهزيمة منكرة، فتراجع السلطان إلى تازة، ثم منها إلى طنجة لإمضاء معاهدة تقررت بها الحدود المغربية - الجزائرية (**1844**م/**1260**م)، كما كانت عليه في أيام الحكم التركي، ثم إمضاء

[1] - الإتحاف، ج 5، ص165

[2] - الناصري، الاستقصا ،ج9

- اتفاقية لا لا مغنية سنة (**1261**هـ/ **1845**م) حول ترسيم الحدود بصفة نهائية، وتوقيف المساعدات العسكرية للأمير الجزائري، وجعل حدا لحملات المجاهدين انطلاقا من التراب المغربي.

فمن خلال هذه الرؤية الشمولية للأحداث والوقائع تتضح الأسباب الأساسية وراء سوء علاقة الأمير عبد القادر بالسلطان المولى عبد الرحمن الذي تكبد هزيمة نكراء عدت في تاريخ المغرب بالحادثة المفجعة التي أزالت رداء الهيبة عن المغرب بعد انتصاره في معركة وادي المخازن، وهي بذلك شكلت صدمة الحداثة التي جعلت المغرب يدخل مرحلة الإصلاح السياسي والاجتماعي والاقتصادي والعسكري التي سيبدأ مع عهد السلطان المولى عبد الرحمن، والذي سيستمر إلى حين سقوط المغرب تحت نير الحماية الفرنسية سنة **1912**م.

إلا أن أهم ما يلاحظ من مثن الكتاب هو غناه من حيث الوثائق التي تؤرخ للفترة، وهي وثائق مأخوذة عن الأصل، جاء الحديث عنها سواء بشكل مقتضب او بالتفصيل في المصادر المغربية الأخرى. كما أن عبد الرحمن بن زيدان كان دائما يقابل ما يورده من أخبار عن الأمير بما هو وارد في تصريحات الأمير عبد الله محمد نجل الأمير عبد القادر، في مؤلفه تحفة الزائر.[1] وغيره من المصادر. وتكمن أهمية هذا المصدر في كونه يحمل رؤية مغربية للوقائع المشتركة بين الطرفين/ البلدين مدعمه بوثائق

[1]. في اثباته لحسن نوايا ابن هشام وإخلاصه للأمير عبد القادر ومؤازرته له في اول عهده وان توالي الضغوط هو ما دفعه للتخلي عنه. يؤكد على ضرورة العودة لكتاب تحفة الزائر للإطلاع أكثر وخاصة الصفحات:206- 207- 213. الإتحاف، ج 5، ص:71.

مخزنية من مراسلات ومعاهدات وظهائر. وهو بذلك يفتح للباحثين في التاريخ المشترك للمغرب والجزائر عتبات وزوايا نظر وتحليل لا تكتمل إلا بمقابلة النصوص والوثائق وفتح نقاش اكاديمي على أرفع مستوى من أجل إعادة كتابة تاريخ المنطقة بموضوعية من أجل إعادة صياغة الحقائق التاريخية برؤية أعمق.

البيبليوغرافيا المعتمدة

- ✓ ابن زيدان عبد الرحمان، **إتحاف أعلام الناس بجمال أخبار حاضرة مكناس**،ج**1**، الطبعة الثانية، مطابع إديال، الدار البيضاء، **1990**.
- ✓ ابن زيدان مولاي عبد الرحمن، **إتحاف أعلام الناس بجمال اخبار حاضرة مكناس**، ج **5**، مطبعة اديال ، الدار البيضاء، الطبعة الثانية **1990**.
- ✓ ابن زيدان عبد الرحمان ، **المنزع اللطيف في مفاخر المولى اسماعيل ابن الشريف**، تقديم وتحقيق عبد الهادي التازي، مطبعة اديال، الدار البيضاء، الطبعة الأولى، **1993**.
- ✓ الناصري أحمد بن خالد، **الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى**، ج**9**، تحقيق وتعليق جعفر الناصري ومحمد الناصري، دار الكتاب، الدار البيضاء **1956**.
- ✓ الشابي مصطفى، **النخبة المخزنية في مغرب القرن 19**، منشورات كلية الاداب و العلوم الانسانية الرباط، **1995**.
- ✓ بنيوسف نجية، "***جوانب من انتاج عبد الرحمان بن زيدان***"، مجلة أبحاث، عدد **31- 32** ، السنة **10**، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء **1993**.
- ✓ ابو العلاء ادريس الجعيدي ، **الابتسام عن دولة مولانا عبد الرحمن بن هشام- او ديوان العبر في اخبار القرن الثالث عشر**، مخطوط من **137** ورقة، **23**س، **220/160** مم. مخطوط مطبوع، رقمه بمكتبة آل سعود بالدار البيضاء، المغرب، Manus **593**.
- ✓ **تحفة الزائر في مآثر الأمير عبد القادر وأخبار الجزائر**، المطبعة التجارية، **1903**.
- ✓ بن التهامي مصطفى، الأمير عبد القادر، **سيرة الأمير عبد القادر وجهاده**، تحقيق وتعليق :يحيى بوعزيز، دار الغرب الإسلامي، **1995**.

نماذج من الوثائق الواردة بمتن الكتاب



كتاب من الأمير عبد القادر الجزائري للسلطان المولى عبد الرحمن



ظهير رحماني إلى مصطفى بن إسماعيل في الندب للصلح بين الأمير عبد القادر الجزائري وبين المتشاجرين معه

Verjaagde Koningszoon! vernederd werd uw trots.
Gij Koning zonder Rijk! Eens magtig boven allen,
Zijt lager dan ik zonk, en zonder roem, gevallen---
Voorwaar! Dat was de vinger Gods!
De dag der wrake komt! – ‘k Zie reeds een vuur ontbranden,
Dat onuitbluschbaar woedt door Frankrijks ingewanden!
Gij delft in koortsdrift voort aan uwer kinderen graf;
Gij zult, terwijl ge elkaâr als tijgers blijft verslinden,
Voor de opgehoopte schuld te ras vergelding vinden:
Uw vrijheid wordt uw zwaarste straf!
De dag der wrake komt! ‘zie ISSA op de wolken
Het lot beslechten der in ’t stof gebogen volken,
Maar ‘k beef niet bij zijn komst, ik, Emir der woestijn!
Het vonnis, dat de mond dies Regters uit zal spreken,
Zal ’t Afrikaansche blod op ’t schuildig Frankrijk wreken,
Maar ABD-EL-KADER’s vrijspraak zijn!
Januanrij 1849

Ik maai in den drom als een zicht in de halmen;

Mijn dorstige sabel wordt dronken van bloed!
Of, zwicht ik..... ik wijk met de snelheid eens vogels;
'k Ontsnap aan den dood toch, al regent het lood;
En schud uit de plooijen mijns tabbaards de kogels,
Door 't kruid niet gezengd en onkwetsbaar voor 't schroot.
Weêr blijf ik verwinnaar, beschaâuwd door uw vleuglen,
Mohammed! gij laatste, gij grootste Profeet!
Weêr leg ik den trots van uw vijand aan teuglen,
En 'k dood hem met kogels, die 'k vang in mijn kleed.
Algiers draagt in 't end weêr de Maan op haar wallen;
De driekleur der Franschen, hun standaard, zinkt neêr!
En 'k sticht op de plek, waar de laatste van allen,
Door 't wrekende zwaard, met de vlag is gevallen,
De grootste Moskee, die nog rees tot uw eer!'
IV
Waar doolde ik heen? 't Is uit – geen toekomst licht na dezen!
Van mij heeft de aard niets meer te hopen of te vreeezen;
Ik ben geen man, een worm, die men vertrapt in 't zand.
In het boek des noodlots stond met ijsren stift geschreven,
"Dat ABD-El-KADER laf zijn zwaard zou overgeven,
En nog zou leven na die schand!"
Of ik u haat en vloek? Europa's rustverstoorders!
U? gesel van mijn volk! U? wreedste vrijheidsmoorders!
Mijn haat groeit met mijn smart; hij wêerlicht uit mijn blik!
En, druipt mijn zielskracht weg in hoopleoze klagten,
Ik spuw mijn' vloek u toe, met zaâmvergaarde krachten,
Bij 't geven van mijn jongsten snik!
De dag der warke komt! – Reeds heeft mij 't lot gewroken:
De staf van ORLEANS werd als een riet verbroken!

III

O! was 't mij gegund, nog mijn boeijen te breken,
Ik vloog met de drift van een sperwer langs 't meer!
Ik brulde als een leeuw weêr om roof in die streken;
Ik sloeg weêr in 't stuifzand mijn legertent neêr!
Ik riep weêr voor d'Islam de stammen ten strijde -
Hoe davert de bodem, waar 'k stamp met mijn voet!
Een legermagt rijst en springt op aan mijn zijde,
Een stofwolk gelijk, die verstikt door haar gloed!
Mijn strijdhengst! Mijn strijdhengst! Hij hinnikt mij tegen,
Hij snuift weêr mijn adem, hij ruikt weêr mijn kleed.
Met vlokken van schuim overstrooit hij zijn wegen,
Maar staat, nu ik roep voor zijn ruiter gereed.
Hij rekt zich en buigt zijne hals als een kemel;
'k Omklem weêr zijn zijden; ik streel weêr zijn hals;
Ik gun hem te steigren als voer hij ten hemel:
Ik gun hem te tripplen, als ging hij ten wals.
Ik ruk uit mijn gordel mijn koppel pistolen;
Hij draagt mij vooruit in het digtst van 't gewoel;
Ik duik weêr het hoofd, in zijn manen verscholen,
En kies in den kruiddamp mijn mikpunt en doel.
Ik dwing hem, na d'aanval, zich spijlsnel te wenden,
En wijs met mijn kromzwaard mijn volgren het spoor,
En spring als een panter 't legioen in de lenden,
En breek in den ringmuur der vijanden door.
Ik hoor weêr mijn vroegre strijdleus weêrgalmen;
'k Rigt me op in den zadel, en strijd meer verwoed;

Vengera L'Africain de la France coupable

En absolvant Abd-el-Kader

Januarij 1849

(Dutch Original)

ABD-EL-KADER

from Gedichten van Bernard Ter Haar te Arnhem 1850 pp. 205-212

I

"Getemd is de leeuw, die als schrik der woestijnen,
Zóó lang om zijn roof heeft gebruld,
Die elk wie hem zag in de valkte verschijnen
Met vreeze des doods heeft vervuld;
En op het bestookte gebied der Algrijnen
Geen' heerscher heeft naast zich geduld!

"Geschten is de aadlaar, geknot in zijn schachten,
Hoe breed hij zijn vlerken ontplooi'!
Met klaauw en met snavel beproef' hij zijn krachten,
Hij schuurt den kop aan zijn kooi,
En blijft achter tralies verdorren en smachten,
Der smart en der wanhoop ten prooi.

"Verbleekt is de ster met haar schittrende vonken,
Die lang als een wachter der Maan
Heeft boven de spits der Moskéën geblonken,
En hoog aan de lucht heeft gestaan,
Maar zwaaijend en tuimlend is nedergezonken
En bl;oedrood is ondergegaan!"

II

Et survivrait encore à cet affront sanglant!
Que je vous hais! Français remuants et perfides!
Fléaux de mon pays! Cruel liberticides!
Ma haine va croissant et darde de mes yeux!
S'il faut sous la douleur que mon âme se glace,
Je viendrai vous cracher mon anathême en face,
A mon dernier soupir, ennemis odieux! ….
Mais la vengeance vient! Le sort me fut prospère!
Le sceptre d'Orleans fut brisé comme verre:
Prince proscrit, tu fuis vers un climat lointain;
Et toi, roi sans royaume, oh, qui l'aurrait pu croire!
Tu tombas comme moi, mais plus bas, mais sans gloire—
Assurément voilà, voilà le doigt divin!
Mais la vengeance vient! Je vois le feu qu`allume
L'émeute aux mille bras, Farnce, qui te consume;
Je te vois à tes fils creuser un lit sanglant;
Et tandis qu'on s'égorge et se repaît de vice,
Reconnaitre trop tard l'éternelle justice;
La liberté sera ton plus dur châtiment!
Mais la vengeance vient! Issa[1], descend sur terre,
Juger peuples et rois courbés dans la poussiére;
Je l'attends sans effroi, moi l'Emir du désert!
L'arrêt que doit porter ce juge redoutable,

[1] La fin de ce poéme ne peut pas étonner le lecteur qui sait ou se rappelle que le Musulman, quoique ennemi, juré du nom Chrétíen, a un profond respect pour le sublime fondateur du Christianisme, qu'il appelle Issa, fils de Joseph, et qui'il partage même la croyance des chretiens, que les jugement dernier Lui sera confié.

Bondissant comme un tigre, en leurs remparts mouvants.

De nouveau je l'entends tonner mon cri de guerre:

Debout sur l'étrier, de rage frisonnant,

Je fauche dans les rangs comm je fis naguère:

Mon veiux sabre altéré devient ivre de sang!

S'il faut céder …. J'évite une lutte inégale

Et j'échappe à la mort quoiqu'il pleuve du plomb;

De mon ample bournous secouant mainte balle;

Invulnérable au feu meurtrier du canon!

Grâce à toi, Mahomet, le plus grand des prophètes!

La victoire est à moi, tu m'ouvris le chemin:

Tes ennemis vaincus vont pleurer leurs défaites,

Frappés du même plomb qu'ils lançaient dans mon sein,

Et sur les murs d'Alger où le sang fume encore,

Je vois enfin briller notre immortel croissant,

Tandis que des Français le drapeau tricolore

Pour l'ouragan brisé tombe jouet du vent!

A la place où vaincu, brisé, sans espérance,

Le dernier Franc tomba sous notre fer venguer,

J'erige à tous les yeux une mosquée immense,

Comme il n'en fùt jamais, prophète, en ton honneur!

IV

Vain rêve! C'en est fait. Pour moi plus d'espérance!

La terre n'a plus lieu de craindre ma puissance;

Je ne suis plus qu'un ver que foule le passant.

Mais il était écrit, -- fatale destinée! –

Qu'Abd-el-Kader rendrait lâchement son épée

III

Ah! S’il m’était donné de rompre un jour mes chaînes!
Prompt comme l’épervier rasant le flot amer,
J’irais comme un lion rôder dans mes domaines
Et rebâtir ma tente aux sables du désert!
Pour l’Islam mes tribut marcheraient à la guerre –
Le sol déjà tressaille où je frappe du pied!
Une armée en surgit, terrible et meurtrière,
Comme un nuage ardent de sable et de gravier!
Mon coursier! Mon coursier! A ma voix, de la plaine
Joyeux comme jadis il accourt hennissant,
Ses long flocons d’écume au loin jonchent l’arène,
Il aspire mon souffle, il flaire mon caftan,
Puis arrête soudain sa course délirante,
S’etend sur ses jarrets, docile et gracieux,
Offre à son cavalier sa croupe encor fumante,
Plie ainsie qu’un chameua son genou vigoureux.
Je presse enfin ses flancs, flatte son encolure;
Je le laisse à loisir se cabrer vers les cieux,
Bondir, caracoler, trotiner en mesure,
De la danse imitant les pas capricieux!
Je prends mes pistolets cachés dans ma ceinture:
Au sein de la mèlée il m’emporte soudain;
Et je plonge mon front dans ca crinière obscure,
Pour assurer mes coups et m’ouvrir un chemin:
Puis faisant volte-face aussi prompt qu’une flèche,
Mon damas étincelle et guide mes vaillants,
Aux flancs des légions je m’élance et fais brèche,

J’ai droit de l’exiger: Il fut fait à la face
De la terre entière et du ciel.
Quand le Dieu qu`à genoux je sers et je révère,
Dans son juste courroux extermine un menteur,
Seul le Dieu des Chrétiens verrait-il sans colére
Le vil parjure et l’imposteur?
Tiens parole! ô rend moi ma liberté si chére,
Et je cède un pays défendu longuement.
Reprends ce fer, pour moi plus d’armure de guerre:
Le bâton d’un dervis me sied seul maintenant.
Je veux porter ailleurs mes maux et ma défaite;
Mèler mon pain de cendre et, somme un pélerin,
A l’ombre du tombeau sacré de mon prophète
Pleurer mes errurs, mon destin!
C’est vainement me plaindre et secouer ma chaìne!
Vainement déchirer l’ongle à mes durs verroux!
Palais doré! Tu n’es qu’une prison malsaine,
Quoique je foule ici les tapis les plus doux.
Ah! Moi le libre fils de L’Afrique aguerrie,
Ains devoir subir un exil odieux,
Et ne plus respirer, ô ma pauvre patrie,
L’haleine ardente de tes cieux!
Hàte-toi d’assouvrir ta vengeance implacable;
Mets au plus tôt le comble à tant de cruauté:
Prive-moi d’un soleil qui m’est insupportable;
Traìne-moi dans les fers d’un cachot infecté!
Ou plonge-moi plutôt dans quelque abìme immense,
Et que Paris maudit, de sa victoire fier,
Chante la Marseillaise en la réjouissance
De la chûte d’Abd-el-Kader!

En tournoyant a disparu du ciel!

II

Entendez-vous ce chant provoquant, ridicule?
Ce chant s'adresse à moi, moi l'Emir souverain,
Dont le sang Marabout dans les veines circule;
Qui luttai pour Allah, pour son prophète saint,
Contre els mécréants et cette France altiére:
C'est moi quis suis cet aigle et ce lion puissant,
Qui, lorsque l'ennemi poussa son cri de guerre
Accourut du désert répondre en rugissant!!
C'est moi, dont les vasseaux célèbrent les conquêtes!
Moi, libre comme l'air de nos monts soureilleux!
Moi, l'envoyé de Dieu, chanté par les poètes!
Je suis cet astre, moi, tombé du haut dex cieux.
Et maintenant, en proie à l'ennui qui ma glace,
Aux regards curieux des geôliers, des soldats,
Je suis comme en sa cage un vil oiseau rapace,
Surpris un jour dans mes états!
Aumale! Est-ce doc là l'effet de ta promesse?
Général hypocrite! est-ce ton amitié?
Ce que vous m'avez dit pour bannir ma tristesse,
Quand j'ai livré mon fer, l'auriez-vous oublié?
"Garde ton glaive, Emir, reprends ton assurance,
"Nous aimons ton courage au milieu des revers:
"Je jure par l'honneur, mot sacré pour la France,
"Que bientôt tomberont tes fers!
Tiens parole! ô je viens demander ma grâce,
Mais l'accomplissement d'un serment solennel;

ABD-EL-KADER[1]

Traduit de B. Ter Haar

Par F.L.A. Jagher

Membre de la Sociéte de Littérature de Leide (1872)

I

Il est dompté le lion formidable,
Qui poursuivait sa proie en rugissant,
Et répandait au désert insondable
Partout la mort et l'épouvantement;
De l'Algérie asaillie, implacable,
Maître absolu, défenseur tout-puissant!
Il est frappé l'aigle, oiseau du tonnerre,
L'aigle est frappé malgré son vol vainqueur;
Triste captif, du bec et de la serre
Voulant encore essayer sa vigueur;
Sur ses barreaux épuissant sa colére,
Il meurt enfin de rage et de douleur!
Elle a pâli l'étoile étincalante,
Qui, du croissant satellite éternel,
Du haut des airs verait pure et brillante
Sur la mosquée un éclat solennel;
Elle est tombée et sa trace sanglante

[1] L'Emir Abd-el-Kader, est généralement connu et admiré pour sa résistance contre l'occupation française; il retarda et entrava longtemps la prise d'Alger et sa colonisation. En dépit des conditions qu'il avait stipulées lors de sa decisión de mettre fin à la résistance, de la réception flatteuse et loyale que lui fit le général de Lamoricière, et des promesses brillantes que lui donna le prince d'Aumale, il fut longtemps retenu prisonnier en France. – Abdelkader est le type du Mahométant des premiers siècles: religieux fanatique et guerrier courageux.

monologue. We can hear his compassion, energy and struggle.

The story of ‘Abd al-Qadir, who resisted brutal attacks from French forces and

Ultimately fell victim to French betrayal, provided excellent material for anti-French

Voices in Britain to illustrate their case against France’s moral legitimacy as an imperial

Power.

Around 1848, Thackeray composed ‘Abd-El-Kader at Toulon; Or, The Caged Hawk’, a

poem in which he portrays ‘Abd al-Qadir as the epitome of epic heroism.

Viscount Maidstone’s epic ‘Abd el Kader: A Poem in Six Cantos’, written at approximately the same time as Thackeray’s, achieves the same effect. Maidstone was a member of the British peerage who had spent some time in North Africa and appears to have been well versed in Arab and North African history. Symbolically, then, ‘Abd al-Qadir represented much more in the English consciousness than an ideal heroic figure: he represented a foil to French imperial immorality. Understood another way, the act of portraying ‘Abd al-Qadir as an epic hero was in fact a means toward the larger end of villainising France.

Abdelkader was transmitting the idea of freedom, and a just world in that period. In that sense poems of Bernard Ter Haar and Wlilliam Thackeray should be understand.

Here follows the French translation and the Dutch original of the poem.

GEDICHTEN

VAN

Bernard ter Haar.

DERDE DRUK.



Te ARNHEM, bij

Is. An. NIJHOFF.

1852.

Abd-el-Kader is a hero admired for its courage and generosity. He has nothing but the desert and his horse but he is satisfied with what he has. The poem is a dramatic poem and consist of four parts Emir Abd-el-Kader gives us a

Abd-el kader Published in 1849. The poem is considered so interesting that it was translated into French 1872 by F.L.A. De Jagher as a book of 16 pages. Who was a member of the Literature Society of Leiden.

Translator F.L.A. de Jagher.

He was born 11 June 1814 Brugge (Belgium) and passed away on 15 December 1886 in The Hague. He was an officer in Ministry of Finance.

He translated the Poem Abd-el-Kader of Bernard ter Haar in English and published this translation separately in 1872. In Leiden. Henry Havard says bout this translation In 1872 next comment

‘Si c'est toujours une énorme difficulté, lorsque deux langues diffèrent autant d'esprit et de caractère que le français et le hollandais, de transporter de l'une dans l'autre, d'une façon harmonieuse et correcte, des ouvrages de prose, que dire de l'audacieux qui ne craint pas de traduire des vers hollandais en français et, ce qui est mieux encore, en vers français?

‘C'est ce véritable tour de force qu'a exécuté M. de Jagher, et nous devons dire qu'il s'en est tiré à son honneur. Non seulement il a su vaincre les difficultés, éviter les écueils, triompher des obstacles sans nombre qui se trouvaient sur son chemin; mais encore il a su trouver la vraie forme poétique et son petit poème d'Abd-el-Kader est un charmant morceau, rempli d'excellentes qualités.

‘La forme y est correcte, la rime riche, la cadence harmonieuse, et si, comme nous l'espérons, ce n'est là qu'un essai, cet essai nous promet des travaux plus sérieux et qui auront un charme tout particulier.’

The Poem

door Christus verkrijgbaar. Leerrede over Johannes VIII:36

- 1849 - *Hollandsche bloei in schoone kunsten en wetenschappen, bij het sluiten van den Munsterschen vrede, twee eeuwen later beschouwd. Een voorlezing*
- 1850 - *Verzameling van verspreide en onuitgegeven gedichten* In these book the Poem of Abd-el-kader was included
- 1851 - *Zangen van vroegeren leeftijd en nieuwe gedichten*
- 1852 - *Woorden van troost en besturing in dagen van droefheid en rouw. Leerredenen*
- 1854 - *De geschiedenis der Kerkhervorming, in tafereelen. Een leesboek ter bevestiging der Protestanten in hun Christelijk geloof. Bekroond door het Haagsche genootschap tot verdediging der Christelijke Godsdienst*
- 1854 - *Aurora*
- 1870-1876 - *Gedichten. Geïllustreerd door Nederlandsche schilders. Opgedragen aan Zijne Majesteit den Koning*
- 1870 - *Wijsheid en oorlogswapen. Leerrede over Prediker IX: 18a. Uitgesproken 25 September 1870 in de Domkerk, ter godsdienstige opening van het academiejaar*
- 1872 - *Utrecht in 1672. Eene historische voorlezing. Met aanteekeningen*
- 1875 - *Afscheidsrede, uitgesproken bij zijn aftreden als hoogleeraar in de godgeleerdheid te Utrecht, den 17en December 1874*
- 1876 - *Gedichten. Geïllustreerd door Nederlandse schilders*
- 1878-1879 - *Gedichten (Volksuitgaaf.)*
- 1878-1879 - *Kompleete gedichten*
- 1879 - *Laatste gedichten*

Bernard ter Haar was a Dutch minister, poet and professor of theology. He was born in Amsterdam on June 13, 1806, as the son of Barend ter Haar and Johanna Judith Hamming. He studied theology and literature, first in Amsterdam and then later at the University of Leiden. He was a minister for 24 years in different churches. In 1854 he was appointed to be a Professor in Theology at Utrecht, which position he fulfilled until1874. The last years of his life, he lived in Velp where he passed away on November 19, 1880.

He was member of Netherlands Royal Institute and director of The Hague society for Defense of Christianity. He published many books about Christian Theology.

His publications

- 1838 - *Joannes en Theagenes. Eene legende uit de apostolische eeuw*
- 1840 - *Dichtregelen bij den dood van den hoogleeraar J.H. van der Palm, na het bijwonen zijner plegtige uitvaart, den 12en September 1840*
- 1844 - *Huibert en Klaartje. Eene vertelling. Met 50 houtgravuren van Van Hove, Kachel en Weissenbruch. Geteekend door R. Caeyvanger. 's-Gravenhage: K. Fuhri, 1844*
- 1845|1845? - *Taferelen uit de geschiedenis der kerkhervorming*
- 1847 - *De St. Paulusrots. Dichtstuk; gevolgd door een naauwkeurig verhaal der schipbreuk van het Nederlandsch barkschip Jan Hendriks, in bloeimaand 1845, opgemaakt uit papieren van den scheespheelmeester J. Hanou Jz. En den opperstuurman H. Vierow*
- 1848 - *De ware boven alles begeerlijke vrijheid*

Despite their merciless military tactics, the French in these years expressed a romantic, orientalist fascination with their Algerian adversary. Painters Horace Vernet and Stanislas Chelowski captured Abd el-Kader's likeness in war and at rest. Fictionalized accounts like **THE PRISONERS OF ABD EL-KADER, OR FIVE MONTHS OF CAPTIVITY AMONG THE ARABS**, written in French by Ernest Alby, translated into English by the Arabist Lucie Duff Gordon, played on the usual clichés of beheadings, treachery, and ravished women. The British novelist William Makepeace Thackeray's 1848 poem "Abd el-Kader at Toulon, or the Caged Hawk" followed a nobler line, beginning, "No more, thou lithe and long-winged hawk, of desert life for thee / No more across the sultry sands shalt thou go swooping free."

Abd-el-Kader struggle and fame came also down to Netherlands. In 1849 Dutch Poet Bernard Ter Haar published a very long (12 pages) poem on Emir Abd-el-Kader. This forgotten and unknown poem is very interesting because it stresses the universal character Emir Abd-el-Kader's messages. In this contribution, I want to analyse this poem and republish its Dutch original and French translation.

BERNARD TER HAAR



Dutch Poet Bernard Ter Haar's Poem Abd-El-Kader (1849)

By Mehmet Tütüncü
SOTA Research Centre for Turkish and
ArabicWorldm, Haarlem/ Netherlands

Introduction

During his lifetime, Emir Abd el-Kader, became world-famous as both a freedom fighter and an advocate for religious tolerance and cultural openness. President Abraham Lincoln thanked him for saving lives. French priests praised him from their pulpits. In addition, Algerians today regard him as a founder of modern Algeria and a symbol of its future. By 1843, Emir Abd el-Kader was forced to seek asylum in Morocco, and in 1847, he conceded defeat to the French. Following Abd el-Kader's surrender, the French broke their promise of exile in another Arab country and instead imprisoned him and his retinue for five years, during which he occasionally received close friends like Bishop Dupuch and Eugène Daumas, a former consul in Algeria, whose 1853 book **Horses of the Sahara** included the Amir's own chapter on Arab equestrianism.

Although Abd el-Kader's military resistance failed, he won fame for his principled tenacity, and he went on to gain worldwide respect as an interlocutor between Islam and Christianity. He also befriended westerners who similarly worked to bridge gaps between East and West, including the Arabist Wilfrid Scawen Blunt and the builder of the Suez Canal, Ferdinand de Lesseps. Like them, Abd el-Kader believed that Christians and Muslims were not fated to remain always at odds, refighting the Crusades in the modern age. His spiritual writings and correspondence with Catholics sought common understanding with other monotheisms. As he wrote in 1849, "If Christians and Muslims had paid me any attention, I would have put an end to their quarrels. They would have become brothers, inside as well as out."

Bibliographie sélective

Encyclopédie de L'islam

Livres de l'émir Abdelkader :

- Lettre aux Français, traduction A. Khawam, éd Phébus, 1997
- Autobiographie, écrite en captivité en 1848, trad. de l'arabe par H. Benmansour, Paris, éd Dialogues, 1995
- Le Livre des Haltes, traduction d'A. Penot, éd Dervy, 2008

S.Aouli, R.Redjala, P.Zoummeroff, Abd El -Kader, Fayard, 1994

J. Eddine Bencheikh, Poétique arabe, Gallimard, collection Tel, 1989

A.Boutaleb, l'Emir Abdelkader et la formation de la nation algérienne, éditions Dahlab 1990

Chodkiewicz.M, Abd el-Kader Ecrits spirituels, Le Seuil, 1994

Charles-Henry Churchill, Biographie de l'émir Abdelkader, Enal éditions, Alger, 1994

Ibn Battuta, ***V***oyages, De l'Afrique du Nord à La Mecque, vol. I, Paris, F.Maspéro, 1982

M'Hamsadji .K, ***LA JEUNESSE DE L'ÉMIR ABD EL KADER***, Éditions O.P.U, Algérie, 2004B.

Etienne, Abdelkader, Hachette, 1995

Salhi.M.C, ***ABDELKADER, CHEVALIER DE LA FOI, EDITION EN-NAHDA, ALGER, 1953***

Touati.H, Entre Dieu et les hommes, Aubier, 1994 & L'armoire à sagesse, Editions Ehess, 2003

ZEGHIDOUR.S, LA VIE QUOTIDIENNE A LA MECQUE DE MAHOMET A NOS JOURS, PARIS, HACHETTE, 1989

Revues spécialisées

Itinéraire, revue de la Fondation Emir Abdelkader, Alger.

REVUE DE L'OCCIDENT MUSULMAN ET DE LA MEDITERRANEE, CHARLES-ROBERT AGERON, ABD EL-KADER SOUVERAIN D'UN ROYAUME ARABE D'ORIENT, 1970, VOLUME 8, P15-30.

Sitologie

Fondation émir Abdelkader

lemirabdelkader.blog4ever.com

découvrons augmenté et décuplé par la distance historique. Cet héritage qu'il a accumulé lui-même et les siens, de siècle en siècle, circulant vaille que vaille génération après génération, véritable capital culturel du III ème millénaire, demande à être transformé en facteur de connaissance et d'élévation prioritaires, facilitons-en la transmission vers la constitution d'une identité moderne évoluant en terre arable au mouvement perpétuel, qu'il a tant aimé et qu'il a pris soin de défricher et d'élever pour les enfants des générations à venir.

La réponse est entre les mains des algériens notamment mais pas seulement entre les leurs. Il leur revient cependant de s'emparer de leur Histoire afin de construire leur vie sur des bases solides et éprouvées, de se projeter dans un futur immédiat, en associant leur présent à leur passé dès lors que ce dernier sera conquis, compris et maîtrisé dans l'optique que "le butin de guerre" si cher à Kateb Yacine en évoquant la langue française, se transforme en pactole de paix et de culture, de projets et de réalisations et devienne enfin la destinée de l'Algérie du XXIème siècle. Son influence, son héritage ne sont pas prêts de se tarir. Il nous revient de le préserver afin d'en vivifier le legs inestimable (**QUI A SENS DE RECOMMANDATION EN ARABE, WACIYA**), capital symbolique conceptualisé par Pierre Bourdieu, qui appartient à celui qui l'acquiert, à transmettre sans faiblir.

t-il**.** Il veut sans doute leur dire qu'il faut regarder un peu plus loin, se projeter un tant soit peu afin de s'approprier sans tarder l'histoire de ceux qui nous ont précédés.

En un mot, l'Émir Abdelkader est l'artisan d'une « Nahda » ou Renaissance, peu commune et pas seulement culturelle comme elle a pu exister en Égypte, la sienne est passée trop vite sous silence, mal perçue, perdue dans les rets de l'histoire des algériens et des français qui s'est accélérée à un moment donné. Cette « Nahda » c'est la voie tracée par lui et qu'il aurait sans doute voulue poursuivre. C'est Jacques Berque (1910-1995) lors d'une Conférence prononcée à Alger en 1985 qui le dit clairement **:«LA QUESTION SUR L'HISTOIRE LITTERAIRE, SUR LA RENAISSANCE ARABO- MUSULMANE EST DE REPONDRE QU'ABDELKADER FUT LE PRECURSEUR DE LA NAHDA, CAR IL FUT L'UN DE CEUX QUI ONT CONTRIBUE DES LORS AU RENOUVELLEMENT DE LA PENSEE, C'EST- A- DIRE L'UN DES PROMOTEURS DE LA PREMIERE RENAISSANCE QUI A DU SERVIR DANS LE FUTUR».**

Une culture, une nation se structure et se soude autour de projets portés collectivement sur tous les plans, intégrés à la vie quotidienne, avec l'adhésion du groupe social dans un vivre ensemble construit ; c'est à cette condition qu'elle peut magnifier son identité, gagner son salut et rayonner de tous les éclats en s'emparant de son capital culturel composé de ses héritages consécutifs, issus des différentes strates composant son Histoire au fil des siècles.

C'est à cette condition que ses enfants et les enfants de ses enfants, au nom d'une longue et interminable chaîne de transmetteurs er de transmission, pourront à leur transmettre ce qu'ils ont reçu, transmettre ce qu'ils ont appris et compris. Arrivés à ce stade du parcours, que pouvons-nous dire ? Que tout est à faire pour mettre à jour le legs de l'émir Abdelkader, il n'en est que temps, le recul apportant sérénité favorable pour le passage à l'action et aux réalisations.

Ce legs inestimable et inestimé dont l'émir Abdelkader était conscient lui-même à telle enseigne que si nous y trouvons sens aujourd'hui, c'est son sens à lui que nous

Ibn Yusuf ibn Matar et Thabit ibn Qurra. Le premier atelier de traduction est dirigé par le chrétien nestorien Hunayn ibn Ishâk al Ibadi. Plus proche de nous, La Maison de la sagesse du IX ème siècle a laissé place à un institut de recherche, l'ancienne madrasa médiévale n'existe plus et le centre de recherche contemporain fut en partie détruit lors de la guerre d'Irak de 2003.

La prestigieuse Bibliothèque et le tout autant prestigieux Musée de la capitale ont été dilapidés, spoliés, vidés de leur substance organique, historique, patrimoniale qui faisait les lumières de l'héritage universel de l'humanité. Une mission de l'Unesco a été dépêchée en 2003 pour prendre les premières mesures nécessaires de sauvegarde et de restauration avec les professionnels sur place.

De même pour le calife Ar-Rahman II de Cordoue passionné de manuscrits, réunit à l'Alcazar une bibliothèque de 400.000 volumes, la plus impressionnante bibliothèque d'occident. Au Xe siècle, le calife omeyyade Al-Hakam II toujours à Cordoue, développe une bibliothèque avec un réseau de libraires-copistes. Ou enfin la fameuse bibliothèque d'Alexandrie, véritable arche de la connaissance. Ces édifices ont eu leur heure de gloire et de convoitise des années et des siècles durant. Les arabes dans leur ensemble y sont très attachés parce qu'ils savent que cela appartient à leur histoire et à leur mémoire.

Comme on le voit, l'Émir Abdelkader se rattache à une tradition millénaire de constitution d'une bibliothèque qui rassemble tous les savoirs du monde et dans tous les domaines. Il a été et demeure un homme de culture, éminemment de culture, une culture faisant partie intégrante de lui et de l'Algérie, que sa vie entière a été effort, travail, quête et rêve, réalisation et avènement, pour que nous, génération d'aujourd'hui tout comme les générations à venir puissent vivre avec des repères, avec des traces, avec des cheminements et des pistes, des recommandations pour tout un chacun quel qu'il soit.

Pour Abdallah Laraoui, historien algérien : **« LES JEUNES ALGERIENS SONT TROP OBNUBILES PAR LEUR PRESENT ».** C'est le propre de la jeunesse me semble-

manifesté tout au long de sa vie en terme de valeurs, de code d'honneur, de comportements, de réalisations et d'idéaux dépassent l'entendement à son époque, hors de chez lui. En visionnaire accompli et à l'instar des Encyclopédistes du siècle des Lumières, ce qu'il a prôné n'est pas atteint au XXI ème siècle.

Et si l'on reconstitue sur une carte du monde les faits majeurs de sa vie et ses déplacements à travers la terre, nous apparaît comme une évidence que l'émir Abdelkader est l'homme de la quête sans relâche, de la conquête, du cercle, l'homme complet prôné par le cheikh al Akbar Mohieddine Ibn Arabi, le vivificateur de la foi-« **AL INSAN AL KAMIL** » -(L'homme accompli ou L'homme parfait) de l'infini, du dialogue, du retour à soi, du retour à Dieu. Il est dépositaire de la parole révélatrice qui transforme l'homme. En lui donnant un sens profond ici-bas et au-delà. Pour toutes les générations et toutes les religions.

Ne serait-ce que par son immense culture et les ouvrages de sa bibliothèque, l'émir lui-même avait peut-être en tête, nous le croyons, les trajectoires et héritages passés de personnalités aussi célèbres que cultivées comme le fut le calife Al Ma'mun (813-933).Il fut l'un des fils de Haroun El Rachid (765-809) qui, en fondant Bayt el Hikma en 832, **LA MAISON DE LA SAGESSE**, synthèse vivante avec la culture persane et musulmane qui donnera lieu à la culture de l'adab ou culture profane, ouvrit le savoir aux autres savants et aux des traducteurs du monde entier, toutes sciences confondues, en les accueillant et en les prenant en charge le temps que nécessite leur séjour dans une Villa Médicis avant la l'heure et avant la lettre.

La traduction était à Bagdad une tradition ancienne. « **LA NOUVEAUTE AVEC 'AL-MA'MUN C'EST QUE LES TRADUCTIONS SONT AMELIOREES, CONFRONTEES LES UNES AUX AUTRES, ET UTILISEES POUR LA PRODUCTION D'ŒUVRES NOUVELLES SOUVENT COPIEES ET RELIEES DANS L'ENCEINTE MEME DE LA MAISON DE LA SAGESSE.** » ***(BNF)*.** Astronomes, mathématiciens, penseurs, lettrés, esthètes, traducteurs la fréquentent dont Al Khwarizmi, Al Jahiz, Al Kindi, Al Hajjaj

Quant au travail qu'il consacre à son maître Ibn Arabi, il s'y consacre également par la à lecture de l'ouvrage majeur « **FUTUHAT MAKKIYYA** », chaque lundi matin, une heure après l'aube dans sa maison. Il prend la décision de procéder à son édition afin de réhabiliter la pensée de son cheikh : **« C'EST NATURELLEMENT QU'IL PRENDRA EN MAINS LA PREMIERE EDITION DE L'OUVRAGE DE IBN ARABI «LES ILLUMINATIONS MECQUOISES », DONT IL A FAIT RECOPIER LE MANUSCRIT ORIGINAL A KONYA, EN ANATOLIE CENTRALE »,** qui est la ville où a vécu et où se trouve le tombeau du grand Mevlana Jalâl ed-dîne Rumî (1207-1273) un autre grand soufi célèbre. (L'œuvre d'Eva de Vitray Meyerovitch lui est consacrée).

Il est rattaché, au sens mystique du terme, à son maître damascène au moins par deux raisons, celle qui le lie par la Voie Mohammadienne et grâce à l'initiative personnelle d'éditer une partie de son œuvre et c'est sans doute grâce à lui que l'édition des *Futuhat makkiyya* nous est parvenue.

Au-delà du temps, l'émir Abdelkader est un visionnaire hors pair, un homme remarquable, un humaniste musulman sans équivalent aujourd'hui encore par sa démarche personnelle et sa dimension universelle.

En conclusion ***: « En moi est toute l'espérance des hommes »*** Le Livre des Haltes**.**

Comme on le voit, la vie de l'émir Abdelkader est sans cesse traversée de livres et de bibliothèques, de réflexions, d'échanges, de cours et de partage de la Science. Ces bibliothèques qu'elles lui appartiennent en propre, qu'il les visite volontairement ou qu'il les reconstitue. De même qu'il a bien souvent rencontré et côtoyé des lettrés, des érudits des savants durant ses années de formation, d'apprentissage tout au long de sa vie.

L'émir Abdelkader l'Algérien, le héros encensé, le triomphateur adulé, le vivificateur affirmé du dialogue permanent des trois religions, et cela est assez exceptionnellement rare dans l'histoire, le réconciliateur de l'occident avec l'orient, l'artisan d'un Algérie nouvelle, sur les traces de ses maîtres et prédécesseurs successifs. Ce qu'il a

ARABI, LE BOTANISTE IBN BAYTAR, LE GRAMMAIRIEN IBN MALIK, LE POLYGRAPHE IBN SA'ID AL-ANDALOUSI VENUS D'ESPAGNE CHERCHER UN REFUGE CONTRE LA MENACE FRANQUE ET UN LIEU DE CULTURE PLUS A LA TAILLE DE LEURS DESIRS. »(Claude Cahen, orientaliste français, 1909-1991).

Tous ces auteurs de l'âge d'or du monde arabe, tous domaines confondus circulaient d'orient à occident. Ils étaient connus de l'émir Abdelkader, cela ne fait aucun doute.Revenu en Orient, l'émir Abdelkader s'installe à Damas comme nous l'avons dit mais surtout auprès son maître Ibn Arabi (1165-1240) enterré dans la mosquée du Mont Quassioun, (il y sera également enterré selon ses dernières volontés, dans la même mosquée, tout près d'Ibn Arabi, de 1883 à 1966, date à laquelle sa dépouille a été rapatriée en Algérie) le cheikh Mohieddine, cheikh el Akbar, le vivificateur de la foi, le maître le plus grand qui soit, andalous, puis damascène, auteur d'une bibliographie monumentale que l'émir prendra soin de rassembler, de classer et d'éditer pour partie. Il aura pour objectif de se rapprocher de son maître par le suluk, le cheminement dans la Voie qui le conduira au plus haut niveau d'élévation mystique. *(M.Chodkiewicz, Abd el-Kader,op.cit. Introduction et pages suivantes).*

A partir de 1855, les journées de l'émir Abdelkader sont très longues-il dort peu- elles se passent à prier, à lire, à méditer et à étudier, à écrire et assurer son secrétariat. Son enseignement est double : ésotérique afin de transmettre aux cercles d'étude - à la manière des cercles de controverse qui se pratiquaient à Bagdad pendant l'âge d'or de la civilisation arabe en orient au X ème siècle – dédié aux étudiants et disciples afin de les initier à l'analyse et à la réflexion critique dans la superbe Mosquée des Omeyyades de Damas. Egalement plus général lorsqu'il s'agit de ses enfants ou de personnes désireuses de suivre son enseignement.

Comme on le voit son souci de transmettre demeure intact tout au long de sa vie, dans ses écrits, avec ses enfants, ses disciples, dont un bon nombre deviendront des muftis, des théologiens en Syrie, et en Egypte.

Fascination pour l'Orient

Pourquoi Damas pourrait-on se demander ? Une fois de plus, ce choix n'est pas le fruit du hasard. En effet Damas a un statut particulier dans le Coran, dans les mentalités et dans les livres. Pour les musulmans, les trois premiers versets de la sourate 95 **AT-TIN, LE FIGUIER,** évoquent les Lieux saints des trois religions abrahamiques : « **PAR LE FIGUIER ET L'OLIVIER, PAR LE MONT SINAÏ, PAR LA VILLE SURE**…», la Mosquée de Damas est implantée sous un figuier entre le sanctuaire sacré - Haram - de Jérusalem voisin du mont des Oliviers, le mont Sinaï et la Mecque. A Damas, un très grand nombre de saints avec **LE MAQUAM AL RAB -'IN**, des 40 prophètes connus pour la résolution de requêtes de toute sorte, certains membres de la famille du Prophète « **AHL AL BAYT** », y ont des sanctuaires.

Damas est la terre sacrée par excellence recevant en son sein les ordres soufis rassemblés dans les séances de zikr, liturgie spécifique basée sur la remémoration de Dieu.

Dans le « **LIVRE DE ROGER** », commande du roi normand Roger II de Sicile, le fameux géographe Al Idrisi, (env 1100-1165) évoque en 1154 en ces termes que « **LE PAYS DE DAMAS EST L'UN DES PLUS DELICIEUX PAYS DE DIEU ».** Il divise en 7 climats le monde connu parallèlement à l'équateur en suivant la méthode de Ptolémée.

Damas qui selon Ibn Jubayr (1145-1217) dans ses « **RELATIONS DE VOYAGES** » est le **PARADIS DE L'ORIENT, POINT D'OU S'ELEVE LA LUMIERE RAYONNANTE, SCEAU DES PAYS D'ISLAM. DAMAS S'HONORE D'AVOIR ABRITE LE MESSIE ET SA MERE, SUR UNE COLLINE ARROSEE D'EAUX VIVES OU S'ETEND UNE OMBRE EPAISSE ET OU L'ONDE EST SEMBLABLE A CELLE DU SALSABIL AU PARADIS**. Combien ont eu raison de dire ceux qui parlaient de Damas : « **SI LE PARADIS EST SUR TERRE, DAMAS Y EST, ET S'IL EST DANS LE CIEL, DAMAS RIVALISE AVEC LUI ET EST A SA HAUTEUR**! ».Toujours du même auteur, « **ON APPREND LES EFFORTS FAITS PAR LES PRINCES DE DAMAS POUR Y RETENIR LES ETRANGERS, NOTAMMENT DES LETTRES TEL LE MYSTIQUE IBN**

NAPOLEON EST LE SEUL QUI M'AIT VAINCU ».*ET IL FAIT LA PROMESSE QU'IL NE RETOURNERA JAMAIS PLUS EN ALGERIE.*

Entre Napoléon III et l'émir Abdelkader va naître une relation hors du commun basée sur des valeurs et des opinions proches : les deux hommes rêvent d'une véritable rencontre des deux cultures, des deux civilisations jusqu'à la création d'un royaume arabe d'Orient dont l'émir serait le souverain (**CHARLES-ROBERT AGERON, ABD EL-KADER SOUVERAIN D'UN ROYAUME ARABE D'ORIENT, REVUE DE L'OCCIDENT MUSULMAN ET DE LA MEDITERRANEE, 1970, VOLUME 8, P15-30).**

Cette conception du monde vue par le prisme du rapprochement Orient-Occident est partagée sur le plan religieux avec Monseigneur Dupuch, l'abbé Rabion et d'autres, sur le plan social et mondain, avec lesquels il amorce des dialogues - islamo- chrétiens, des dialogues sur la science, la modernité, la technologie. Il se projette et avec lui il projette son pays, l'Algérie qu'il connaît bien, qu'il aime tant, et pour lequel il veut le meilleur en toutes choses. Abdelkader s'est exprimé à maintes reprises sur les vertus de l'instruction et du savoir **: « LA SCIENCE PEUT ETRE COMPAREE A LA PLUIE DU CIEL ; QUAND UNE GOUTTE TOMBE DANS UNE HUITRE ENTROUVERTE, ELLE PRODUIT LA PERLE ; QUAND ELLE TOMBE DANS LA BOUCHE DE LA VIPERE, ELLE PRODUIT LE POISON ».**

Non seulement il s'est imposé par son humanité mais l'idée de progrès ne l'a jamais quitté comme on a pu le voir en se rendant, dès qu'il a été libéré, à Paris aux expositions universelles notamment de 1855 et 1867 : **« CE LIEU EST LE PALAIS DE L'INTELLIGENCE ANIME PAR LE SOUFFLE DE DIEU »** s'écrie-t-il face à son interprète Boissonnet en 1865(**AOULI, OP.CIT P 445)** il visitera également à Paris la Bibliothèque Nationale et l'Imprimerie Nationale, encore un signe de son grand intérêt pour l'écrit et la culture.

rythme des saisons et des rituels qui scellent une famille, un groupe, une société. Peu à peu les conditions s'assouplissent, la garnison installée près des quais de la Loire s'habitue à laisser passer quelques visiteurs assidus tel l'abbé Rabion qui était le curé de la ville ainsi que des visiteurs occasionnels. Une magnifique amitié va bientôt s'égrener entre les deux hommes, aimablement ponctuée de discussions sur les religions, la théologie et la morale, chacun apprenant sur la pratique religieuse de l'autre ainsi que sur sa vision du monde. Ne cessant d'approfondir sa soif de comprendre le christianisme et le judaïsme il s'entretient régulièrement avec le capitaine Estève Boissonnet, avec le général Daumas, les sœurs Saint-Maurice, si bienveillantes avec les pudiques algériennes, tous appréciés fraternellement, affectueusement par l'émir Abdelkader jusqu'à la fin de sa vie. C'est là, dans sa résidence surveillée qu'il rédige deux textes importants avec l'aide de son beau-frère et ancien calife Ben Thami, fils du grand mufti d'Oran **: « UNE AUTOBIOGRAPHIE »** et ***UN TEXTE QUI PRENDRA LE TITRE DE*** **« LA LETTRE AUX FRANÇAIS ».**

En octobre 1852, la délivrance arrive enfin, Louis-Napoléon Bonaparte, devenu le Prince- Président, vint annoncer à Abdelkader, au château d'Amboise, qu'il lui rendrait la liberté par un document où il lui disait : « **VOUS SEREZ CONDUIT A BROUSSE, ET VOUS Y RECEVREZ DU GOUVERNEMENT FRANÇAIS UN TRAITEMENT DIGNE DE VOTRE ANCIEN RANG... VOTRE RELIGION COMME LA NOTRE, APPREND A SE SOUMETTRE AUX DECRETS DE LA PROVIDENCE. OR, SI LA FRANCE EST MAITRESSE DE L'ALGERIE, C'EST QUE DIEU L'A VOULU, ET LA NATION NE RENONCERA JAMAIS A CETTE CONQUETE. VOUS AVEZ ETE L'ENNEMI DE LA FRANCE, MAIS JE N'EN RENDS PAS MOINS JUSTICE A VOTRE COURAGE, A VOTRE CARACTERE, A VOTRE RESIGNATION DANS LE MALHEUR ; C'EST POURQUOI JE TIENS A FAIRE CESSER VOTRE CAPTIVITE, AYANT PLEINE FOI DANS VOTRE PAROLE ».** Abdelkader eut l'occasion de définir plus tard sa reconnaissance en ces termes : **« D'AUTRES ONT PU ME TERRASSER,** disait-il**, D'AUTRES ONT PU M'ENCHAINER ; MAIS LOUIS-**

Parmi les livres qui ont été retrouvés dans la bibliothèque de l'Emir Abdelkader, 38 ouvrages (le nombre varie de 32 à 42 en passant par 38 ouvrages) sont conservés à la bibliothèque de Chantilly en France : nous en avons consulté un certain nombre et nous pouvons dire qu'en Théologie 11 composants Coran daté de 1198, et traditions relatives au Prophète, le Sahih de El Boukhari "qu'il avait toujours sur lui"**(FONDATION EMIR ABDELKADER). LE BOUKHARI CONTENANT LES DITS OU PROPOS ATTRIBUES AU PROPHETE ET RECUEILLIS PAR UNE CHAINE DE GARANTS AUTHENTIFIEE, D'OU LA CARACTERISTIQUE DE SAHIH COMME CELUI D'AL BOUKHARI (840-870)OU L'AUTHENTIQUE, LE DIGNE DE FOI, QUI EST L'UN DES DEUX LES PLUS REPUTES AVEC LE SAHIH DE MOUSLIM.** Autre livre, un Recueil de prières et de litanies par le cheikh El Djouzouly, en Droit musulman dont la Risala d'Ibn Abi Zaïd El Quarawany écrit en 1032 de l'Hégire, soit 13 composants, en Belles-Lettres 7 composants dont des textes mystiques et en Poésie 7 éléments dont le Youssof et Zouleykha de Djami ou encore Le sultan Mahmoud et ses trois fils.(voir liste détaillée des ouvrages de l'Emir Abdelkader en annexe **).**

Cet ensemble devait constituer le noyau de la bibliothèque publique de l'émir, base de données nécessaires à la bonne administration de l'état qu'il a tenté de constituer mais aussi instrument de la réflexion d'un intellectuel et d'un savant comme nous l'avons souligné plus haut.

Ajoutons qu'au Musée du château de Chantilly, sont exposés des objets ayant appartenus à l'Émir Abdelkader, un chapelet en corail et des objets personnels de son équipement équestre. Le tableau de l'émir Abdelkader signé de Stanislaw von Chlebowski, peint entre 1864 et 1866 y figure également. De même qu'une Thora du XVI ème siècle sur rouleau de peau conservée aujourd'hui en France au musée de Bourges, ferait partie du corpus de la bibliothèque de l'émir.

En France, au château Royal d'Amboise lors de l'hiver 1848, depuis la tour Garçonnet qui donne sur la rue, son muezzin appelle les fidèles à la prière, la communauté musulmane s'organise, essaie de vivre un peu mieux au

Une toute nouvelle vie commence pour l'Emir Abdelkader et une partie de sa smala, c'est une épreuve d'un autre type qui commence, il embarque à Mers- el -Kebir le 24 décembre 1847 sur un bateau militaire, l'Asmodée, une frégate à vapeur. Il n'est plus chef de rien, il est lui, Abdelkader, le musulman à la recherche de lui-même, engagé dans la Voie. Et c'est énorme, il le sait et c'est ce qu'il voulait depuis son jeune âge. Sinon, comment supporter une telle situation ? A Amboise, il sera détenu dans un château avec des mesures de surveillance draconiennes face à une liesse débordante de la population. Abdelkader adresse alors au Prophète une prière inspirée en ces termes : *« O Seigneur, ô envoyé d'Allah, mon soutien, mon espoir, ma citadelle, mon assistance! Trésor de mon dénuement, mon refuge, mon secours, ma réserve dans le malheur et la peine! O rocher qui me préserve de l'humiliation; ô défenseur de mon honneur, ô notre intercesseur! En demain j'espère, grâce à toi, à mon appui. La science que j'espère acquérir et les œuvres dont je conçois la réalisation ne sont inspirées que par la religion de la voie droite et de la bonne direction. Je désire ton agrément ô Mohammed, et pour le fléchir, je ne présenterai que mon dénuement, mon humilité et mes mains vides .Si tu es satisfait, quelles seront alors ma gloire et ma noblesse! Quand tu m'aides, qui pourrait quelque chose contre moi ? ».*

Son premier biographe, Charles-Henry Churchill, vice-consul de Damas à l'époque, dont l'ouvrage est édité à Londres en 1867 ajoute que : « *Abdelkader ne se consola jamais de la dispersion de sa bibliothèque lors de la prise de la smala en 1843.Les précieuses collections furent dérobées ou détruites. Tout dernièrement, le 28 mai 1968 se vendait à Paris à l'hôtel Drouot, un des volumes issu de ce passage en même temps qu'une dizaine de manuscrits anciens provenant de la grande mosquée de Blida et volés par Clauzel et ses hommes.(...)Lorsqu'il (l 'émir Abdelkader)apprit le désastre, il suivit la trace des colonnes françaises, le regard douloureusement fixé sur les feuilles détachées qui parsemaient la route, triste fin d'un grand règne* ».(cité par Michel Habard en introduction à l'ouvrage, Enal éditions, Alger, 1991, 4ème édition, note (1) p.22).

PRISONNIERES » (**M.C. SALHI, ABDELKADER, CHEVALIER DE LA FOI OP.CIT), *L'ÉMIR*** Abdelkader écrit « **UN TRAITE DE LA GUERRE** » et « **UN TRAITE DE DEFENSE DES** prisonniers » bien avant la Convention de Genève et Henry Dunant alors jeune banquier suisse qui a vécu en Algérie pendant 6 ans durant la colonisation française. **(FONDATION EMIR ABDELKADER).**

Dans le même temps, l'émir tient son secrétariat, il écrit beaucoup, il a des échanges épistolaires avec les grands qui gouvernent désormais l'Algérie, le Général Desmichels, le Général Bugeaud et d'autres. Il ne cessera, chaque jour de sa vie, de consacrer une séance quotidienne à la gestion de son secrétariat par une correspondance régulière assisté de ses secrétaires particuliers. Bruno Etienne dans son livre « **ABDELKADER »** évoque le nombre de 6000 lettres qui auraient été écrites et qui auraient circulé à travers la France et l'Algérie voire au delà.

Comme on a pu le voir, tous les auteurs qui ont écrit et écrivent sur l'émir Abdelkader s'accordent à désigner la perte de sa bibliothèque comme un événement dramatique, soulignant ainsi l'importance qu'il lui a donnée. Et pour cause, la bibliothèque familiale, patrimoniale traduit de manière magistrale sa démarche de bâtisseur d'humanisme alliant culture et science.

Captivité et exil intérieur : 24 Décembre 1847 – 16 Octobre 1852

La prise de la smala dont les détails sont connus et relatés dans tous les livres et encyclopédies : le 16 mai 1643, le duc d'Aumale l'un des cinq fils du roi Louis-Philippe s'empare de la smala de l'émir alors absent, fait prisonniers ses parents, pille ses biens, disperse sa bibliothèque dont une partie est conservée en France, au musée Condé de Chantilly. S'il fallait apporter confirmation de l'exigence de qualité culturelle de l'Émir, prendre connaissance de la liste de ces livres, les voir véritablement suffirait à la mesurer et comprendre la teneur et l'étendue de la culture de l'Émir Abdelkader. Et combien grande fut sa peine lorsqu'il dû se séparer de sa bibliothèque entre fumée, larmes et désarroi.

« *De 762 à 775 soit en moins de 15 ans les abbassides donnent naissance à l'encyclopédisme musulman avec l'élaboration d'une ambitieuse idéologie impériale autant qu'à une grande culture lettrée »(* nous dit Houari Touati dans son ouvrage « L'armoire à sagesse » (2003, Aubier, *p165),*)le titre renvoie à la *« Khizanat al Hikma conçue comme dépôt et comme lieu de travail pour les grands lettrés de la cour du calife abbaside Al Mansur*(714-775) *la collection n'est pas qu'un symbole de pouvoir, quelle qu'en soit sa nature, ni uniquement un inventaire raisonné du monde. Elle est également une œuvre de goût (…) elle apparaît comme le produit d'une conception du monde forgée dans la confrontation entre la révélation coranique et l'épistémologie aristotélicienne ».* (p20).

Un auteur monumental comme El Jahiz laisse parmi son œuvre un magnifique plaidoyer pour le livre et la culture, dans son introduction au Livre des animaux (*Kitab el hayawân*) où il développe l'idée que sans livres et sans l'héritage des anciens par lequel l'esprit se prolonge, notre pensée serait très appauvrie.

Citons-le : « *Plus tu plonges dans la lecture d'un livre, plus ton plaisir augmente, plus ta nature s'affine, plus ta langue se délie, plus ton doigté se perfectionne, plus ton vocabulaire s'enrichit, plus ton âme est gagnée par l'enthousiasme et le ravissement, plus ton cœur est comblé »,*écrit vers 850 Jahiz, Hayawân, I, 50, trad. partielle in L. Souami, Le cadi et la mouche, Paris, 1988, p51, *cité par* H.Touati, *op.cit*).

Pour revenir à la constitution de la smala mobile, un autre lien peut se faire avec la cité idéale au moment de la création de Bagdad se fait naturellement, la ville ronde fortifiée de remparts, **AL MADINA AL MOUDAWARRA** qui reste un modèle d'imagerie solaire, d'inventivité et de génie urbain. Mais aussi, rappelons-le, Bagdad avec la dynastie des Abbassides reflète le centre de gravité du pouvoir, du Savoir et de la Culture, Bagdad encore, ville du saint ancêtre Abdelkader El Djilani. En 1840, animé par un élan précurseur et sans doute poussé par le bon - sens de sa mère qui « **S'ACQUITTAIT DE VEILLER SUR LES**

Lorsqu'elle sera détruite en 1841, l'émir redouble d'ingéniosité en puisant dans ses ressources intérieures et en se basant sur la conception cosmogonique du monde de son maître andalou Ibn Arabi. C'est dans ce cadre qu'il donnera naissance une autre capitale mobile cette fois-ci, conçue comme la cité idéale mobile, la smala, véritable ville itinérante, savamment pensée, fonctionnant admirablement depuis le cœur du cercle qui circonscrit autour de lui son équipage hiérarchisé, ses lieutenants, les corps de métier sans oublier les bêtes, chevaux, mulets, ânes et leur fourrage. Un pôle d'instruction et d'éducation étaient au centre de ses préoccupations : **« L'EDUCATION DES MASSES ETAIT PARMI LES PREOCCUPATIONS DE L'ÉMIR, CE QUI N'ETONNE PAS DE LA PART D'UN HOMME EPRIS DE CULTURE DEPUIS SON PLUS JEUNE AGE. SON EFFORT D'UNIFICATION ALLAIT DONC DE PAIR AVEC L'ETABLISSEMENT D'UN SYSTEME D'EDUCATION GENERALE. AUSSI BIEN DANS LES VILLES QUE DANS LES CAMPAGNES FURENT CREEES DES ECOLES OU DES ENFANTS APPRENAIENT L'ARITHMETIQUE. CET ENSEIGNEMENT ETAIT GRATUIT, DE MEME QUE CELUI DISPENSE DANS LES ZAOUÏAS ET LES MOSQUEES D'UN NIVEAU PLUS ELEVE » (**A. Boutaleb, l'Emir Abdelkader et la formation de la nation algérienne, éditions Dahlab 1990, p 109).

L'Emir Abdelkader dira plus tard : **«J'AVAIS L'INTENTION D'ETABLIR A TAGDEMPT -*SA CAPITALE FIXE*- UNE BIBLIOTHEQUE MAIS DIEU NE M'EN A PAS DONNE LE TEMPS. LES LIVRES QUE J'AVAIS DESTINES A EN FORMER LE COMMENCEMENT ETAIENT DANS MA SMALA LORSQUE LE FILS DU ROI S'EN EST EMPARE. AUSSI CE FUT UNE DOULEUR AJOUTEE A MES DOULEURS DE SUIVRE VOTRE COLONNE REPRENANT LE CHEMIN DE MEDEA, A LA TRACE DES FEUILLES ARRACHEES AUX LIVRES QUI M'AVAIENT COUTE TANT DE PEINE A REUNIR»** Abdelkader (Source : L'émir Abdelkader, Alger, Ministère de l'Information et de la Culture).

L'intention de rassembler des livres à des fins de bibliothèque remonte loin dans l'histoire arabo-musulmane.

coins du monde, donnant lieu à un brassage intellectuel, culturel, philosophique et où l'on pouvait faire connaissance d'imams, de cheikhs, de soufis et de commentateurs du Coran. C'est bien grâce à l'imbrication de différentes influences qu'il avance, qu'il rêve, qu'il agit en se projetant dans l'avenir **: IL ENGRANGEAIT, IL EMMAGASINAIT, IL ACCUMULAIT. POUR PLUS TARD ». (*B. ETIENNE, ABDELKADER*, OP. CIT. P 91).**

ARRETONS-NOUS UN INSTANT SUR LE PREMIER PELERINAGE A LA MECQUE POUR PRECISER QUE C'EST LA, AU RETOUR DU PELERINAGE, SUR LA ROUTE DE DAMAS, QU'IL CONNU SON PREMIER MAITRE VIVANT, LE CHEIKH KHALID AL NAQCHBANDI DE LA CONFRERIE EPONYME, QU'IL LUI EST DEVOUE PAR RATTACHEMENT, CE QUI IMPOSE QUE SE NOUE ENTRE LUI ET SON MAITRE UNE RELATION **« CALQUEE SUR LE MODELE RELATIONNEL DU PROPHETE AVEC SES COMPAGNONS (SAHABA), LA SUHBA EST LE GRAND MODELE INITIATIQUE DE TRANSMISSION, DE SAVOIR EN ISLAM (...) ELLE EST AUSSI UN MODELE DE VIE SOCIALE QUI FAIT UNE GRANDE PLACE AU SYSTEME DE LOYAUTE. *(H.TOUATI, ENTRE DIEUX ET LES HOMMES, OP.CIT. P 23).***

QUAND LA PREMIERE CAPITALE DE L'EMIR, MASCARA, EST PRISE PAR LE MARECHAL CLAUZEL EN 1835, LA PREMIERE PIERRE DE SA NOUVELLE BASE, SERA POSEE EN 1836, A TAGDEMPT.

« ABDELKADER VOULAIT RESSUSCITER L'ANCIENNE CAPITALE POLITIQUE, INTELLECTUELLE ET RELIGIEUSE DE L'ALGERIE CENTRALE, *(TIARET)* SUR LAQUELLE REGNAIENT DEJA SES ANCETRES DE TUNIS AU MAROC » *(B.ETIENNE, OP. CIT. P149).* Il dresse une armée régulière, une administration, frappe monnaie, lève l'impôt et « **IL REVE DE FAIRE DE TAGDEMPT UN FOYER DE RAYONNEMENT THEOLOGIQUE ET CULTUREL COMME FES OU TUNIS** ». (Mohamed Boutaleb, 2004, Président de la Fondation Émir Abdelkader, Alger).

Mascara, sous un frêne du nom d'Ed-dardarra, la vie de l'émir Abdelkader bascule dans l'Histoire des deux pays, l'Algérie et la France même si au départ il ne revendique pas le pouvoir de l'épée.

Rien ne sera plus comme avant, il y aura désormais un avant et un après à partir de cette date à haute valeur symbolique et si réelle. Dès ce jour historique le titre de Sultan des Arabes lui est attribué. Il fait face, il est en première ligne pour tout, répond pour tous et agit. C'est ainsi qu'il s'active, crée un état, le premier état algérien sur le modèle mohammadien, donnant lieu au modèle califal arabo-islamique, en s'inspirant de la puissante Égypte de Mohamed Ali qu'il a eu l'occasion de rencontrer lors du Pèlerinage à la Mecque accompli avec son père durant les années 1826 à 1829. Le pèlerinage, accomplissement de la vie religieuse de chaque croyant, durait si longtemps pour plusieurs raisons : tout d'abord d'Oran à la Mecque il y a près de 8000 kms, à dos de cheval, de dromadaire et selon l'importance de la caravane, il faut bien compter plus de 6 mois pour atteindre la ville sainte.

*« Le pèlerinage s'effectue quant à lui entre le 8 et le 13 du mois lunaire de dhu al –hijja, douzième mois de l'année musulmane, durant une semaine que comptent rites, visites et sacrifice du mouton ». **(RECIT D'IBN BATUTTA /VOLUME I (725 HEGIRE, 1351 AP J.-C ET S. ZEGHIDOUR, LA VIE QUOTIDIENNE A LA MECQUE DE MAHOMET A NOS JOURS, PARIS, HACHETTE, 1989).***Ensuite pour un notable tel que lui, il va de soi qu'en faisant des haltes dans les grands villes telle que Tunis, Le Caire, Damas et Bagdad, chacune d'elle étant un foyer de rayonnement cultuel et philosophique, il rendait visite ou il était invité par ceux de son rang à partager pendant plusieurs jours totale hospitalité, idées, invitations, informations et nouvelles ainsi qu'enseignement avec les ulémas locaux c'est-à-dire les théologiens/savants pouvant interpréter le livre saint - et il visitait à chaque fois les bibliothèques. Il eut même l'occasion de discuter avec le vice-roi d'Egypte le fameux Méhmét Ali (Mohamed Ali Pacha), il en garda un souvenir intact ainsi que celui de cette ville du Caire si fascinante et cosmopolite. La Mecque était connue pour ce brassage de pèlerins venus des 4

ARABE ET QU'ELLE VEHICULE UNE CULTURE QU'IL FAUT MAITRISER.(...)APRES AVOIR ASSIGNE LES OBJECTIFS, VA-T-IL EN EXAMINER LES CONTENUS ET PROCEDER A UNE ENUMERATION DES SAVOIRS VEHICULES PAR CETTE POESIE(...) OU IL MENTIONNE LES CONNAISSANCES PORTANT SUR LES AKHBAR, SAVOIR HISTORIQUE CONCERNANT LES ARABES DE LA DJAHILIYYA, LES ANSAB AS-SIHAH, SAVOIR GENEALOGIQUE DONT ON SAIT L'IMPORTANCE DECISIVE DANS L'ETABLISSEMENT DES REGLES D'APPARTENANCE A LA COMMUNAUTE ARABE ET ISLAMIQUE ET DE LA DEVOLUTION DU POUVOIR, AL HIKAM AL MUDARI'A LI-HIKAM AL FALASIFA QU'ON POURRAIT TRADUIRE PAR « LES SENTENCES SAPIENTALES QUI VALENT BIEN CELLE DES PHILOSOPHES,(...) LE SAVOIR CONCERNANT LES CHEVAUX, LES ETOILES, LES VENTS, LES ECLAIRS, LES NUAGES, EN FAIT CE QUI TOUCHE A LA CONNAISSANCE DU GHARIB) ».(Jamel Eddine Bencheikh, poétique arabe, Gallimard, collection Tel, 1989, préface p IV).

Dans sa « **LETTRE AUX FRANÇAIS** » écrite lors de son exil français (entre 1850 et 1855), il fait sans cesse référence aux connaissances et savoirs anciens à grande échelle et indique que le temps ne se calcule pas sur une seule génération. C'est bien de cela qu'il s'agit et qui constitue peut-être une des différences fondamentales entre la mentalité française et celle de l'Emir Abdelkader : lui se tient sur une temporalité à large perspective, autre que celle du simple mortel d'une part, et d'autre part, à cents lieux d'une société matérialiste qui ne prend en compte que l'ici-bas. Il le sait si bien que sa certitude le pousse à se conduire, à penser, à se projeter dans ce sens.

- II - Rencontre avec un homme remarquable : le Sultan des Arabes

Dès qu'il est proclamé Sultan des Arabes et Commandeur des croyants -Amir el mou' mininn par les chefs des tribus lors de la Moubâ-ya'a,-investiture- du 21novembre 1832, près de

1994, p 441 citant A.Bellemare, Abd el-Kader, sa vie politique et militaire, Hachette, Paris, 1863).

Puis, c'est à Oran qu'il ira chercher le complément nécessaire de savoir et de connaissances auprès d'un maître, Si Ahmed Ben Khodja Al Mustaghanemi qui enseignait dans la zaouiya oranaise et lui fera gravir un nouvel échelon dans l'édifice du Savoir.

Il lui enseignera et le perfectionnera en lecture, en écriture et à l'art oratoire. Il le sensibilisera à Al Mas'udi (env 900 - env 956) s'adonnant ainsi à la pratique de la connaissance encyclopédique en référence aux intellectuels arabes du Xème siècle ; cet historien et grand voyageur pendant la dynastie abbasside est cité par Ibn Khaldoun (1332-1406), quant à ce dernier, il fut conseiller à Tlemcen auprès du sultan Abdelaziz, cinq siècles auparavant.

Al Mas'udi, auteur du célèbre ouvrage « **LES PRAIRIES D'OR »** est le plus remarquable exemple.**(HOSSEIN AL MAS'UDI NOMME PAR IBN KHALDOUN « L'IMAM DES ECRIVAINS », HISTORIEN, A L'ESPRIT SCIENTIFIQUE NAQUIT A BAGDAD, PASSA SA JEUNESSE EN VOYAGES, IL PARCOURT L'INDUS, LES COTES INDIENNES, CEYLAN, LA MER CASPIENNE, VISITA LA PERSE, L'ARABIE, MADAGASCAR, LA PALESTINE, L'IRAK, LA SYRIE, L 'EGYPTE, IL MOURUT AU CAIRE EN 956.SES CONNAISSANCES TOUCHAIENT TOUTES LES BRANCHES DU SAVOIR, Y COMPRIS AUX ARTS ET A LA MUSIQUE, ENCYCLOPEDIE DE L'ISLAM, VOLUME IV, P 774).** Abdelkader découvre El Mutannabbi (915-965) le grand poète El Mutannabi, contemporain de son rival, Abu Firas Al Hamadani (932- 968) ainsi que d'autres. C'est avec lui qu'Abdelkader approfondira l'apprentissage de la qacida, genre poétique arabe qui veut signifie « pièce poétique ». Il lira aussi les textes poétiques de Ibn Rachiq El Hassan né à M'sila (Algérie) et Ibn Hani qui y vécut longtemps.

« **SI LE SAVANT QU'EST IBN QUTAYBA CONSACRE UN OUVRAGE A LA POESIE (...), IL LE FAIT PARCE QUE LA POESIE EST UN INSTRUMENT INDISPENSABLE A L'ACQUISITION DE LA LANGUE**

au cours de sa vie en Algérie. Cet aspect du champ de ses connaissances est très important et avait été repéré par son ennemi Bugeaud, maréchal puis gouverneur de l'Algérie, qui enviait la grande connaissance tant en hippologie qu'en hippiatrie que l'émir avait vis -à -vis de ses chevaux si rapides et si légers.

« *Nul se savait avec plus d'assurance choisir un pâturage, désigner une étendue à laquelle il faudra confier la semence et discuter le prix du bétail, de la laine ou des grains. Nul ne connaissait mieux jusqu'à quelle limite il convient de charger mulets ou chameaux et quelles étapes ils pourront accomplir sans dommage. Nul ne se montrait mieux informé des pistes, raccourcis, défilés ou points d'eau....Il aimait les chevaux ardents, les enharnachements somptueux, les belles armes bien en main, les faucons prompts comme la foudre, les sloughis* (lévriers arabes) *qui se jouent de la course affolée du lièvre.* » (Joseph le Gras, Abdelkader, édition Berger-Levrault, Paris, 1929, cité par Mhamsadji .K **OP CIT.)**.

Autre cas où l'émir en cavalier émérite démontre son amour des chevaux, en les offrant à des personnalités de marque : « ce sont trois magnifiques chevaux qu'il offrira une fois libéré à l'empereur depuis sa résidence à Brousse, Turquie (1853-1855), portant chacun une têtière sur laquelle sont brodés en fils d'or des vers composés par l'émir **: « SUR LE BAI : HONOREZ-MOI, O SULTAN, ET AGREEZ-MOI, CAR JE SUIS UN CHEVAL DE DISTINCTION. LA BLANCHEUR DE MES PIEDS ET CELLE DE MON VISAGE EGALENT LA BLANCHEUR DU CŒUR DE CELUI QUI M'ENVOIE VERS VOUS. SUR L'ALEZAN : Ô SULTAN QUI AVEZ SURPASSE LES AUTRES SOUVERAINS PAR VOTRE JUSTICE, VOTRE FORCE ET VOTRE BONTE, J'AI LA COULEUR DE CET OR QUE VOUS DISTRIBUEZ AUX MALHEUREUX. DAIGNEZ ME MONTER, ET VOUS TRIOMPHEREZ DE VOS ENNEMIS. ENFIN LE BAI CLAIR : Ô SULTAN, VOTRE GLOIRE EST IMMORTELLE AUX YEUX DES PEUPLES ET DES ROIS. JE SUIS UN CHEVAL DE RACE, ET MA COULEUR EST CELLE DU FEU AU JOUR DU COMBAT.** » (S.Aouli, R.Redjala, P.Zoummeroff, Abd El -Kader, Fayard,

théologiques de Sidi Senouci de Mostaganem (1791-1859) fondateur de la confrérie éponyme.

Pour conclure sur les parties naissance et éducation, nous ajoutons que *« Elle (Ghrîs) se dote de grammairiens d'historiens et de généalogistes et c'est par le droit et la théologie qu'elle se qualifie dans la culture maghrébine comme centre de rayonnement scientifique et que le grand-père d'Abdelkader, Sheikh Mustafâ b.Mukhtâr (mort en 1797) y a inscrit la liste des ouvrages à étudier au programme de la zaouia (en droit, en droit de succession, en logique, les traditions prophétiques avec le Sahih Boukhârî, des ouvrages de langue et de grammaire, H.Touati, op.cit).*

Une partie de ces livres rares et si précieux se retrouve confisquée lors de la prise de la smala en 1843 par le duc d'Aumale. L'on comprend pourquoi l'Emir Abdelkader pleurait lorsqu'il vit le carnage du pillage de la smala jusqu'à suivre à la trace les feuillets éparpillés rongés par le feu et à prendre entre ses mains les restes de braise. Certains de ces ouvrages sont aujourd'hui au Musée Condé du château de Chantilly en France.

Prédilections

Comme nous allons venons le voir, les prédilections de l'émir Abdelkader se nomment art équestre mais aussi hippologie et hippiatrie, poésie classique, amour des livres et de l'écriture.

L'enseignement physique se compose du maniement des armes de chasse, de combat et de préparation militaire. Les tribus de l'ouest on besoin d'un chef pour établir une unité d'actions et de stratégie dans le contexte de l'Algérie coloniale.

Une autre pratique est enseignée, elle repose sur la pratique de l'équitation avec ses jeux de compétition, de courses, de fantasia et de chevauchées qui a fait la renommée de cette région de l'ouest de l'Algérie. La connaissance de l'art équestre s'accompagne comme il se doit du dressage et des soins apportés aux chevaux, en un mot, de la Furussiya héritée du cosmographe et juriste Al Qazwînî (1203-1283) dans laquelle Abdelkader se singularisera à maintes reprises

surérogatoires, sur le renoncement au monde matériel par des retraites et des méditations sans s'exempter d'activité professionnelle, sur le contrôle de ses émotions et de ses passions, sur la générosité, l'humilité, le dévouement à l'idéal mystique en toutes circonstances, l'ensemble étant gradué par des étapes, des états et des épreuves que le guide dispense au disciple dans le but de se rapprocher de l'essence divine.

« *La zaouia* (fondation religieuse) *paternelle est un établissement de piété puis d'instruction, assurés aux étudiants et aux élèves, ainsi que des actions de bienfaisance ouvert aux voyageurs et pèlerins* ». (M.de Neveu, les Khouans, les ordres religieux chez les musulmans de l'Algérie, 2 ème édition, 1848, cité par Mhamsadji.K **OP.CIT**).Pour la partie intellectuelle, le jeune Abdelkader se nourrira au savoir des grands des mondes passés tel que Euclide, Platon, Ptolémée, Al Kindi, Ibn Sina, Razi, Ibn Khaldoun.(**M.C.SALHI, ABDELKADER, CHEVALIER DE LA FOI, EDITION EN-NAHDA, ALGER,1953).**

Le maître spirituel du père d'Abdelkader est Sidi Abdelkader El Djilani (1083-1166) fondateur de la tariqa - confrérie - éponyme la Djilaniya, saint du XIIème siècle, enterré à Bagdad en Irak. Depuis la Guetna qui fut une école d'enseignement général, spirituel et théologique incluant le droit, l'histoire, la grammaire, la littérature et la métrique, la théologie à travers le Coran et les hadiths ainsi que **« LE DROIT CANON, EL FIQH D'APRES L'ECOLE DE MALIK IBN ANAS, FONDATEUR DU RITE MALEKITE, DOCTRINE LARGEMENT SUIVIE EN ALGERIE QUI PRIVILEGIE L'IDJMA' OU CONSENSUS ET LIMITE LE RAY OU OPINION PERSONNELLE TOUT EN DONNANT LA PREFERENCE AUX DECISIONS JURIDIQUES** ». (Mhamsadji. K **OP.CIT).**

Très vite, entre les mains du cadi -juge d'Arzew, Ahmed Ben Tahar, le jeune homme à l'intelligence vive gravit les échelons du savoir - identiques à ceux de la voie initiatique - et devient taleb à 12 ans (commentateur autorisé du Coran et des hadiths), puis hafiz (celui qui connaît le Coran par cœur) puis encore 'alem, (savant), il commente les écrits

années et qui sera sa plus proche conseillère tant pour Mohieddine son mari, que pour son fils, fiable et sûre, tout au long de sa vie. Elle le suivra durant le dur exil de France. « *Elle était issue de la famille des Ouled si ben Amar ben Douba* » (M'Hamsadji Kaddour, op.cit.), son nom complet renvoie à une partie de sa généalogie ou nasab tel que défini par Ibn Khaldoun.

« Ô Seigneur ! Permettez que j'arrive pour recevoir la bénédiction de Votre servante ! Cette femme m'a appris le Coran et la piété, Seigneur ! Elle atteste qu'il n'y a de divinité que Toi. Accorde –lui Pardon et Miséricorde ! ». Telle est la prière que fit l'émir sur son cheval lorsqu'il rejoignit sa mère gravement malade, pendant la construction de sa nouvelle capitale Tagdempt (B. Etienne, Abdelkader, Hachette, 1995, p150). Cette prière dénote combien sa mère lui était très chère et témoigne de ce qu'elle lui a appris.

Au XIXème siècle, l'Algérie si convoitée détient ainsi une autre grande spécificité sous estimée et méconnue, celle des confréries quadrillant le pays comme un rempart intégré et invisible de la société. Oran est l'un de ces foyers de soufis et de confréries ; la kadirya est créée par le père d'Abdelkader qui en était le chef spirituel. C'est un rôle des plus importants qui témoigne de leur lignée de soufis.

Le père d'Abdelkader, Sîdî Muhyî l-dîn, est l'auteur « *d'un traité de direction à, l'usage des novides « Le kitâb irshâd al mûrîdîn », manifestant dès son jeune âge le goût de l'oraison, Abdelkader semble voué à ce destin de maître spirituel qui sera le sien à Damas* ». (M.Chodkiewicz, Abd el-Kader, Ecrits spirituels, Le Seuil, 1994, p 23).

Transmettre est donc une tradition familiale par le père, le grand-père de l'émir Abdelkader ainsi que ses frères lorsque l'un deux notamment prendra la tête de la zaouia.

Cette confrérie est par le biais de son chef, dépositaire d'une Baraka couplée à une vision du monde qui offre une pratique dans les gestes les plus simples du quotidien tout en étant accompagnée d'une liturgie spécifique et d'une initiation à étapes par l'intermédiaire d'un guide. L'enseignement soufi se fonde, au-delà des 5 piliers de l'islam et des prières

face à l’envahisseur français, incarne la revendication anticoloniale.

L’émir Abdelkader fait d’une famille de chourafa, il est chârif, c’est-à-dire un descendant du Prophète, il appartient à la noblesse de chapelet selon le terme de Bruno Etienne.

Cette plaine du Ghrîs a une histoire riche et ancienne que nous narre H. Touati dans son ouvrage « Entre Dieu et les hommes » : *Avec l’effondrement des grands centres intellectuels urbains médiévaux, des pans entiers de culture savante se sont retranchés dans les plaines et les montagnes. Quand notamment Tlemcen perd l’initiative intellectuelle du Maghreb central, une partie de sa culture est captée par une bourgade, Mazouna et un terroir Ghrîs, qui forme l’actuelle plaine de Mascara. (…)C’est ainsi les quêteurs de science venaient visiter d’un peu partout au Maghreb Abdelkadir b.Khadda, 6 ème ancêtre de l’émir Abdelkader*.

Ghrîs est intégrée par différentes filiations à la culture maghrébine par l’intermédiaire de Tlemcen, Alger et Fès, à celle du monde musulman par l’intermédiaire du Caire, cette dernière étant « *métropole du monde et jardin de l’univers, lieu de rassemblement des nations, fourmilière humaine, haut lieu de l’islam, siège du pouvoir (…) Partout fleurissent médersas et couvents mystiques, comme les astres éclatants y brillent les savants* ». (Ibn Khaldoun, le voyage d’orient et d’occident, trad.A.Cheddadi, Paris, Sindbad, 1980, p11, *cité* par H. Touati, op.cit. p 56).

Pour terminer sur Ghrîs nous ajouterons que « *Ghrîs est à l’Algérie ce que Fès est au Maroc : le haut lieu de sa littérature généalogique* (H.Touati, op.cit).

Education

Son éducation, dès sa naissance, commence dans le giron familial auprès de son père et de sa mère, dans le centre de rayonnement de la Guetna. La participation active de sa mère, Lalla Zohra, l'une des rares femme lettrée de cette époque, contribuera à son éducation, à lui inculquer outre les gestes et les actes de la vie quotidienne du musulman, **« LA DIFFERENCE ENTRE LA TRADITION ET LA RELIGION** » soit entre dounya et dinn, notamment au cours des premières

Il est vrai que l'homme ne cesse de fasciner : algériens, français, anglais, américains, italiens et arméniens sur les aspects militaires, religieux, ceux de sa biographie ou encore celui de la mystique. Tous ceux qui l'ont approché hier quelle que fut la nature du contact ou de la relation, témoignent de cette fascination totale, physique, morale, sa présence pleine et entière, son charisme, ses propos, sa voix claire et sobre, empreinte de douceur et de fermeté. Il n'est pas si commun de rencontrer une telle personne qui a joué un rôle multiple, à chaque fois prépondérant, égrené de faits marquants, à la fois politique et social, intellectuel, pragmatique et constructeur, qui a fait de ses acquis et de ses découvertes, une avancée significative pour le bien de tous. Au destin tracé à l'origine transformé en destinée.

Heureusement, quelques auteurs ont eu l'excellente idée d'écrire de manière plus détaillée sur le thème, dont M'Hamsadji Kaddour avec **LA JEUNESSE DE L'ÉMIR ABD EL KADER**, (Éditions O.P.U, Algérie, 2004) et qui va nous servir de point de départ afin de mettre au premier plan la quête et la dimension intellectuelle de l'homme de lettres que fut l'émir Abdelkader.

Nous aborderons la problématique de la « Bibliothèque personnelle de l'Emir et son intérêt porté à la collection de livres et des manuscrits » en évoquant conformément à la citation de départ :

- I - *« MA CARRIERE ME FUT TRACEE PAR MA NAISSANCE, MON EDUCATION ET MES PREDILECTIONS ».*

COMME IL LE DIT LUI-MEME SI BIEN EN EVOQUANT SA VIE : « **MA CARRIERE ME FUT TRACEE PAR MA NAISSANCE, MON EDUCATION ET MES PREDILECTIONS »,** ***L'EMIR ABDELKADER TOUJOURS PRECIS ET CLAIR DANS SES ENONCES NOUS DONNE LA REPONSE. C'EST DONC DE LA QU'IL NOUS FAUT CHERCHER ET EXPLORER.***

Naissance

Abdelkader ben Muhyi el - Din Al Hassani, né en 1808 à la Guetna de l'oued Al Hammam, à l'ouest de Mascara, dans la plaine du Ghrîs, précurseur de taille de la résistance

La bibliothèque idéale de l'Emir Abdelkader : capital culturel et transmission

Djalila Dechache, Paris, France

« **MA CARRIERE ME FUT TRACEE PAR MA NAISSANCE, MON EDUCATION ET MES PREDILECTIONS » EMIR ABDELKADER.**

Dans le cadre de la célébration du 50 ème anniversaire de la fête de l'Indépendance de l'Algérie, la Faculté des Lettres, des Langues et des Sciences Sociales et Humaines en collaboration avec le Laboratoire des Recherches Sociologiques et Historiques de l'université de Mascara, lancent un appel à contribution aux chercheurs algériens et ceux du monde entier pour participer à la publication d'un ouvrage collectif qui aura pour thème :

« L'Emir Abdelkader : Un génie dans le temps et dans l'espace » avec différentes thématiques dont celle que nous avons choisie « Bibliothèque personnelle de l'Emir : l'intérêt porté par l'Emir à la collection des livres et des manuscrits ».

Pour évoquer la vie de l'émir Abdelkader, et a fortiori pour répondre à la problématique posée, débutons en préalable par aborder sa naissance et l'éducation reçue. Cependant, l'investigation suivie et l'analyse des documents consultés, nous mène tel le fil d'Ariane, vers la trace de l'extraordinaire bibliothèque constitué par les soins de l'Emir. Grâce à l'héritage de ses ancêtres mais aussi grâce aux voyages entrepris par lui en Europe, au Maghreb et en Arabie, avant son exil en France, il accordera un grand intérêt aux voyages et aux voyageurs parce qu'il « *n'y a pas de quête sans voyage, sans rihla, fondement de toute compilation scientifique ». (Wansharîsî, Mi'yâr, ed M.Hajjî, Rabat, Wizârat al Awqâf, 1981, II, p 479, cité Houari Touati, Entre Dieu et les hommes, Aubier, 1994, p31).*

Le voyage scientifique ou rihla, ne contient-il pas la prérogative d'aller chercher le savoir jusqu'en Chine, ainsi que le préconisait le Prophète Mohamed ?

fanatisme religieux au patriotisme, Ed, Ollendorf, 1878, P.153.

(3)GeorgesYver : *Correspondance du capitaine Daumas, consul à Mascara,*Revue Africaine,pp.486 - 487, (Lettre du 9 juin 1839).

(4) op. cit., p.407

(5)Churchill (Charles Henry),*l'EmirAbdelkader*, Ed, British-Mémory, 1968, p. 168.

(6))Churchill (Charles Henry), op.cit., p. 172.

(7) Le Comte d'Hérisson :*La chasse à l'homme, Guerres d'Algérie*, Paris, Ed, Ollendorf, 1871,p.133.

(8) Ibid, p.136.

(9)Ibid, p.143.

(10)Archivesde l'Archeveché d'Alger.

(11) Abbé E Pioneau : *La vie de Mgr Dupuch*, 1868,Archives de l'Archeveché de Bordeaux, p.485, boite 5.

(12) Abbé Souchet : *Lettres édifiantes et curieuses sur l'Algérie*, Archives de l'Archeveché de Tours, 1840, p.406.

(13) تحفة الزائر في تاريخ الجزائر والأمير عبد القادر، طبعة ممدوح حاكي، ص 522.

(14) Archives de l'Archeveché d'Alger.

(15) Boualem Bessaih : *De l'Emir Abdelkader à l'Imam Chamyl*, Ed, Dahleb, Alger, 1997, p.368,

- Voir *Dhikra el AquelowaTanbih el ghafel*, traduit par :

René Khawam :*La lettre aux Français*, p. 163-164.

(16) Mgr Henri Tessier (Archeveque des Catholique d'Algérie),*l'Emir Abdelkader et les Chrétiens*, colloque du 24 au 26 novembre 1997, Alger.

chrétiens syriens contre les musulmans poussés par le gouvernement turque de Ahmed Hikmet Pacha.

Les consuls européens, leurs familles trouvèrent refuge aussi chez l'émir.

Les pays européens France, Russie, Autriche, Angleterre, L'Amérique, la Grece, envoyèrent leurs remerciements et des médailles de mérite.

L'abbé Suchet écrit à l'émir 10 août 1860 :« Votre glorieuse renommée s'était déjà répandue partout ou votre nom était connu, mais ce que vous venez de faire pour nos chrétiens d'Orient, vous place désormais au rang des plus généreux défenseurs de la justice et de l'humanité »(12)et (13).

L'émir répond à monseigneur Pavy Evêque Alger 10-11 Juillet 1862 :(14)

« Je n'ai fait qu'obéir aux principes de notre loi et aux préceptes de l'humanité, je n'ai rien dit d'autre .Ce que nous avons fait de bien avec les chrétiens nous nous devions de le faire, par fidélité à la foi musulmane et pour respecter les droits de l'humanité car toute les créatures sont la famille de Dieu et les plus aimés de Dieu sont ceux qui sont les plus utiles à sa famille », li s'agit bien de حقوق الإنسانية.(15)

« L'émir devint le symbole d'un Islam sur de ses convictions mais respectueux de l'autre, en particulier les chrétiens car toutes les religions apportées par les prophètes depuis Adam jusqu'à Mohamed reposent sur deux principes :

- L'exaltation de Dieu très haut

- et la compassion pour ses créatures », selon l'Archevêque Henry Tessier(16).

Notes :

(1)Voir Khadache Mahfoud, « L'armée régulière », *Majallat Et-Tarikh*, 1er semestre 1983, p. 10 .

(2) Napoléon Maurice de France : *Les prisonniers d'Abdel Kader* (Paris 1837). traduction anglaise par Lady Duff Bordon (New-York 1845),voir : Paul Azan, *Du*

et le commandant Cognord 100 francs remis de la part du Duc Lamorciere et de Cavaignac (babouches et haïks en laine épais et chauds pour les soldats ».

Les officiers n'étaient pas mal traités parles arabes.

Le khalifat Bouhamidi arriva au camp il appela les officiers leur fit apporter le café et leur remit 130 franc de la part de l'émir(9).

Emir et le respect du christianisme :

En effet en 1860 l'Abbé Suchet écrivit une lettre à la baronne *Durand* née De *Dax* : "L'Emir m'a toujours parlé avec respect de notre croyance et ne reprochait aux français que l'envahissement de son pays "(10).

En 1837 un militaire français *Massot* est fait prisonnier prés de Douira Monseigneur Dupuch écrit à l'Emir pour faire libérer *Massot*.

L'émirrépond avec humour « *je te fais remarquer qu'entant que serviteur de Dieu et d'ami des hommes tes frères, tu aurais du me demander la liberté pas d'unseul mais bien plutôt de tous les chrétiens prisonniers* »

Il demande aussi de l'étendre aux musulmans prisonniers.

L'émir accepta le principe de la présence d'un aumônier chrétien auprès de prisonniers.

Les liens de L'émir semblent avoir été permanents avec l'Evêque Dupuch et L'Abbé Suchet qui est à Mers Elkebir pour accueillir L'émir arrivant de Ghazawate et partant pour Toulon en exil en France.

L'Abbé Suchet demande le turban à l'émir comme souvenir,« gage de mon amitié lui dit Abdel Kader ».

Dupuchre joint l'émir à Pau puis l'accompagne à Amboise France (11).

L'Emir et el houkouk el Insania :

9 Juillet 1860 à Damas en SYRIE l'Emir a la tête des Algériens qui l'ont accompagnés, ont protégé 15000

Nous rappelons que l'Emir a fait un voyage important de 1828 à 1830 avec son père si Mahieddine , aux lieux saints de l'Islam , puis à Damas, Bagdad.

Le premier enseignement religieux se fit dans Kaddiria familiale, puis à la Zawiya auprès du cadi Ahmed belkhodja son humanisme fera le tour du monde aussi lors des événements tragiques contre les chrétiens à Damas en 1860

Par contre si on écoute L'auteur *Le Comte d'Hérisson* du livre **La chasse à l'homme** parlant du Général français Yousouf dont il a été le secrétaire « les exécutions s'étaient froidement ordonnées, froidement exécutées à coup de fusil, à coup de sabre, sur des malheureux dont le plus grand tort était quelquefois de nous avoir indiqué des silos vides, on comprendra que ce ne sont pas seulement l'argent et le sang prodigués mais la dignité et l'honneur de notre nation »(7).

Par contre Abdelkader avait aboli certaines pratiques: les têtes coupées, par décision unilatérale puisque la prime française de 200 sous la paire d'oreilles de l'arabe, ne fus aboli que sous Napoléon III(8)

L'Emir Abdelkader avait donné des instruction fermes: à son armée en ce qui concerne les prisonniers :

« Un soldat vivant français devait être remis contre une récompense de 8 douros et doit être bien traité et conduit soit devant le Khalifa ou devant l'émir lui-même ».

L'Emir donna l'ordre de rassembler les têtes, les laver et les joindre pour les conserver de miel et de graisse, puis les entasser dans les *chouaris* préparés sur les mulets. Le commandant *De Cognord* avait un mulet pour lui tout seul.

Les blessés français étaient emmenés aux sources d'eau chaude prés du camp plusieurs fois par jour, il yeut une nette amélioration en peu de temps.

Le commandant Mohamed sur ordre de L'Emir Abdelkader demanda au commandant Cognord une lettre pour le général Cavaignac, commandant de la subdivision de Tlemcen ou seraient indiqués les noms des prisonniers et leur nombre et ce qui était nécessaire : argent, médicaments, ce qui fut fait puisque le docteur Cabasse reçut les médicaments

C'est ainsi qu'il a exploité les mines de fer du Zakkar et mis au point un début de transformation avec l'installation de forges (Miliana par exemple) et de fonderie (Tlemcen).

Le commerce a été favorisé. Les exportations de denrées se faisaient par l'intermédiaire du Ben Duran entre autres. Pour faciliter les transactions, il frappa monnaie dans son atelier monétaire établi à Tagdempt. Les "Mohammedia" en cuivre argenté valaient cinq centimes, les "nosfia" en valaient la moitié. Il fixa le cours des changes avec le douro d'Espagne de réal d'Alger- le franc français.

Ce fut avec ses monnaies qu'il perçut les impôts et régla la solde de son armée et les fonctionnaires de l'Etat.

X- Organisation politique :

La politique extérieure de l'Emir : L'Emir entretenait d'excellentes relations avec le Sultan du Maroc, Moulay Abd-Er-Rahman. Celui-ci l'aidait en armes et en munitions jusque là et lui permettait d'acheter aux commerçants anglais de Gibraltar des armes et des vêtements. Il était en liaison avec les Oulémas de Fez qui lui apportaient leur concours religieux. Il entretenait une correspondance suivie avec les personnalités d'Egypte, de Turquie et de Syrie ainsi qu'avec l'Angleterre.

Il se tenait informé de tout, en recevant les journaux et en se les faisant traduire, ainsi qu'en faisant contrôler les informations par les agents Algériens à l'étranger.

L'Emir était un véritable chef d'Etat ; il réunissait les qualités d'orateur, de chef religieux, de chef d'armée, d'organisateur, de législateur, d'administrateur et de diplomate. Il était aussi un homme de lettres.

XI - L’humanisme de L’Emir AbdelKader :

L’Emir avait une conception chevaleresque de la guerre de résistance contre l’agresseur étranger.

Nous verrons que l’affrontement à des adversaires chrétiens n’a nullement transformé ses attitudes par rapport au christianisme.

Il interdit l'usage de l'or et de l'argent dans les vêtements masculins.

Il était le premier à montrer l'exemple. Le vin, le jeu, le tabac étaient interdits. La moralité publique était surveillée.

L'Emir a aussi développé l'enseignement dans les tribus en multipliant les centres culturels et religieux. Il établit aussi un système d'éducation publique dans toutes les tribus ; "mon devoir était, dit-il, de prôner la science et la religion". L'instruction était moderne car, en plus des préceptes du Coran, les Algériens recevaient des rudiments de lecture, d'arithmétique. Les *Tolbas* recevaient un traitement régulier. Les zaouias et les mosquées se chargèrent gratuitement de ceux qui voulaient pousser plus avant leurs études. "*Afin de faciliter les études des Tolbas, je mis le plus grand soin à empêcher la destruction des livres et des manuscrits", raconte l'Emir à Charles Henry Churchill*(5).

L'Emir avait l'intention de constituer une grande bibliothèque à Tagdempt. IL réunissait un premier fonds de livres et de manuscrits, relatifs à la religion, à la foi, à la médecine, à l'histoire et à l'astronomie.

L'Emir faisait lui-même un contrôle personnel et incessant pour mener à bien ses plans de réforme et de progrès.

Tous les postes d'importance furent confiés à des hommes issus peut-être de familles nobles mais choisis surtout parce qu'ils avaient du caractère et une probité reconnue. *"C'est ainsi qu'un sens du devoir et de la dignité personnelle vint à pénétrer tous les échelons du sommet à la base de la pyramide sociale*"(6).

IX-Rénovation économique :

Il a encouragé l'agriculture et l'élevage pour subvenir aux besoins de l'armée et à ceux de la population ou pour servir d'échanges aux produits d'extrême nécessité. Les céréales de l'Achour étaient emmagasinées dans les entrepôts de chaque tribu. Des entrepôts de l'Etat étaient souterrains et secrets pour que les troupes soient sûres de trouver des vivres partout sans avoir à vivre sur le dos de la population.

tête. La tribu était réduite en fractions. Chaque fraction était administrée par un Cheikh. Toutes ces personnalités sont les chefs des principales entités administratives et reçoivent des traitements en argent et en nature.

Un Khalifa, par exemple, recevait cent dix douros par mois, plus cent soixante litres (sâa) d'orge par jour. Les fonctionnaires prêtent serment d'être honnêtes et sont de véritables agents aux services de l'Etat. Ils jouent le rôle de percepteurs qui prélèvent les impôts (Zecca et Achour) et de commandants des forces (fantassins et cavaliers) qui leur étaient dévolues. Au sommet de l'ensemble, un conseil de notables émanant des différentes collectivités administratives, politiques et religieuses composait une sorte de sénat auquel avait recours souvent l'Emir avant de prendre ses décisions.

- Le trésor avait deux sources, les impôts légaux le Zakat aux (printemps) Achour fin été (1/6 de la récolte) et les saisies.

En 1839, l'Emir fit appel aux Algériens pour une souscription extraordinaire.

- Les bijoux de la famille de l'Emir furent alors vendus sur le marché de Mascara, lors de la reprise de la guerre, et le produit de la vente fut versé au trésor public.

- La justice fut toujours rendue conformément aux préceptes du Coran. Dans l'armée même, un cadi assisté de deux adels (assesseurs) rendait justice. Ses jugements étaient exécutés par l'un des deux assesseurs (le chef de la police). Le cadi était rétribué par le trésor public (dix douros par mois).

Abd El Kader avait pour habitude de parler au nom de Dieu et en s'aidant du Coran. Il jugeait avec discernement et consultait les docteurs de l'Islam du Maroc et d'Egypte sur tous les cas douteux.

La sécurité du territoire et la police des marchés se trouvaient assurée d'une façon moderne.

La responsabilité collective des tribus se trouvait engagée pour tous les crimes et délits commis sur leur territoire.

L'Emir n'hésitait pas à engager de grands effectifs. Les troupes algériennes ne reculaient pas devant l'artillerie ni le corps à corps, que ce soit à la bataille de Moulay Ismaël ou de la Sikkak, à la Macra ou à Sidi Brahim, elles poursuivaient la lutte jusqu'à outrance. Grâce aux qualités exceptionnelles de l'Emir, qui restent inséparables d'une connaissance intime du milieu physique, celui-ci put lutter contre des armées ennemies supérieures en effectif et en armement. Ilappliquait la stratégie de l'insaisissabilité.

Il s'agissait de ne pas livrer à l'adversaire de bataille rangée mais de se dérober en le harcelant jusqu'au moment où les algériens décidaient de l'attaque. C'était la cavalerie qui jouait le double rôle constituant à attirer l'ennemi dans la direction désirée et à l'épuiser. Le principe donné à l'armée par l'Emir était le suivant "faire beaucoup de mal à l'ennemi sans en recevoir elle-même" ; sa fuite n'était par conséquent qu'une manœuvre, qu'une tactique. Ce qu'il faut noter, c'est, à la reprise des hostilités en 1839 - 1840, la grande fluidité des forces populaires et le recours au déplacement des meilleurs biens matériels et humains, de l'Emir, que symbolise sa capitale mobile : la Smala. Les généraux français organisent des colonnes mobiles avec de grands déplacements de forces à certains moments précis, généralisant les destructions par les méthodes de la terre brûlée.

VIII – Nouvelle organisation administrative 1839.

L'Emir Abd El Kader, en plus d'un guerrier et d'un orateur, fut un homme d'Etat et un législateur. Le secret de sa force résidait dans sa hauteur de vue.

Il partageait en 1839 le territoire algérien en huit khalifaliks. Il installa les khalifes Ben Hamidi à Tlemcen, Mustapha ben Thamy (son beau-frère) à Mascara, El Hadj Mahi Ed Din Es Seghir à Miliana, puis Ben AllalOuld Sidi Embarek toujours à Miliana, El Berkani à Médéa, Si Ahmed Ben Salem au Hamza, Si Tobal ben Abdessalem Khalifa du Medjena,Ziban (Sahara oriental) revint au khalifa Ben Azouz et le Sahara occidental à Si Kaddour Ben Abd El Baki. Ces khalifaliks étaient eux-mêmes divisés en Aghalikhes, commandés chacun par un Agha ; ces Aghalikhs étaient constitués de plusieurs tribus dont chacune avait un caïd à sa

- Boghar est aménagée aussi. On y costruit de grand entrepôts de soufre et de minerai de plomb ainsi qu'une fabrique de burnous et des tanneries, une caserne et un hôpital. Elle fût brûlée en mai 1843.

- Saïda fut édifiée selon témoignages du capitaine Daumas, le 17 janvier 1839 (selon sa lettre du 18 janvier 1839[(4)]. Le khalid Mustapha ben Thamyet le Caïd El Hadj Boukary de Mascara surveillent les travaux. En juin 1839, quatre cent trente fantassins y tenaient garnison. (Elle est détruite en Octobre 1841).

- Taza se trouvait entre Boghar et Theniet El Had. C'est le khalifa ben Allal qui se chargea de son édification en 1938. Elle comprenait un fort, deux moulins, à eau, une tannerie et une fabrique de drap. Les Algériens exploitaient une mine de soufre à proximité.

- Le camp de Boukorchefa est à l'ouest de Miliana. Il est riche en bois et en fourrage.

Il faut peut-être citer, parmi les établissements militaires créés par l'Emir dans les autres villes de son état : la fonderie et le moulin à poudre de Tlemcen, la fonderie et la fabrique de souliers à Miliana, le fort et la manufacture d'armes de Mascara, le fort de Beni-Snous, le moulin à poudre de la Kalaa des Béni Rached, le fort de Gherabell et le fort de Blale.

Abd El Kader conçut une stratégie qui tenait compte du rapport des forces entre l'armée française installée dans les zones Nord du pays, forte en matériel et en hommes, et l'armée algérienne, dispersée dans le reste du territoire et qui s'organise et s'équipe progressivement. Nous venons de voir qu'il a mis en place une véritable conception stratégique de l'organisation de l'espace géographique en établissant une série de fronts parallèles à la côte, la stratégie militaire en elle-même revêtit plusieurs aspects.

Elle fut d'abord classique, défensive lorsqu'il fallut défendre les villes, les populations, offensive lorsqu'il attaquait à la tête de ses troupes, les villes et les camps occupés par les Français.

Saïda au sud de Mascara, Tagdempt au Sud-Est, Taza au sud de Miliana, Boghar au sud de Médéa ; la Zouïa de Bel Kheroub, appartenant à la pieuse famille d'Ahmed ben Salem, au Sud-Est d'Alger, enfin Biskra au sud de Constantine.

Tagdempt était sa placeprincipale.

Elle avait une grande importance économique en tant que centre d'échanges commerciaux entre le Tell et le Sahara. Elle avait aussi une grande importance stratégique. La première pièce de la nouvelle forteresse deTagdempt fut posée par l'Emir en mai 1836. Il fit lui-même les Plans des fortifications qui devaient l'entourer. On trouvait à Tgdempt une fabrique d'armes (huitfusilspar jour) oùtravaillaient des techniciens français recrutés à Paris, une presse qui fabriquait de la monnaie d'argent et de cuivre, de deux sous à cinq shilling où l'on pouvait lire sur une des faces : "Voici la volonté de Dieu ; Je l'ai nommé mon représentant" et sur l'autre "Frappée à Tegdemt par le Sultan Abd el Kader". De plus, douze pièces de canon et six mortiers furent installées sur les remparts pour compléter le système de défense. L'Emir, en compagnie d'Ibn About et de Miloud Ibn Arash, dirigeait lui-même les travaux de la forteresse et des fortifications. Il avait l'intention d'en faire non seulement une place forte mais un centre de culture, d'y établir une bibliothèque et d'y fonder une université. Abd El Kader, au cours d'une discussion avec le prisonnier **Napoléon Maurice** de France, lui tint ces propos : "*J'ai encore l'espoir de restaurer Tekedemtdans son ancienne grandeur*.

C'est ici que je rassemblerai les tribus. Nous y sommes à l'abri des attaques des Français ; et quand toutes mes forces seront rassemblées, de ce rocher escarpé, comme un vautour de son nid, je m'abattrai sur les chrétiens pour les chasser d'Alger, de Bône et d'Oran"[(2)].

D'autres places fortes et établissements militaires furent fondés ou renforcés comme nous l'avons évoqué plus haut.

- Sebdou,fut construite par Ben Hamidi, Khalifa de Tlemcen. Elle était armée de neuf pièces de canon et était défendus par trois mille fantassins. Le chemin qui y conduit est très difficile[(3)].

rations quotidiennes de farine, beurre, huile, mouton et bois pour

chaque grade.

- Une infirmerie avec des infirmiers, un médecin, entretenus par le Khalifalik. Le médecin savait traiter les maladies propres au pays. L'Emir voulait fonder des écoles de médecine. Ces règlements étaient modernes et proches de ceux des armées d'Europe.

-

VII- L'organisation stratégique :

Reposait essentiellement sur la mission que s'était fixée Abd El Kader ; refouler les français vers la Mer. Son front était par conséquent parallèle à la côte méditerranéenne.

L'avant-garde générale, en bordure de la côte, était constituée par de nombreuses tribus auxquelles il donnait des chevaux : il s'agissait des Gharaba dans la région d'Oran, des Hadjoutes dans celle d'Alger et des tribus dans la région d'Annaba. Elles avaient toutes pour mission d'encercler les villes côtières, d'établir un blocus étroit en les harcelant et de les empêcher de s'approvisionner au dehors.

Une ligne médiane était établie dans le Tell, constituée d'Ouest en Est par les villes de Tlemcen, Mascara, Miliana, Médéa ; L'Emir aurait voulu y ajouter Constantine. Il était par ailleurs décidé à détruire ces cités, dans le cas où les Français décideraient de s'y installer et d'en faire des bases pour pousser leur invasion plus loin encore. Il s'agissait par conséquent de l'intention de l'Emir de faire le vide devant les français si cela devait s'imposer.

Enfin, pour renforcer cette ligne médiane, l'Emir constitua une ligne de places fortes sur la limite méridionale du Tell. Cette initiative avait un double objectif : résister plus efficacement contre l'ennemi au Nord et mieux contrôler et gouverner le Sud Algérien. Ces places fortes avaient aussi une sorte de correspondance géographique avec les cités commerçantes du Tell. C'étaient Sebdou au sud de Tlemcen,

- Le matériel d'artillerie comptait 20 pièces de campagnes plus des canons en fer et en bronze (stock important).

- L'armée régulière était répartie entre les huit Khalifaliks en temps normal. Chaque khalifa avait 1.000 fantassins.

250 cavaliers 30 artilleurs servant 3 pièces.

Les réguliers étaient des volontaires. L'Emir prévoyait d introduire la méthode de la conscription nullement contraire aux préceptes du Coran puisqu'il s'agissait de sauver sa patrie de l'envahisseur.

- Les instructeurs de l'infanterie étaient des soldats du Nizam venus de Tunis et Tripoli et des déserteurs français.

- La cavalerie régulière refusait les instructeurs.

- L'armée régulière était dotée de fusils français ou anglais achetés au Maroc et à Tunis.

- L'armée régulière était dotée d'une véritable charte et de règlements relatifs non seulement à l'organisation, aux exercices et aux manœuvres mais encore à la discipline, à la solde, à l'habillement, aux rations et distributions, à l'avancement.ces règlements étaient condensés dans un ouvrage appelé Ouichah el kataïb.

- L'or ganisation de l'armée était basée sur l'existence de trois armes : l'infanterie, la cavalerie et l'artillerie.

Une revue d'habillement était passée le samedi par le Raïs(commandant).

La comptabilité comprenait un cahier d'enregistrement des punitions, plus un registre d'habillement, plus un registre des munitions et denrées alimentaires. Une loi spéciale donnait la nomenclature détaillée et le prix des effets, des armes et desréparations.

- Une loi fixait le solde, les effets à distribuer gratuitement
ainsi que le droit aux montures, aux harnachements, le taux des

VI- L’ armée de l’émir :

- Les fantassins (Askars) étaient répartis en compagnie de 100 hommes.

- Les cavaliers (*Ekhialla*) étaient répartis en escadrons de 50hommes.

-Les artilleurs étaient constitués en pièces de 12 servants chacune.

-Les capitaines (sciafs) devaient tous connaître la manœuvre du canon.

Chaque semaine, il y avait un jour de grande manœuvre.

-Les exercices des différentes armes se faisaient séparément. Les tailleurs, les armuriers, les selliers étaient répartis dans toutes les tribus afin que les hommes soient prêts à la moindre alerte.

Les officiers et les soldats des différentes armées avaient des tenues de couleurs variées dont un règlement donnait une description détaillée[1].

- La coiffure générale était la chéchia rouge.

- Les insignes comprenaient les épaulettes, des croissants sur la poitrine et des galons sur les manches.

- Aucun officier, aucun soldat ne devait jamais quitter l'uniforme.

- Une décoration en or ou en argent était destinée à récompenser. Les actes de bravoure étaient récompensées par une plaque en or ou en argent surmontée d'un nombre de doigts en or, en argent ou simplement dorés, variables en quantité et en nature suivant le grade.

- L'avancement était régi par un règlement. Il était entre les mains de l'Emir qui recevait des propositions faites par les chefs hiérarchiques.

- La discipline était stricte : pour les fantassins, l'appel se faisait le matin et le soir, par section. Les revues étaient passées le lundi et le jeudi par le capitaine ou sciaf.

- Numéraire (environ) : 1.500.000 francs.

- Poudre (y compris les cartouches confectionnées) : 400 quintaux. ~ Fusils (français ou anglais) : 8.000.

Blé (en magasin ou en silos) : l'approvisionnement de deux années.

-Plomb (environ de quoi faire des balles pour la poudre qu'il possède).

-Boulets (très peu et nullement en rapport avec les calibres des pièces).

-Obus (deux ou trois cents, reste de ce que le gouvernement lui a envoyé en 1836).

- Fer : 2.000 quintaux.
- Cuivre : 200 quintaux.
- Souffre : 100 quintaux.
- Salpêtre (les Arabes savent l'obtenir).
- Tentes (trois cents, vieilles ou neuves, chacune contenant 33 hommes).
- Chameaux (environ) : 2.000.
- Mulets : 800.
- Chevaux (environ 300 en sus de deux de sa cavalerie régulière) :

1.000.

Abd El Kader avait par ailleurs reçu du Maroc :

- 160 quintaux de poudre.
- 1.500 fusils anglais.
- 4 canons du calibre d'une livre allongés. Toutes les tentes que l'armée possède.
- Une assez grande quantité de soufre.
- Des babouches pour les soldats réguliers.
- Des sabres pour les cavaliers réguliers.

Abd el Kader résolut de publier un *Edit national* sur le traitement des prisonniers. Il convoqua un conseil extraordinaire, tous les Khalifas, Aghas, Caïds, Chefs de tribus (300) et recommanda que "tout français capturé au combat serait désormais considéré comme prisonnier de guerre"

Total dans les 8 Califats 58 160 hommes dont 5 950 dans les troupes régulières.

IV- Forces d'Abd El Kader en Octobre 1840 d'après le professeur Garcin

Abd el Kader avait avec lui 500 cavaliers réguliers. Son principal lieutenant disposait de:

- 800 fantassins et 200 cavaliers avec Sidi Mohamed el Berkani, ex. khalifat de Média. ,
- 1.100 fantassins et 300 cavaliers avec Mohamed Ben Allel, ex. khalifat de Miliana.
- 1.400 fantassins et 400 cavaliers avec l'Hadj Mustapha, khalifat de Mascara.
- 2.000 fantassins et 500 cavaliers avec Bou-Hamidy, khalifat de Tlemcen. Il y a de plus :
- 2.000 fantassins qu'il a envoyés à Constantine dans le courant du mois de juillet, sous le commandement de Sidi Mohamed El kharoubi, son premier secrétaire. Il y a de plus :
- 200 fantassins qu'il a envoyés dans le Ziban, et plus 500 fantassins ce qui établit un total de 8.000 fantassins et î.400 cavaliers, plus les 500 qu'il a avec lui, ce qui élève le chiffre de sa cavalerie à 1.900 environ.

En plus de ces troupes régulières, l'Emir pouvait faire appel à 20.000 hommes auxiliaires prêts à rejoindre le djihad. Sur ces 20.000 hommes on pouvait considérer un tiers comme fantassins et les deux autres tiers comme cavaliers.

V- L'intendance et la logistique :

D'après Léon Roches, l'Emir avait grâce à ses efforts d'amélioration de l'agriculture et modernisation de l'industrie réussi à mettre à la disposition de son armée :

Une offensive générale du sud vers la côte fut entreprise par l'Emir, (Entre l'Atlas et la côte), ce qui poussa Bugeaud après une brève entrevue avec l'Emir sur les bords de la Tafna, à traiter le 31 Mai. Le traité fût ratifié par Louis Philippe le 15 juin 1937.

L'Emir avait auparavant, conformément à son habitude réuni à Yellel, en avril 1837, les principaux chefs militaires, ainsi que les membres du Conseil consultatif des Cadis, des Ulémas, pour les consulter au sujet du traité. Le texte de ce dernier fût adopté à l'unanimité.

L'Emir rentra dans le Mechouar de Tlemcen le 12 juillet 1837, dans une atmosphère de liesse populaire après avoir prié dans la Mosquée de la Citadelle. Bouhamidi El Oualhaci réside en tant que khalifa à Tlemcen, avec une forte garnison laissée par l'Emir. L'autorité de l'Emir va être incontestable sur une grande partie de l'Algérie :

- Sur la partie occidentale de la Kabylie au sud de Dellys, sur la vaste région de la Medjanaau sud de Bougie, sur les Zones Sahariennes.

- Il nomma comme khalifas des Oasis sahariennes de Laghouat, El Hadj AïssaLaghouati.

- Il installa à la tête du khalifalik du Sebaou, le khalifaSidi-Ahmed bensalemà qu'il recommanda de consulter un grand résistant Benzamoun, ami de la tribu des Flissa, dans toutes les grandes décisions.

Khalifalik de la Medjana.khalifalik du Zibans (au sud), khalifaBelazouz, résidence à Biskra.

Au milieu de l'année 1839, l'Emir visite les cheikhs de Zaouias et les *Mokadems* de la Rahmanya, au cœur de la Kabylie ; il fût accueilli par la confédération des *zouaoua*et des environs de Béjaïa avec enthousiasme.

Lors de la reprise des hostilités, le 03 juillet 1839, l'émir reçut devant les khalifas, réunis à *Taza*, et les responsables des diverses provinces, le caftan des mains du représentant du sultan du Maroc, lui conférant le titre d'Emir.

Il a étendu ainsi son territoire d'une façon méthodique :

aux tribus de la région Alger (/ *'Algérois).*

Du *Titteri,* du *Zaccar* et de / *'Ouarsnis. " De la vallée du Chelif*

La Province de Tlemcen sauf le Mechouar où s'étaient enfermés les kouloughlis, puis revint à Mascara au début de juin 1835 où se posa le problème des Douairs et les Zmelas qui commerçaient avec les français malgré l'interdiction de l'Emir allant jusqu'à signer avec eux, *"la convention du Figuier".*

III- Succès militaires de L'émir :

Le général Trezel, enfermé dans la ville d'Oran, dédaigné par l'Emir, voyait aussi d'un mauvais œil, l'exploitation des Salines d'Arzew par l'Emir, ainsi que l'exportation des grains en Espagne pour alimenter le trésor public, d'autant qu'il était lui-même soumis à un blocus rigoureux de la part de l'Emir. L'expédition entreprise par Trezel contre le territoire de l'Emir, se termina par une cinglante défaite à l'embouchure de la *Macta* en juin 1835. Drouet d'Erlon et Trezel sont relevés. Les hostilités reprirent, Clauzel décida une expédition à partir d'Alger sur Oran pour desserrer le blocus de l'Emir sur la garnison d'Oran commandée par le général d'Arlanges.

Clauzel incendia Mascara le 06 décembre 1835 ainsi que toute l'infrastructure militaire, accompagné par *le prince héritier du trône* de France *le Duc d'Orléans*. Clauzel rentra dans Tlemcen, aussi vide que Mascara (sauf son allié Mustapha ben Ismaël, les Kouloughlis et les juifs). Mais le 23 janvier 1836, après avoir infligé une défaite retentissante à CLauzel, à l'embouchure de la Tafna, l'Emir soumit Tlemcen à un blocus rigoureux.

Le général d'Arlanges blessé s'enferma le 25 avril dans le camp de la Tafna. Bugeaud vint à la rescousse, le 06 juin 1836. Mais Oran, Tlemcen, le camp de la Tafna étaient sous blocus de l'Emir qui choisit de faire de Tagdempt, à ce moment-là, sa capitale militaire, son arsenal et sa base d'où partiraient ses troupes à nouveau.

Il publia un Décret annuel sur la perception de l'impôt du djihad (montrant ainsi que celui-ci continuait), *Aschur*(1/10 de la production agricole) et la taxe sur le bétail *Zekkat.*Il fit l'unité de toutes les tribus autour de lui et procéda à l'organisation administrative et politique, tout à la fois, du territoire.

II- La réorganisation territoriale:

- **La province d'Oran** est divisée en deux grands khalifaliks placés chacun sous le commandement d'un khalifa : - A l'Est, le khalifalik subdivisé lui même en sept aghaliks, était placé sous le commandement de Mustapha Ibn Thamy (son beau-frère), son gouvernement siégeait à Mascara.

- A l'Ouest, avec Tlemcen comme capitale (sans le Mechouar) le khalifa était Bou-Hamidi El Oualhaci.

Chaque tribu fut rendue responsable quant au maintien de l'ordre et de la paix sur son territoire. Des rapports hebdomadaires précisant le nombre de bestiaux, chevaux disponibles, animaux de bât étaient demandés. De plus un cadi rendait la justice, nommé par l'émir et appointé par le trésor public.

L'Armée régulière était organisée désormais. L'Emir pouvait compter en permanence sur l'infanterie entraînée par des Européens et un corps de cavalerie. De plus des fonderies de canons, des fabriques de poudre et des manufactures d'armes légères tenues par des artisans européens virent le jour. L'Emir projetait d'étendre son organisation au reste de sa patrie afin de réaliser son rêve : *El Watan*; la nation algérienne. L'Emir apprit par le gouverneur général Drouet d'Erlon que le traité Desmichels n'avait pas été communiqué au Gouvernement français ; Abd el Kader reprit sa liberté d'action et fut accueilli à *Miliana* dans une liesse générale, le 15 avril ; Il y nomma son représentant *El*-Hadj Mahieddin Es Seghir d'El Attaf. Puis il entra le 20 avril à la tête de 3.000 cavaliers et 800 fantassins, avec quatre pièces de canons à *Médea.* Hadi Moussa El Derkaoui de la confrérie religieuse des Derkaoua, venu plu tôt du Sud, se retira, l'Emir délégua Mohamed ben Aïssa El Berkani comme son représentant.

-de le suivre, de le protéger et de secourir "comme ils protégeraient
leurs biens propres et leurs familles" afin qu'il les mène auDjihad, qu'il rétablisse l'ordre, instaure la justice parmi les gens et l'entente entre les musulmans, l'union devait être autour de l'esprit national et le principe religieux.

- d'obliger l'agresseur à quitter le pays des musulmans.

L'Emir fit un discours à la mosquée de Mascara, discours d'investiture. Cette cérémonie de la Mouba'ya'a où étaient présents des cheikhs et chefs de tribut, les savants, les *foukahas*, a été réellement *l'acte fondateur* de l'Etat Algérien, démocratique, moderne et reposant sur la *chari'a* islamique.

L'Emir tire donc sa légitimité de la .volonté populaire et des principes islamiques. Il n'avait que vingt quatre ans (8.000 cavaliers, 1.000 fantassins. Drapeau blanc sur lequel figurait une main ouverte au centre)

I- Du traite Desmichels 1834 au Traite de la Tafna ou Souveraineté de l'Emir sur les deux tiers du territoire national :

- **1832 - 1835** : La Totalité de la Province d'Oran (presque) sous l'autorité de l'Emir (capitale Mascara)
- **1834 - 1835** : Les bases d'un Gouvernement algérien à l'Ouest d'Alger.
- **1835 - 1837** : Les 2/3 de l'Algérie réorganisés.

Le traité Desmichels du 26 février 1834, consacrait une égalité entre le roi des français et l'Emir Abd el Kader. Le commandant Abd Allah d'Asbonne était consul de France à Mascara et les représentants de l'Emir étaient aussi bien à Alger, qu'à à Oran et à Arzew.

La France de Louis Philippe traitait donc avec le jeune Etat algérien, par des échanges diplomatiques.

La première année 1834 - 1835, l'Emir décida de ce répit pour réorganiser son territoire, rassembler ses ressources et se préparer aussi au futur combat "inévitable", (la terre d'Algérie était celle des musulmans disait-il).

L’HUMANISME ET LA TRUCTURATIONPOLITICO ADMINISTATIVE DE SON ETAT

Introduction :

Nous allons voir que l'Emir Abd el Kader fût tout à la fois un grand patriote, un chef spirituel, un orateur, un chef d'armée, un combattant farouche, un organisateur, un administrateur, un législateur, un diplomate.

- La construction d'un Etat :

La Mouba'ya'a acte fondateur du nouvel Etat Algérien : (21 Novembre 1832)

Après la chute d'Alger, le 5 juillet 1830, l'occupation d'Oran fin décembre 1830, le retrait des représentants du sultan du Maroc, en avril 1832, l'ancien beylik de l'ouest était tombé dans un état d'anarchie indescriptible. ,

Le cheikh Mohieddine Ibn Mustapha Ibn Kada Ibn El Mokhtar a été pressenti par les tribus de l'ouest, en particulier les Hachem, les béni Amer, et les ghraba (3 confédérations les plus importantes pour se mettre à leur tête afin d'instaurer l'ordre, mener le Djihad contre l'envahisseur français qui s'établissait dans les villes côtières dont Oran. Le Cheikh Mohieddine avait été sollicité en mai 1832 avant le retrait par le sultan du Maroc Moulay Abderahmane pour s'installer à Tlemcen et être son Khalifa. Le cheikh, d'un âge avancé et vu l'ampleur de la tâche propose son jeune fils El-HadjAbd-el Kader. Les trois tribus parmi les plus importantes de l'ouest algérien :

- les Hachem de l'Est et de l'ouest de Ghriss, les Béni Amer du Tessala et de la Plaine de la Mekkara,

- les Ghraba de la plaine du Sig, ainsi que les tribus voisines, alliées et amis les H'rache de la province prêtèrent serment d'allégeance à Sidi El Hadj Abdelkader Ibn Mahieddine en présence des Ulémas, des Chérifs et des Merabets de Ghriss.

- de lui obéir en toute circonstance

L'Emir Abdel Kader :

la structuration politico administrative de son État et son humanisme

Prof. Messaoouda Yahiaoui,

Université d'Alger 2

L'Emir Abdelkader fut tout à fait un grand patriote, un chef spirituel, un orateur, un chef d'armée, un combattant redoutable, un stratège, un administrateur, un législateur, un diplomate, en somme il avait la carrure d'un homme d'État.

Il a réellement construit un état.

La Mouba'ya'a ou (Allégeance) fut l'acte fondateur du nouvel État algérien (21 Novembre 1832) l'Emir à partir du traité des Michels 1834 au traité de la Tafna va étendre sa souveraineté sur les deux tiers du territoire national.

Il projetait d'étendre son organisation au reste de sa patrie afin de réaliser son rêve « El Watan », la nation algérienne puis il procède à la réorganisation territoriale : - en créant des Khalifaliks (provinces) subdivisés aux rêves en khalifaliks à l'Est et à l'Ouest, les sucées militaires de l'armée de l'Emir est dû à la formidable structuration des services de l'intendance, de la logistique, des corps de son armée (habillement, grades, règlements…). Son organisation stratégique, la création d'établissements militaires (fonderies manufacture d'armes, moulins à poudre…).

Il y eut en 1839, une nouvelle organisation administrative (développée dans le texte), ce renforcement de l'enseignement, la constitution d'une grande bibliothèque à Tagdempt ; il y eut aussi une grande rénovation économique ; ainsi que la réorganisation de la politique diplomatique à l'extérieur.

L'humanisme de l'Emir se traduit dans "*Houkouk El Insan*" (Droit de l'homme) et un traité sur « l'échange des prisonniers ».

Sommaire

L’Emir Abdelkader :
Un génie dans le temps et dans l’espace

Sous la direction du Professeur Ouddène BOUGHOUFLA

Titre:	**L’Emir Abdelkader : Un génie dans le temps et dans l’espace**
Collection:	Publications du 50 ème anniversaire de la fête de l’Indépendance
Editeur:	Publications du Laboratoire des recherches Sociologiques et Historiques, Université de Mascara (**PUM**)
Direction du :	Pr. Ouddène BOUGHOUFALA
Droits d'édition:	Réservés aux Publications du Laboratoire des recherches Sociologiques et Historiques, Université de Mascara (**PUM**)
Publication:	Edition *Errachad*/ Sidi Belabbes/ Algérie
ISBN:	**978-9947-650-15-8**
N° du dépôt légal	**2014- 9052**
Couverture	Portrait de l’Emir Abd-el-Kader

E-mail:	**Tel/Fax:**	**Adresse:**
lrsh_um@yahoo.fr	+213 (0)45 80 13 15	Laboratoire des Recherches Sociologiques et Historiques, Université de Mascara, Bp. 305, Route de Mamounia, Mascara, Algérie.